الجزء الرابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تغمده الله برحمته
آمين

وقد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)
دار الكتب العربية الكبرى
على نفقة أصحابها
مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى
(بمصر)

﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل يا سيد يس بالامالة علي وحمزة وخلف وحماد ويحيى (والقرآن) قسم و (الحكيم) ذي الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكافرين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أي الذين أرسلوا على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب اللام شامي وكوفي غير أبي بكر على اقرأ تنزيل أو على انه مصدر أي نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوي العناد (الرحيم) الجاذب باطافة معنى خطابه افهام أولي الرشاد واللام في (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين أي أرسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أي قوما غير منذر آباهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير أو موصلة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي أنذره آباؤهم كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أي لتنذر قوما انذار آبائهم أي مثل انذار آبائهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين أي تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله بقوله (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى

(٢)



﴿سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك لمن المرسلين) أي أقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) يعني لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أي عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) أي وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة

الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه وهذا لان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا (٣) أبصـ..عم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى ان عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك انى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أى الجنة (انا نحن نحيى الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى

بالحجارة فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بنى مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما سينزله الله عز وجل بهم فى النار (فهى) يعنى الايدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) أى رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) أى فأعميناهم (فهم لا يبصرون) يعنى سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) أى خافه فى السر والعلن (فبشره بمغفرة) أى لذنوبه (وأجر كريم) يعنى الجنة ۞ قوله تعالى (انا نحن نحيى الموتى) أى للبعث (ونكتب ما قدموا) أى من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أى ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله تعرى يعنى تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا انا تحولنا قوله بنى سلمة أى يا بنى سلمة وقوله دياركم أى الزموا دياركم (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم

فابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام ﴿ قوله عز وجل (وكل شئ أحصيناه) أى حفظناه وعددناه وأثبتناه (فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) أى صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعنى انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

(ذكر القصة فى ذلك)

قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى تطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

خطابهم الى الجمعة أو الى الجماعة (وكل شئ أحصيناه) عددناه وبيناه (فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ لانه أصل الكتب ومقتداها (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندى من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أى انطاكية أى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من أصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان

(اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) أى أرسل عيسى بامرنا (اثنين) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام اكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا الى قال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم (٥) جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقويناهما فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاعراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ماسواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون) أى قال الثلاثة لاهل القرية (قالوا) أى أصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب فى قوله ماهذا بشرا لانتقاض النفى بالا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شئ) أى وحيا (ان أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكد الثانى باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وما علينا الا البلاغ المبين) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا أو بركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال ياقوم اتبعوا المرسلين

فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) أى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شالوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعنى الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ) أى لم يرسل رسولا (ان أنتم الا تكذبون) اى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أى وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) أى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) اى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) اى لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) أى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم ۞ قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم

اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أي الرسل فقالوا أوأنت على دين هؤلاء فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني) خلقني (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالي حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفي من (دونه آلهة) يعني الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذوني فاسمعوني في الحالين يعقوب (اني اذا) أي اذا اتخذت (اني ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا ايماني لتشهدوا لي به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره في سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه (٦) دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو في الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) أي بمغفرة ربي أو بالذي غفر لي (وجعلني من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أي من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ في الجملة وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامي وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة

أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أوأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه واي شئ لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) أي لا أتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) أي بسوء ومكروه (لا تغن عني) أي لا تدفع عني (شفاعتهم شيأ) أي لا شفاعة لها فتغني عني (ولا ينقذون) أي من ذلك المكروه وقيل من العذاب (اني اذا لفي ضلال مبين) أي خطأ ظاهر (اني آمنت بربكم فاسمعون) اي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) أي ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ۞ ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أي ميتون (يا حسرة على العباد) يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ۞ ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) ۞ قوله تعالى (ألم يروا) أي ألم يخبروا خطاب لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود (انهم اليهم لا يرجعون) اي لا يعودون الى الدنيا فلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعني ان جميع الامم يحضرون

والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما أخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدنى (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما اجنسان مطلقان لأرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه ❊ ولقد أمر على اللئيم يسبنى ❊ (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشئ الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) فى الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون (٧) به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلى (وما عملته أيديهم) أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى ان الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها فى حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كانه فى الجلد توليع البهق فقيل له فقال أردت كان ذاك وما عملت كو فى غير حفص وهى فى مصاحف اهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها فى الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) وآية لهم الشمس تجرى (لمستقر لها) لحد لها موقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا

يوم القيامة (وآية لهم) يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى (الارض الميتة أحييناها) أى بالمطر (وأخرجنا منها) أى من الارض (حبا) يعنى الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أى من الحب (وجعلنا فيها) أى فى الارض (جنات) أى بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) أى من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) أى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفى والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) أى نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الازواج كلها) يعنى الاصناف كلها (مما تنبت الارض) أى من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) أى الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء فى البر والبحر من الدواب ❊ قوله عز وجل (وآية لهم) يعنى تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أى ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) أى فاذا هم فى الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجرى لمستقر لها) أى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهى الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

(ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) و بالرفع مكي ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا انقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (٨)

العليم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجري الى وقت لها وأصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) أي الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أي الغالب بقدرته على كل شئ مقدور (العليم) أي المحيط علما بكل شئ ﴿ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيهما من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا انقص فاذا كان في آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي أتى عليه الحول فاذا قدم عتق و يبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل في فلك يسبحون) أي والشمس والقمر في فلك يسيرون ﴿ قوله عز وجل (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) يعني أولادهم (في الفلك المشحون) أي المملوء (وخلقنا لهم من مثله) أي مثل الفلك (ما يركبون) أي من الابل وهي سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين في أصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذريتهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أي من مثل ذلك الفلك ما يركبون أي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) أي لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أي الا أن يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم

(لا الشمس ينبغي لها) أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أي آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أي وكلهم والضمير للشموس والاقمار (في فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) ذرياتهم مدني وشامي (في الفلك المشحون) أي المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات في بر او بحر أو الآباء

يعني

لانها من الانسداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهي سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث أو فلا اغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أي ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أي ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التي أبتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة

يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعني وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة (لعلكم ترحمون) أي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) ﴿قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم) أي مما أعطاكم (الله) نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أي أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) أي رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى مني بك ويقول قد منعه الله أفأطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغني لا استحقاقا وأمر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان أنتم الا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم الا في خطأ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق و يصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه و يصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعني أمال عنقه يسمع ﴿وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي لا يقدرون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشئ (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث و بين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) أي يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا

(لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أي أعرضوا وجاز حذفه لان قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفي والثانية للتبعيض أي ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركي مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) أي تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبي وأصحابه (ما ينظرون) ينتظرون (الا صيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه في الخصومة وشدد الباقون الصاد أي يختصمون بادغام التاء في الصاد لكنه مع فتح الخاء مكي بنقل حركة التاء المدغمة اليها و بسكون الخاء مدني و بكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء في الكسر و بفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم و بعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون ان يوصوا في شئ من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ في الصور) هي النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أي الكفار (يا ويلنا

من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم و بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى و بضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار أو ضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (فى ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة و برام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ما ستر كـ عن الشمس (على الارائك) جمع الاريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (متكؤن) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) يفتعلون من الدعاء أى كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ما شئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون و يسار بهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا و يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم و يزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى وأطيعونى (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط بليغ فى استقامة ولا صراط أقوم منه (ولقد

(١٠)

من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الا صيحة واحدة) يعنى النفخة الاخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) أى للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وأزواجهم فى ظلال) يعنى أكنان القصور (على الارائك) يعنى السرر فى الحجال (متكؤن) أى ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أى فى الجنة (ولهم ما يدعون) يعنى ما يتمنون و يشتهون والمعنى ان كل ما يدعون أى أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم و ينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقولوا اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت و يردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض ۞ قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم) أى ألم آمركم وأوصكم يا بنى آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) يعنى لا تطيعوه فيما يوسوس و يزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) أى أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) أى لا صراط أقوم منه ۞ قوله تعالى (ولقد

اضل

أضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعنى ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس و يقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) أى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) ﴿ قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يعنى الآية ان الكفار ينكرون و يجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل و يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح أبلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك و برسلك وصليت وصمت وتصدقت و يثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه و يقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه قوله أى فل يعنى يا فلان قوله وأسودك أى أجعلك سيدا قوله وأذرك ترأس أى تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أى تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها و روى ترتع بتاء بن أى تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أى ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا و بالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه و يقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أى لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا أى هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أى أجادل وأخاصم ﴿ قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أى أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) أى فبادروا الى الطريق (فانى يبصرون) أى كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا وارشدوا فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) أى لا يقدرون أن يبرحوا (ولا يرجعون)

أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على الا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لاعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط (فانى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير أو حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم أبو بكر و حماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء أو مضيا امامهم ولا يرجعون

(ومن نعمره ننكسه) عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون ننكسه (في الخلق) أي نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا
خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى أن يبلغ أشده
ويستكمل قوته ويعقل و يعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبيهة بحال الصبي في ضعف
جسده وقلة عقله وخلوه من العلم (١٢) كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر
لكيلا يعلم من بعد علم شيأ (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم و يمسخهم على مكاناتهم و يبعثهم بعد الموت و بالتاء مدني و يعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققته (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض
وأما قوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت فما هو الا من جنس كلامه في
الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق في خطب
الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون
وفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي المعلم (الا ذكر وقرآن مبين) أي
ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز

أي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي نرده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد و ينتقل من حال الى حال الى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه في الخلق (أفلا يعقلون) أي فيعتبرون و يعلمون أن الذي قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت ﴿قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت

* كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله انما قال الشاعر

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا حديث مرسل

وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة و يقول و يأتيك بالاخبار من لم تزود * أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * و يأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول و يأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا الا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره (وقرآن مبين) أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب و يتلى

الدار بن فكم بينه و بين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أى لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم أمر (لا يستطيعون) أى آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) أى الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) (١٣) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل فى أبى بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم

فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) اى يا محمد وقرئ بالياء اى القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لان الكافر كالميت الذى لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أى وتجب حجة العذاب (على الكافرين) ﴿ قوله عز وجل (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أى تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد فى انشائه كقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التى لا يقدر عليها الا هو (انعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أى الابل (ومنها يأكلون) أى الغنم (ولهم فيها منافع) أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أى من ألبانها (أفلا يشكرون) أى رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (لعلهم ينصرون) أى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كأنهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أى فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أى من عبادة الاصنام

(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحاليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفتة العظم (ونسي خلقه) من المني فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أي خلقنا اياه (قال من يحي العظام وهي رميم) هو اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيهما من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لاتحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها أول مرة أي ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لاتخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون)

(١٤)

تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي أقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبدأ وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لامحالة فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ماقالوا (الذي بيده ملكوت كل شئ) أي ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شئ (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا

* تفسير

وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى ۞ قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) أي من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار و يبرز لمجادلته في انكاره البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة قذرة وبدع الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأتاه بعظم قد رم و بلي ففتته بيده وقال أترى يحي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) أي بدء أمره (قال من يحي العظام وهي رميم) أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أي من الابداء والاعادة (عليم) أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدأ والمعاد (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعني يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أي بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيأ) أي احداث شئ وتكوينه (أن يقول له كن) أي يكونه من غير توقف (فيكون) أي فيحدث ويوجد لامحالة (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ) أي هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أي تردون بعد الموت والله أعلم

فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا أشبعه الله وان كان ظمآن أرواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان فى السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم ﴿سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) (١٥) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم أجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو مبتدأ محذوف أى هو رب (وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعنى أو على اعمال المصدر منونا فى المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أى بان زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بان زان الله الكواكب

﴿تفسير سورة والصافات﴾

وهى مكية وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف لفظ أبى داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعنى أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﴿ وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب ﴿ قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى

وحسنها لانها اغماز ينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبى بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير فى (لا يسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الشياطين يسمعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أوفلم يسمع و ينبغى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما فى قوله

* ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن (١٦)

المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملا الاعلى) أى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أولان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (الامن) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) أى سلب السلبة يعنى أخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فاتبعه) لحقه (شهاب) أى نجم رجم (ثاقب) مضىء (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى حلقه شدة أو أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك

السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون الى الملأ الاعلى) يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أى يرمون بها (من كل جانب) أى من آفاق السماء (دحورا) أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أى دائم (الا من خطف الخطفة) أى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبعه) أى لحقه (شهاب ثاقب) أى كوكب مضىء قوى لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة ﴿ وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير أى هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نىء (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشىء وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من ألكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شىء ولكن

(و يسخرون) هم منك ومن تعجبك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حمزة وعلي أي استعظمت والعجب روعة تعتري الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى الاستعظام في حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يستدعي بعضهم بعضا ان يسخر منها أو يبالغون في السخرية (وقالوا ان هذا) ماهذا (الا سحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي أنبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أوآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدني وشامي أي أيبعث واحد منا على المبالغة في الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هي) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هي الا (زجرة واحدة) وهي لا ترجع الى

شئ انما هي مبهمة موضحها خبرها و يجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون مايحل بهم (وقالوا ياويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أي اليوم الذي ندان فيه أي نجازى باعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذي كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون ياويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أي واشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعي هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال أي مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر

وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (و يسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) أي واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يستسخرون) أي يستهزؤن وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أي بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون) أي صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فاذاهم ينظرون) يعني أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجمعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم و يروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (٣) فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجها الترمذي وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (مالكم لا تناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون)

---

(٣) قوله فيما أفناه الخ كذا في النسخ باثبات الف ما الاستفهامية وهو قليل

(وأقبل بعضهم على بعض) أي التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أي الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أي انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قالوا) أي الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أي بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله * فقد زعمت هوازن قل مالي * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغي (انا كنا غاوين) فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (١٨) (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أي بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامي وكوفي (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفي ومدني وكذا ما بعده أي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (في جنات النعيم) يجوز أن يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكاس) بغير همز أبو عمرو وحمزة في الوقف وغيرهما بالهمز يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر

قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) أي يتخاصمون (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين أي عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أي ضالين (فحق علينا) أي وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعني كلمة العذاب وهي قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لذائقون) يعني ان الضال والمضل جميعا في النار (فأغويناكم) يعني فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أي ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) يعني الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعني انه انما أتى بما أتى به المرسلون من قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) أي لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أي الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أي بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (في جنات النعيم على سرر متقابلين) يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا كما قال الشاعر

وكأسا

(بيضاء) صفة للكاس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (للشاربين لا فيها غول) أي لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون علي وحمزة أي لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أي نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون في الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فأقبل بعضهم) يعني أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون و يتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وكأس شربت على لذة * ومعنى معين أي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعني ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أي لذيذة (للشاربين لا فيها غول) أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) أي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أي حابسات الاعين غاضات العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) أي حسان الاعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) أي مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض في صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور ۞ قوله عز وجل (فأقبل بعضهم على بعض) يعني أهل الجنة في الجنة (يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا (قال قائل منهم) أي من أهل الجنة (اني كان لي قرين) أي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) أي بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكاري (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أي الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أي لننظر كيف منزلة أخي في النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أي المؤمن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار (فرآه في سواء الجحيم) أي فرأى قرينه في وسط النار سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) أي والله لقد كدت ان تهلكني وقيل لتغويني ومن أغوى انسانا فقد أرداه وأهلكه (ولولا نعمة ربي) أي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام (لكنت من المحضرين) أي معك في النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) أي في الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا

وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على ما عرف في اخباره (قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك) بهمزتين شامي وكوفي (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار أو قال الله تعالى لاهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أي قرينه (في سواء الجحيم) في وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء في الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربي) وهي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذا حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت في الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) أي الامر الذي نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل

(لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أى من طلعها

(٢٠)

(فمالئون منها البطون) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) خلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أى انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم نحن فى الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعنى الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) أى الا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ❊ ولما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله انى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن

الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقول المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته ❁ قوله تعالى (أذلك) أى الذى ذكره لاهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أى رزقا (أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بارض تهامة من أخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) أى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى فى قعر النار وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) أى ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء فى الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أتقتلنى والمشرفى مضاجعى ❊ ومسنونة زرق كانياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أى من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أى خلطا ومزاجا (من حميم) أى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم فى بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم ألفوا) أى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) أى من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) أى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى أنظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أى دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون)

الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب و يافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فى العالمين) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزى المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين

(٢١)

أو شايعه على التصاب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الانبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجىء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بانهم على افك و باطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك فى نفسها أو حالا أى اتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أى شىء ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم وفما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم أنه استدل بامارة على أنه يسقم (فقال انى سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم حق ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأسقم أو من الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه وأراد انى سقيم النفس لكفركم كما يقول أنا مريض القلب من كذا

نحن أى دعانا فاجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى من الغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعنى ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه فى الآخرين) أى أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) أى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه فى الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزى المحسنين) أى جزاه الله باحسانه الثناء الحسن فى العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعنى الكفار ۞ قوله عز وجل (وان من شيعته) أى من شيعة نوح (لابراهيم) يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتأفكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون و يتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة

(فتولوا) فاعرضوا (عنه مدبرين) أى مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألاتأكلون) وكان عندها طعام (مالكم لاتنطقون) والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) أى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا كأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ما تنحتون) بايديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فارادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى و يعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) حفص والباقون بكسر الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) و بفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو وقيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك

الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (الاتأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (مالكم لاتنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده اليمنى لانها أقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) أى الى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) أى بايديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فارادوا به كيدا) أى شرا وهو ان يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) أى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشأم فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) أى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش و ينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم ۞ قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام

وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبما ذكر أيضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أى ابنى ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذى أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا ان قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح أاسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

﴿ذكر الاشارة الى قصة الذبح﴾

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشر به قال هو اذاً لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب فى أمر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك (فانظر ماذا ترى) أى من الرأى على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره فى أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما

من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ترى على وجزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه

شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك قلت ان هذا الامر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعنى انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أى صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطى كيلا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد واذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكى وقد ربطه والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيأ قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول أبلغ فى القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبنى لوجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان فى صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله انى لارى الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عنى يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربى فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه) أى فنودى من الجبل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما

كان

قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى ما تؤمر به وقرئ به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى أن الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لا أوذيك اذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى واجعل وجهى الى الارض ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرأ على أمى السلام وان رأيت ان ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى ان ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حققت ما أمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه

(انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو مايذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لوتمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لااله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الابل ولان قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى أن احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادى ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به وههنا اشكال وهو أنه لايخلو اما أن يكون ماأتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل مايفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضى فيه وهذا لايقدح فى فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسماعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذى أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب فى آخر الحال على ان المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمرفقة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لاقبله وقد سمى فداء فى الكتاب لانسخا (وتركنا عليه فى الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزى المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما فى غيره لانه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحها اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولابد من تقدير مضاف محذوف بشرناه أى بوجود اسحق نبيا أى بان يوجد مقدرا نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبى لابد وأن يكون من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحق) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بان أخرجنا من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين)

كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل مايفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك نجزى المحسنين) يعنى جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذى قربه ابن آدم قيل حق له أن يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه فى الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن مافدى اسمعيل الا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه فى الآخرين) أى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) ۞ قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرنا بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعنى على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) أى بكون أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن (وظالم لنفسه) أى كافر (مبين) أى ظاهر الكفر وفيه تنبيه

على انه لايلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن ﴿ قوله عز وجل (ولقد مننا على موسى وهارون) أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعني بني اسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أي الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ قوله عز وجل (وان الياس لمن المرسلين) روي عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من أنبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

﴿ذكر الاشارة الى القصة﴾

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتلاه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يارب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الارض وأهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل وأي شئ تريد أن أعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وان

كانوا

أمرهما على العرف والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على مااجترحت يداه لا على ماوجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بني اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أومن سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أي موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس في موضع الياس

كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي ولكن أعطيك
ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شئ أعيش يارب قال أسخر لك جيشا من الطير
ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم
المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه
يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر
الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه
حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله
كذا وكذا فوصفته صفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه آوى الى بيت امرأة
من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا لابنها فعوفي من الضر
الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن
واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم
والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعني أكن انا الذي ادعوهم بالفرج مما
هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقال له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل
فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على
باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل
علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوتم الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا
باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس
ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق
ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم
ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم
فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج
الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي
الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو
الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من
بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز
وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته أربيل
في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت
لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى اليه وأيده
فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السدي عن يحيي
ابن عبد العزيز عن أبي رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام
وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال
لقومه الا تتقون اتدعون بعلا) يعني أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك
قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أي وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدون (الله ربكم
ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي من قومه الذين آمنوا به
فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل

(اذ قال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (أتدعون) أتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل في الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بنصب الكل عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) في النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) أي الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعني أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامي ونافع لان ياسين اسم أبي الياس فاضيف اليه الآل

(انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (و بالليل) والوقف عليه مطاق (أفلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرد بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه الطالب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم) داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس

محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس وأتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) ۞ قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أى أهلكنا (الآخرين وانكم) أى يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أى على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أى فى وقت الصباح (و بالليل) أى و بالليل فى أسفاركم (أفلا تعقلون) أى فتعتبرون بهم ۞ قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أى هرب (الى الفلك المشحون) أى المملوء قال ابن عباس و وهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأة وابنان له فجاء مركب فاراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة ۞ قوله عز وجل (فنبذناه) أى طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) أى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد و ينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان

(وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرآى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال لك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) أى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلاتذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله

الذباب لايجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولاتحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ما روى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم ۞ قوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلاتذكرون) أى أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لايحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) أى من الاصنام (ما أنتم عليه)

(بفاتنين) بمضلين (الامن هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الامن قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الامن أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) أحد (الاله مقام معلوم) فى العبادة لايتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح

ذلك فانكم وآلهتكم لاتقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الامن كان من أهل النار وكيف نكون مناصبين لرب العزة ومانحن الاعبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لايستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ومامن المسلمين أحد الاله مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لايجوز عليه (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (ان عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصر ماينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو

أى على ماتعبدون (بفاتنين) أى بمضلين أحدا (الامن هو صال الجحيم) أى الامن سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار ۞ قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الاله مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومامنا معشر الملائكة ملك الاله مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الاوعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أبوذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع الاوملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث مافى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الاله مقام معلوم أى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا اقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض (وانا لنحن المسبحون) أى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ۞ قوله عز وجل (وان كانوا ليقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) أى فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم ۞ قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أى بالحجة البالغة (وان جندنا) أى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أى لهم النصرة فى العاقبة (فتول) أى أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أى اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أى ذلك فعند ذلك قالوا متى

هذا

للوعيد لا للتبعيد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلهم فسوف يعلمون (افبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا والان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب

الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد انه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لان في تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم وختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه ومن أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا

هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر وذكر ما تقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أي العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) أي عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) أي الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) أي على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ص﴾ ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع

فى عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول (٣٢) من أنفسهم ينذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى ان عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقدعلمت مافعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أتعطوننى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أى أصيران هذا الشئ عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب ما لا مثل له (وانطلق الملأ منهم أن امشوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو أن هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه

القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بصاد والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة فى عزة أى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الامم الخالية (فنادوا) أى استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص أى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص أى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) ﴿قوله عز وجل﴾ (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملامن قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى أبى طالب فأتوا الى أبى طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فارسل اليه أبو طالب فدعابه فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألوننى قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه أتعطوننى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا الشئ عجاب) أى عجب (وانطلق الملأ منهم) أى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب (أن امشوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشئ يراد) أى لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان علاك علينا

(ماسمعنا

ماسمعنابهذا) بالتوحيد (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ماهذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم و ينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن بل لما يذوقوا عذاب بل هم لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد حينئذ أى انهم لا يصدقون به الآن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا و يصرفوها عمن شاؤا و يتخيروا للنبوة بعض صناديدهم و يترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ماتقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما) حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم (٣٣) فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله و ينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أوالى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدأ (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بمايقولون ولا تكترث لمابه يهذون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذوالاوتاد) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد فى يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها و بين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا و بالاستثنائية ثانيا ومافى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق

(ماسمعنابهذا) أى بالذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه (ان هذا الا اختلاق) أى كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) أى يقول أهل مكة ليس هو باكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى وماأنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أى لوذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) أى فى ملكه (الوهاب) الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما) أى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) يعنى ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحى الى من يختاروا وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) أى مغلوب (من الاحزاب) يعنى ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) قال ابن عباس ذوالبناء المحكم وقيل ذوالملك الشديد الثابت والعرب تقول هو فى عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

واقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذوقوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذوالقوة والبطش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ذوالجنود والجموع الكثيرة يعنى انهم يقوون أمره و يشدون ملكه كمايقوى الوتد الشئ وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التى كانوا يضربونها و يوتدونها فى أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) أى الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركى قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل

أشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق عقاب) اى فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وماينظر هؤلاء) وماينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الاصيحة واحدة) أى النفخة الاولى وهى الفزع الاكبر (مالها من فواق) وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطعه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قطا لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك

وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله مالقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين ومما يدل على ان الايد القوة فى الدين قوله (انه أواب) أى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الايد روى انه كان يصوم يوما و يفطر يوما وهو أشد الصوم و يقوم نصف الليل (انا سخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ و حالا بعد حال (بالعشى والاشراق) أى فى طرفى النهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق الى وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله و يديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح

فحق عقاب) يعنى ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين (وماينظر) أى ينتظر (هؤلاء) يعنى كفار مكة (الاصيحة واحدة مالها من فواق) أى رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أى حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى حصرت كل شئ قيل لما نزلت فى الحاقة فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أى حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أى على ما يقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة فى العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود وكان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه وقيل معناه ذا القوة فى الملك (انه أواب) أى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) أى بتسبيحه اذا سبح (بالعشى والاشراق) أى غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس و يتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدرى ما هى حتى حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذى أخرجاه فى الصحيحين من حديث أم هانئ فى صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال ما حدثنا أحد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود ۞ قوله تعالى (والطير) أى وسخرنا له الطير (محشورة) أى مجموعة اليه تسبح معه (كل له أواب) أى رجاع

الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبنى بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله الى داود فى منامه أن يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعنى النبوة والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام ۞ قوله عز وجل (وهل أتاك) أى وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أى خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أى صعدوا وعلوا المحراب أى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام * واختلف العلماء بأخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ما قاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت

(وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فان من تكلم فى الامر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى
يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء
ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدأ محذوف أى نحن
خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى
سواء الصراط) وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام

كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام
الانبياء. وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين لهما
وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة
على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى
اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس
الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل

ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشايع بنت تشايع امرأة أوريا
ابن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث
أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى
يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا
أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن أبعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا
فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل
ان داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه قال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من
الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى
الدنيا وازديادا من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ
الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم
ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى
نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم
عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت
حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان
داود عليه السلام ما زال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم
قال خبرونى بأى شئ أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه
ليت شعرى كيف أكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين أن يعتزلاه
ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى أن ظن أنه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى
أن يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لاعدلن
بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته
فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال
كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود
ففزع منهم) أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من أدخلكما على (قالوا لا تخف
خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت
اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض
الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط) أى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أى أرشدنا الى طريق الحق والصواب فقال

أن التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان
هذا اخي) هو بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له
تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) ولي حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض
الملائكة في أنفسهم كما تقول لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها ومالكما من الاربعين الا أربعة ولا ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعن ابن عباس رضي الله عنهما (٣٧) اجعلها كفلي أي نصيبي (وعزني) وغلبني

لهما داود تكاما فقال أحدهما (ان هذا أخي) أي على ديني وطريقتي لا من جهة النسب (له تسع وتسعون
نعجة) يعني امرأة (ولي نعجة واحدة) أي امرأة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل
التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أي أعطنيها وقيل
معناه انزل لي عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزني في الخطاب) يعني غلبني
وقهرني في القول لانه أفصح مني في الكلام وان حارب كان أبطش مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت
له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها
داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود
(لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أي بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن
سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما
يقول (وان كثيرا من الخلطاء) أي الشركاء (ليبغي بعضهم على بعض) أي يظلم بعضهم بعضا (الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ماهم) أي هم قليل وما صلة والمعنى ان
الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء
فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أي أيقن وعلم (انما فتناه) أي
ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتهما
وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه انما عني به وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أنس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة
فهم فقطع على بني اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان
التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل
زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع
من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق
والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد
أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر
لي الهم الذي هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمي الذي
عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء
الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود ان
الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان
لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير في قصة امتحان داود

يقال عزه ويعزه (في الخطاب) في الخصومة أي انه كان أقدر على الاحتجاج مني وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني ووجه التمثيل ان مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى
نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد ان آخذها
منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب
منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغي
بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم
مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أي علم وأيقن وانما استعير له لان الظن الغالب يداني العلم (انما فتناه) ابتليناه

﴿فصل﴾ في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه مالو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضي عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم فان قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ شيء مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على ان قال للرجل أنزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أورياء والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم ۞ قوله عز وجل (فاستغفر ربه) أي سأل ربه الغفران (وخر راكعا) أي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

﴿فصل﴾ اختلف العلماء في سجدة ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن أحمد في

(فاستغفر ربه) لزلته (وخر راكعا) اي سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على ان الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة

سجدة ص روايتان وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن
عباس أسجد في ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر أن يقتدى
بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما
كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي
توبة نبي ولكني رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود وقوله تشوف الناس يعني تهيؤا
وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله
رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم
اكتب لي بها أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه
الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره
الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو
لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول
رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي
الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين
عدوي ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا اليه
صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق
النور الهي بأي عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي
قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من أين يطلب العبد المغفرة
الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور
الهي انا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب
العظيم الذي اصابه سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث
كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي
ولا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور الهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني
سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين
سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى
رأسه فنودي ياداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فاجيب في غير ما طلب ولم
يجب في ذكر خطيئته بشيء فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له
التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء اني قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب
الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم
نادى ياأوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يانبي الله قال أسألك أن
تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فانت
في حل فاوحى الله تعالى اليه ياداود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالتعنت ألا أعلمته انك قد تزوجت امرأته
قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال انا داود قال ما جاء بك يانبي الله أليس

قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني قال ياداود أعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدي فيقول يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يارب الآن قد عرفت انك غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أي رجع (فغفرنا له ذلك) أي الذنب (وان له عندنا) أي يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) أي لقربة ومكانة (وحسن مآب) أي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسبح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ماترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك ۞ قوله عز وجل (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) أي لتدبر أمر الناس بامرنا فنفذ الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف أمر الله تعالى

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا للصلاة مكتوبة أو ما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع (فغفرنا له ذلك) أي زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربى (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) أي استخلفناك على الملك في الارض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أي بحكم الله ان كنت خليفة أو بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في قضائك

(فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوي باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكاليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق

العالم (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعني القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبر وقرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ بالقرآن أولو العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أي سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أي كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشي) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروي ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره

(فيضلك عن سبيل الله) أي عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضاء ﴿قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لا لشيء (ذلك ظن الذين كفروا) يعني أهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعني الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء في الآخرة (كتاب أنزلناه اليك) أي هذا كتاب يعني القرآن أنزلناه اليك (مبارك) أي كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) أي ليتدبروا ويتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيه (وليتذكر) أي وليتعظ (أولوا الالباب) أي ذوو العقول والبصائر ﴿ قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل فضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في أيدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من

بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو على أحببت بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير أى المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذى دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولابد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام (ردوها على) أى قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى بقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاونه اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكر الرد الشمس وكانت الخيل ماكولة فى شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه

النار أى قياما الجياد أى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى أحببت حب الخير) أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر بى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) أى استترت الشمس (بالحجاب) أى ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) أى ردوا الخيل على (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) أى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على مافاته من فرض ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بامر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد أن يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول أن يدعى ان لفظ الآية لا يدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ۞ قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما تراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فامر

سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع في ملكه وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شئ من بيوته دخل حاضرا سليمان أو غائبا فأتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفذ عمري وقد حان مني الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتني جعلت تثني على خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان اذا دخل الخلاء أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمي أمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شئ يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال امهلوني حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان لله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض

الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما برغيف وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه في البحر * وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام أن جرادة كانت أبر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة فأحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فأقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ ألقي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه وذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لي) أي سأل ربه المغفرة (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) أي لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري (انك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص

(وألقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فألقي ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام في تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون (لاحد من بعدي) أي دوني بفتح الياء مدني وأبو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب) فسأل

فسخرنا له الريح) الرياح أبو جعفر (تجرى) حال من الريح (بامره) بامر سليمان (رخاء) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حيث) ظرف تجرى (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الابنية (وغواص) أى ويغوصون له فى البحر لاخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مقرنين فى الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فاعط منه ماشئت من المنة وهى العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان اذا أعطى أجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير (٤٥) عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لاحساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عند الخبر (واذكر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أنى مسنى) بانى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد تنقيل نصب بنصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم مانزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان أن الله لايبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أنه ذبح شاة فاكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلازلة سبقت منه (أركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الارض وهى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ماتغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى باعيانهم وزاد مثلهم (رحمة منا وذكرى لاولى الالباب) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه من الصبر رغبهم فى الصبر على البلاء

فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا ۞ قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) أى لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أى حيث أراد (والشياطين) أى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أى يبنون له مايشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) أى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) أى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) أى أحسن الى من شئت (أو أمسك) أى عمن شئت (بغير حساب) أى لاحرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه أو أمسك أى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لاتبعة عليك فيما تتعاطاه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه فى الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه فى الآخرة ۞ قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) أى بمشقة (وعذاب) أى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعنى أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أى اضرب (برجلك) يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أى انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لاولى الالباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر

(وخذ) معطوف على أركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية و يجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة والسبب في يمينه انها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكا الى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة لقوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (انه أواب واذكر عبادنا) عبدنا مكي (ابراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالايدي أو كان العمال جذماء لا أيدي لهم

وعلى هذا ورد قوله (أولي الايدي والابصار) أي أولي الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لاشوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى في محل النصب أو الرفع باضمار أعني أو هي أو الجر على البدل ذكر من خالصة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو ديدن الانبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدني ونافع وهي من اضافة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى مصدر مضاف الى المفعول أي باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهي مضافة الى الفاعل أي بان خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كاموات في جمع ميت أو ميت (واذكر اسمعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف اليه أي وكلهم (من الاخيار هذا ذكر

فهو موعظة لذوي العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه في ضربها وسهل له الامر وأمره بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لايوب خاصة أم لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) أي على البلاء الذي ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) ۞ قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) أي اذكر صبرهم فابراهيم ألقي في النار فصبر واسحق أضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (أولي الايدي) قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله تعالى (والابصار) أي في المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدي والابصار (انا أخلصناهم) أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعني لمن الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) أي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) ۞ قوله عز وجل (هذا ذكر) أي الذي يتلى عليكم

وان للمتقين لحسن مآب) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها الا ان الاول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات أسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كان اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون) وبالياء مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدا محذوف أى الامر هذا أو هذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دفعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب وصليهم أى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا

ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه ۞ قوله تعالى (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) أى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا)

فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لا نرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى مالنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها فقسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكيناعنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (وما من اله الا الله) وأقول ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى لانما

أى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب و بلال وسلمان وانما سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أى أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أى الذى ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة ۞ قوله عز وجل (قل) أى يا محمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) أى مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعنى الذى لا شريك له فى ملكه (القهار) أى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (أنتم عنه معرضون) أى لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ما جئت به لم أعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة (اذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز أن يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الى) أى انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الا انما أنا نذير مبين) يعنى الا انما أنانى أنذركم وأبين لكم ماتأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى ربى فى أحسن صورة قال أحسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام

نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿فصل في الكلام على معنى هذا الحديث﴾ وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان * أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * المذهب الثاني هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن ابن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد الا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في المنام فاما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين * أحدهما وأتاني أحسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته له وانما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحي وثقله * الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه أنه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العالية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته به عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يديه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية البارئ عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أنها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد

أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى الا لانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس لي غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أي الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيأ آخر وقيل النبا العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم

(اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أي في شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة اني خالق بشرا من طين) وقال اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحي) الذي خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا انهم سجدوا عن آخرهم جميعهم في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بإباء الامر (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدي) أي بلا واسطة امتثالا لامري واعظاما لخطابي وقد مر ان ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي (استكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التي أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أي مطرود تكبر ابليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتي) بفتح الياء مدني أي ابعادي من كل الخير (الى يوم الدين) أي يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة في الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أو لما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه في غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرني) فأمهلني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) أي أقسم بعزة الله وهي سلطانه وقهره (الا عبادك منهم

سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم ﴿قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) يعني آدم (فاذا سويته) أي أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) أي تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أي توليت خلقه (استكبرت) أي تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنتم من العالين) أي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه واخطأ ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها أو أفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أي مطرود (وان عليك لعنتي الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه (قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعني النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين

المخلصين) وبكسر اللام مكي وبصري وشامي (قال فالحق) بالرفع كوفي غير علي على الابتداء أي الحق مني أو على الخبر أي أنا الحق وغيرهم بالنصب على انه مقسم به كقوله الله لافعلن كذا يعني حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله ان الله هو الحق أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أي لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا (قل ما أسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن (ان هو) ما القرآن (الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحي الى

فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

﴿سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) أي القرآن مبتدأ خبره (من الله) أي نزل من عند الله أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) في سلطانه (الحكيم) في تدبيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) أي ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا (الا لله الدين الخالص) أي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر أي تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيما هم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدي

المخلصين قال فالحق والحق أقول) أي أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعني فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه (لأملأن جهنم منك) أي بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم أجمعين) يعني من بني آدم (قل ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (وما أنا من المتكلفين) أي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخاري (ان هو) يعني القرآن (الا ذكر) أي موعظة (للعالمين) أي للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعني أنتم يا أهل مكة (نبأه) أي خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزمر﴾

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أي لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي لم ننزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) أي الطاعة (ألا لله الدين الخالص) أي شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي أمر به لان رأس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) أي من دون الله (أولياء) يعني الاصنام (ما نعبدهم) أي قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعني قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين (ان الله لا يهدي) أي يرشد

من هو كاذب كفار) أي لا يهدي من هو في علمه أنه يختار الكفر يعني لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم
قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أي
لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا اليه من
الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعني أنه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والاولاد قهار
غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر
وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد
لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أي يوم القيامة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة)
أي آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أي حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق
بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أي جعل عن الحسن أو خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أو لانها لا تعيش الا بالنبات
والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين في سورة الانعام
والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق
(في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذي هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله
الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين أنه غني عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غني عنكم) عن ايمانكم
وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان

لدينه (من هو كاذب) أي من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) أي باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد
الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) أي لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه)
أي تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد
(القهار) أي الغالب الكامل القدرة ۞ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل) يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما
ويزيد في الآخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع
ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر
وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) يعني الى يوم القيامة
(ألا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل
القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ثم جعل منها
زوجها) يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار
ثم أتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج)
يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه
قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو
ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذي تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت في
الجنة ثم أنزلت الى الارض (يخلقكم في بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم أتبعه
بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وانما
قال في بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعني نطفة
ثم علقة ثم مضغة (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب
وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أي الذي خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) أي لا لغيره (لا اله
الا هو) أي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأنى تصرفون) أي عن طريق الحق بعد هذا
البيان ۞ قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غني عنكم) يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه
نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني عن الخلق على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع
المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غني عن جميع
العالمين

(ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا الله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذا مس

العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ﴿ ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى أنه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) أى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) أى فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب ﴿ قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) أى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) أى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى) أى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) أى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى فى الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله أندادا خير أمن هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أى يخاف (الآخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم ينسب الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين

الانسان) هو أبو جهل أو كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس فى الاعراض مجاز (دعا ربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أى نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى أو نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) أمثالا (ليضل) ليضل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أى الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أى فى الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرئ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير فى قانت (يحذر الآخرة) أى عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون أمنا والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوى الذين

يعلمون والذين لايعلمون) أى يعلمون و يعملون به كانه جعـل من لايعمل غير عامل وفيـه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لايقتنون و يفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عندالله جهلة حيث جعـل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كمالا يستوى العالم والجاهل كذلك لايسـتوى المطيع والعاصى (انمـا يتذ كرأولوالالباب) جمع لب أى انمـا يتعظ بوعظ الله أولوالعقول (قل ياعباد الذين آمنوا) بلاياء عند الاكثر (اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيـه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسـنة) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق باحسـنوا لابحسنه معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسـنة لاتوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسـنة بالصحة والعافية

(٥٤)

ومعنى (وأرض الله واسعة) أى لاعذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بانهم لايتمكنون فى أوطانهـم من التوفر على الاحسان قيـل لهم فان أرض الله واسـعة وبلاده كثيرة فتحـولوا الى بلاد أخر واقتـدوا بالانبياء والصالحـين فى مهاجرتهم الى غـير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهـم (انمـا يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غـيرها من تجرع الغصص واحتمال البـلايا فى طاعـة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضى الله عنهما لايهتدى اليـه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أى موفرا (قل انى أمرت أن أعبد الله) بان أعبد الله (مخلصا له الدين) أى أمرت باخـلاص الدين (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل ان أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقا فالاول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالواله عليه السلام ألاتنظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت رداعليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحـده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالـكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفـعل لاجـله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ماشـئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الـكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلا كها فى النار

يعلمون) أى ماعندالله من الثواب والعقاب (والذين لايعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمـار وأصحابه والذين لايعلمون أبو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انمـا يتذكر أولو الالباب) قوله تعالى (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من أمر بالمعاصى فى بلد فليهرب منـه وقيل نزلت فى مهاجرا الحبشـة وقيل نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لمـا نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انمـا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال على بن أبى طالب كل مطيع يكال له كيلا و يوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهـم حثيا وروى أنه يؤتى بأهل البـلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان و يصب عليهم الاجر صـبا بغير حساب حتى يتمنى أهـل العافية فى الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لمـا يذهب به أهل البلاء من الفضـل ۞ قوله عزوجل (قل) يامحمد (انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى مخلصا له التوحيد أى لاأشرك به شيأ (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لاتسـتفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فـكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسـلم ماحملك على هذا الذى اتيتنا به ألاتنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله تعالى هـذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصا له دينى) فان قلت مامعنى التـكرار فى قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى قلت هذا ليس بتـكرار لان الاول الاخبار بانه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بانه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت ان أعبد الله لايفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم

وأهليهم

(وأهليهم) إى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا و بالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل الآخرين أى النار محيطة بهم (ذلك) الذى وصف من العذاب أى وذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت

مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وأنابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) أى المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفانت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة ومعناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه فانت تنقذه أى لا يقدر أحد ان ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه انه من أهل النار

وأهليهم) يعنى أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه و بين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أى أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أى فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثانى أن الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لانها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (ياعباد فاتقون) أى نخافون ۞ قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أى فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر وأما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقع من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون أحسنه) أى أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى (أولئك الذين هداهم الله) أى الى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولو الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل هؤلاء فى النار ولا أبالى (أفانت تنقذ من فى النار) أى لا تقدر عليه قال ابن

(لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت منازلها (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد و ينابيع (٥٦)

نصب على الحال أو على الظرف وفى الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة و بياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لاولى الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أى وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان و بصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم (أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) فى ايقاع اسم الله مبتدأ و بناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه

عباس رضى الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقى فى الافق أى فى ناحية المشرق أو المغرب ۞ قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) أى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى وكل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أى مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه) أى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) ۞ قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أى على يقين و بيان وهداية روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها الذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع و يعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه الا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل ۞ قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا

متشابها

(متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثانى) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته ألا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كأنه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) يخلق الضلاله فيه (فماله من هاد) الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

متشابها) أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثانى) أى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) أى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) أى القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) أى يهديه قوله عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على

(وقيل للظالمين) أى تقول له خزنة النار (ذوقوا) و بال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجؤا من مأمنهم (فاذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح

(٥٨)

وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى و بال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فاذاقهم الله الخزى) أى العذاب والهوان (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ﴿قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (قرآنا عربيا) أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق و يروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الاولى على التقوى فى هذه الآية قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه ﴿قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) أى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فاى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لا يستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لا يعلمون) أى أن المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له ﴿قوله تعالى (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم فى عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم

(غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوده بمعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه و يتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته ومن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو وتسألنى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك واياهم فى عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) أى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم

مختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به وماهو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذى هو الصدق (٥٩) بعينه وهو ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجاءه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق و باطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه انه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه فى العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشئ الى ماهو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أى محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) اى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها

القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن أبى سعيد الخدرى فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار ۞ قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) أى بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس فى جهنم مثوى) أى منزلة ومقام (للكافرين) ۞ قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) أى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيؤن به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أى الذين اتقوا الشرك (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أى فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها ۞ قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك

لعبيك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذي انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عني (أو أرادني برحمة) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصري وفرض المسئلة في نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما ألقمهم الحجر قال الله تعالى (قل حسبي الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي (٦٠) الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (اني عامل) أي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أي عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ماهي به حية حساسة دراكة (والتي لم تمت في منامها) ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التي قضى) قضى حمزة وعلي (عليها الموت) الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى

انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) أي منيع في ملكه (ذي انتقام) أي منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعني ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (ان أرادني الله بضر) أي بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة) أي بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبي الله) أي هو ثقتي وعليه اعتمادي (عليه يتوكل المتوكلون) أي عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أي اجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع (اني عامل) أي فيما أمرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي أنا أو أنتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم وهو تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (للناس بالحق) أي ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) أي نرجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أي يرجع وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ۞ قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أي الارواح (حين موتها) أي فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الاجساد (والتي لم تمت في منامها) والنفس التي يتوفاها عند النوم وهي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى

اجل

أجل مسمى) الى وقت ضرب به لموته وقيل يتوفى الانفس أي يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في المنام هي نفس التمييز لا نفس الحياة اذ لو زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارق اذا نام وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضي الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير ان أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها الى انقضاء

مدة حياتها وروي أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له في السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (ان في ذلك) ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ قط ولا عقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أي اذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت) أي نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعني آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه والعامل في اذا ذكر هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أي يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية

أجل مسمى) أي الى أن يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في البعث وذلك أن توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها ۞ قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعني الاصنام (قل) يا محمد (أولو كانوا) يعني الآلهة (لا يملكون شيأ) أي من الشفاعة (ولا يعقلون) أي انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أي لا يشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) أي لا ملك لاحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) أي في الآخرة ۞ قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) أي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (اذا هم يستبشرون) أي يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل ۞ قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه

(أنت تحكم) تقضي (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لاأعرف آية قرئت فدعي عندها الاأجيب سواها وعن الربيع ابن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فمازاد ان قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط في حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لي من الله مالم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي سيآت أعمالهم التي كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه تفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي وانما ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعمة وقسما منها وقيل ما في انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أي ان الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) انكار له كأنه قال ماخولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لايعلمون) انها فتنة والسبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله جميعا

واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يارب لايحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان في جعله سببا في الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهي قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أي قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها

(٦٢)

بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي من أمر الدين (م) عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها باي شئ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ۞ قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي مالم أكن أحتسب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) أي شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) أي من الله تعالى علم اني له أهل وقيل على خير علمه الله عندي (بل هي فتنة) يعني تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لايعلمون) يعني انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندي (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

أي فما أغنى الكفر من العذاب شيأ (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين) أي بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقتر ويضيق على من يشاء (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون ۞ قوله تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية ان اناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فأرسل اليه كيف تدعوني الى دينك وأنت تزعم ان من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فأسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولاعدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا جميعا وهاجروا * وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيأ من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجوناله وقوله أسرفوا على نفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لاتقنطوا من رحمة الله أي لاتيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لايمكن قلت المراد منها التنبيه على أنه لايجوز أن يظن العاصي أنه لامخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

(فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية) روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب

(فأصابهم سيآت ما كسبوا) أي جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أي من مشركي قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لاقابض ولاباسط الا الله عزوجل (قل ياعبادي الذين) وبسكون الياء بصري وحمزة وعلي (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها (لاتقنطوا) لاتيأسوا وبكسر النون علي وبصري (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفي قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظيره نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولايخاف عقباها قيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أى يفجؤكم وأنتم غافلون كانكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوزان يراد التكثير (ياحسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على ما فرطت) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم

جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى قال حديث حسن غريب (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فاتى راهبا فسأله فقال هل لى من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فضرب بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربى وأوحى الله الى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه أن تقربى والى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض الذى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فاحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله تعالى الارض فقال اجمعى ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما فى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها ۞ قوله عز وجل (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أى أخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون منه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الاية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يعنى غافلين عنه (أن تقول نفس) أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال ان تقول نفس (ياحسرتا) أى ياندمى وياحزنى والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات (على ما فرطت فى جنب الله) أى على ما قصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله

يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها او محل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي (أو تقول لو أن الله هداني) أي أعطاني الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا الاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى

جواب لنفي تقديري لان المعنى لو أن الله هداني ماهديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لابد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس في جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجي الله) وينجي روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أي لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شئ) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شئ وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شئ فهو مهيمن عليه فلا

و برسوله و بالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (أو تقول لو أن الله هداني) أي أرشدني الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أي الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أي عيانا (لو أن لي كرة) أي رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) أي الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي) يعني القرآن (فكذبت بها) أي قلت ليست من الله (واستكبرت) أي تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ¶ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أي زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) أي عن الايمان ¶ قوله تعالى (وينجي الله الذين اتقوا) أي الشرك (بمفازتهم) أي الطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أي لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون ¶ الله خالق كل شئ) أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة (وهو على كل شئ وكيل) أي ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أي مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) ¶ قوله عز وجل

يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بما يليه على أن كل شئ فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال ياعثمان ماسألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لااله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمرونى أعبد) تأمرونى مكى تأمرونى على الاصل شامى تأمرونى مدنى وانتصب أفغير الله باعبد وتأمرونى اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بامركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لايشركون لان الخطاب للنبى عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها

وقيل لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن ما بينى و بينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كانه قال لاتعبد ماأمروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم (وماقدروا الله حق قدره) وماعظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف و يقال اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى ان الارضين مع عظمهن و بسطهن لايبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور أكلة لقمان أى لاتفى الا بأكلة فذة من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع و بيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

(قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى لانعامه عليك ﴿ قوله تعالى (وماقدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿ ثم أخبر عن عظمته فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وماقدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وماقدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون

(ونفخ فى الصور فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هى فى محل الرفع لان المعنى ونفخ فى الصور نفخه واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فاذاهم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على أن النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على أنها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (٦٧) (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) أى بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولاترى أزين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجىء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار فى كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لايظلمون) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ماعملت) أى جزاءه (وهو اعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولاشاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لايظلمون أى ووفيت كل نفس ماعملت من خير وشر لا يزاد فى شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أى أفواجا متفرقة بعضها فى أثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفى (أبوابها) وهى سبعة (وقال لهم خزنتها) أى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات

الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ماجاءت ولانكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض) أى ماتوا من الفزع وهى النفخة الاولى (الامن شاء الله) تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الامن شاء الله يعنى الله وحده (ثم نفخ فيه) أى فى الصور (أخرى) مرة أخرى وهى النفخة الثانية (فاذاهم قيام) أى من قبورهم (ينظرون) أى ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الايبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ۞ قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون فى نوره كما لايضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبتدأ الى المنتهى (وجىء بالنبيين) يعنى ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى الحفظة (وقضى بينهم بالحق) أى بالعدل (وهم لايظلمون) أى لايزاد فى سيآتهم ولاينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) أى ثواب ماعملت (وهو أعلم بما يفعلون) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لايحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ۞ قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعنى سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدة تلو مرة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعنى توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات

ربكم ويذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس و بئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره (٦٨) فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شئ لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيؤهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كأنه قال فنعم حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (واورثنا الارض) أرض الجنة وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أى وجبت (على الكافرين) وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ۞ قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم لا يذهبون اليها الا راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) فان قلت قال فى أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة الثانى أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو فى الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة فى ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثانى ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى أبشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى بالجنة (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) أى ننزل (من الجنة) أى فى الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل

سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أي فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) في الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أي محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أي ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بحمد ربهم) أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وقضى بينهم) بين الانبياء والامم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقول أهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ومابعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) أي هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أي المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أي ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذي الطول) ذي الفضل على العارفين أو ذي الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب أخوات في معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت أما غافر الذنب وقابل التوب

(٦٩)

(فنعم أجر العاملين) أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) أي بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في آخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر﴾

وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضي الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسم الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أي قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له (العليم) أي بكل المعلومات (غافر الذنب) أي ساتر الذنب (وقابل التوب) أي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا اله الا الله (ذي الطول) أي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وأصل

فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون في تقدير الانفصال فتكون اضافتها غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها أبدال غير أوصاف وادخال الواو في وقابل التوب لنكتة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه

(لااله الاهو) صفة أيضا لذى الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (مايجادل فى آيات الله الاالذين كفروا) مايخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجارات النافقة

(٧٠)

والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فاخذتهم) مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدنى وشامى (انهم أصحاب النار) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش

الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لااله الاهو) أى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لايوصف بها غيره (اليه المصير) أى مصير العباد اليه فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (مايجادل) أى مايخاصم ويحاجج (فى آيات الله) أى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الاالذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى مايجادل فى آيات الله الاالذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) أى تصرفهم (فى البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) أى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أى ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) أى أنزلت بهم من الهلاك ماهموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أى وجبت (كلمت ربك) أى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) أى من قومك (انهم) أى بانهم (أصحاب النار) ﴿ قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء فى الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التى تليها والتى تليها أشد خوفا من التى تليها وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة

ومن حوله) يعنى حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر وروى ان حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفى الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل مامنهم أحد الاوهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر المبتدا وهو الذين (بحمد ربهم) أى مع حمده اذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمدلة (ويؤمنون به) وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان ذلك فضل الايمان وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه دليل على أن الاشتراك فى الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والاماكن (ربنا) أى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى اذ الاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أى الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أى طريق الهدى الذى دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من فى موضع نصب عطف على هم فى وادخلهم أو فى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم)

من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض ۞ قوله (ومن حوله) يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحى أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل ۞ قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) أى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم فى أحد بشئ يكرهه أن يستغفر له (ربنا) أى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى وأين أمى وأين ولدى وأين زوجتى

أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك (وقهم السيآت) أي جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك) أي رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) أي يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أي لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشري والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أي يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا

يعمل في اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون في صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثاني لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم في النار وقد دعوا الى الايمان في الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أي اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتها عند انقضاء آجالهم وصح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح أن يقال سبحان من صغر جسيم البعوضة وكبر جسيم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف اى المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى في الدنيا والاحياءة الثانية البعث ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه في القبر بعد موته للسؤال والثاني للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أي الى نوع من الخروج سريع أو بطيء لنتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أي ذلكم الذي أنتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلي) شأنه فلا يرد قضاؤه

فيقال انهم لم يعملوا اعمالك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذته (وقهم السيآت) أي عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) أي من تقه في الدنيا (فقد رحمته) أي في القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) أي النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله ۞ قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) أي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أي اياكم في الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أي اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التي هي من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) أي من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) أي غيره (تؤمنوا) أي تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي)

(الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال علي رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أي يقولون لا حكم الا لله فقال علي رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذي يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكي وبصري (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذي يريكم أو أخبار

مبتدا محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده في الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم في الجنة وذو العرش مالك عرشه الذي فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا لعظمته مع استغنائه في مملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحي الذي تحيا به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بامره (على من يشاء من عباده لينذر) أي الله أو الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض والاولون والآخرون التلاقي مكي ويعقوب (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شئ) أي من أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أي يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أي الذي قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن أي لمن ثبت الملك في هذا اليوم وقيل ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت في الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأنذرهم يوم الآزفة) أي القيامة سميت بها لازوفها أي لقربها واذ بدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أي التراقي يعني ترفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا

أي الذي لا أعلى منه (الكبير) أي الذي لا أكبر منه ﴿ قوله عز وجل (هو الذي يريكم آياته) أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني المطر الذي هو سبب الارزاق (وما يتذكر) أي يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) أي يرجع الى الله تعالى في جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) قوله تعالى (رفيع الدرجات) أي رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع أي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) أي خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى (يلقي الروح) يعني ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعني الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أي من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ في سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا (لمن الملك اليوم) أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعني يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) أي ان الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد (ان الله سريع الحساب) أي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد ﴿ قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف

(كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء (ماللظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولا شفيع يطاع) أي يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لاتكون الا لمن فوقك والمراد نفي الشفاعة والطاعة كما في قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد به نفي الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله مايكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى مالايحل (وماتخفي الصدور) وماتسره من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم آياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضي بالحق) أي والذي هذه صفاته لايحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) وآلهتهم لايقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان مالايوصف بالقدرة لايقال فيه يقضي أولا يقضي (٧٤) تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع مايقولون ويبصر مايعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لاتسمع ولا تبصر (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة في انه لايدخله الالف واللام فاجري مجراه منكم شامي (وآثارا في الارض) أي حصونا وقصورا (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شئ يقيهم من عذاب الله (ذلك بانهم) أي الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي) قادر على كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا في ضلال) ضياع يعني انهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وماعلم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذروني أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وماهو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت من معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وان ماجاء به آيات وماهو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شئ فكيف لايقتل من أحس بانه هو الذي يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك

حتى تصير الى الحناجر فلاهي تعود الى أماكنها ولاهي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (ماللظالمين من حميم) أي من قريب ينفعهم (ولا شفيع) أي يشفع لهم (يطاع) أي فيهم (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى مالايحل وقيل هو نظر الاعين لمانهى الله عنه (وماتخفي الصدور) أي يعلم مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق) أي يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (لايقضون بشئ) لانها لاتعلم شيأ ولا تقدر على شئ (ان الله هو السميع) أي لاقوال الخلق (البصير) بافعالهم (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض) أي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أي يدفع عنهم العذاب (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نزل بهم (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعني فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أي ومامكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا في ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم مايريده الله تعالى (وقال فرعون) أي لملئه (ذروني أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لاتقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن

جوابه

وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع (اني أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أو أن يظهر) موسى (في الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدني و بصري وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد في الارض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال اني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفي قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعت بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلي (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم أي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله (ربي الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعني أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابة الكل فكأنه قال لهم أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفي ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدي من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) في ادعائه وهذا أيضا من باب المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة فلما عضده بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون

جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (اني أخاف أن يبدل دينكم) يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الارض الفساد) يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعني لما توعده فرعون بالقتل (اني عذت بربي وربكم) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أي متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) ۞ قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل ٣ عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا أن يقول) أي لان يقول (ربي الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد ۞ وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله لا يهدي) أي الى دينه (من هو مسرف كذاب) أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله

٣ قوله حزبيل كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط بايدينا حزقيل وفي النسفي ما ترى مصحح

(ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الارض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعر اللخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولابد من حذف مضاف أى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أى وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة التنادى مكى و يعقوب فى الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا ان فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن مواقف الحساب الى النار (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فماله من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر و بخهم بان يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين

عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ۞ قوله عزوجل (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى غالبين فى الارض أى أرض مصر (فمن ينصرنا) أى يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أريكم) أى من الرأى والنصيحة (الا ما أرى) أى لنفسى (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه أن يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم و ينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار و ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة و ينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا و ينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت و يا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه و ينادى الكافر ياليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب ذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) أى يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد) أى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف ابن يعقوب (من قبل) أى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين فى نبوته

(حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أي أقمتم على كفركم وظننتم انه لايجدد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في ايات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لي صرحا) أي قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لايخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر (لعلي) وبفتح الياء حجازي وشامي وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أي طرقها وأبوابها ومايؤدي اليها وكل ما أداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فاطلع) بالنصب حفص على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (واني لاظنه) أي موسى (كاذبا) في قوله له اله غيري (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفي ويعقوب أي غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا في تباب) خسران وهلاك (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون) اتبعوني في الحالين مكي ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي أجمل أولا ثم فسرها فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هي الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هي دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكي وبصري ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار بقوله

(٧٧)

نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعني مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لايجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم ان لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا برسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) أي في شركه وعصيانه (مرتاب) أي في دينه (الذين يجادلون في آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أي بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) أي ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ۞ قوله عز وجل (وقال فرعون) يعني لوزيره (ياهامان ابن لي صرحا) أي بناء ظاهرا لايخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص (لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات) أي طرقها وأبوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى واني لاظنه) يعني موسى (كاذبا) أي فيما يدعي ويقول ان له ربا غيري (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضي الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا في تباب) أي وما كيده في ابطال آيات موسى الا في خسار وهلاك قوله تعالى (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) أي متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هي دار القرار) أي التي لاتزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي لاتبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير

(وياقوم مالى) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أى الجنة (وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله) هو بدل من تدعوننى الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ماليس لى به علم) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم الها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجىء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لارد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع مافى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته (أن ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) معناه ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق

أن يدعو العباد الى طاعته وماتدعون اليه والى عبادته لايدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وأن رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ماأقول لكم) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمرى) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) باعمالهم ومآلهم (فوقاه الله سيآت مامكروا) شدائد مكرهم وماهموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف فى طلبه فمنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كانه قيل ماسوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعنى الرؤساء (انا كنا لكم

تقتير (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم) أى لا أعلم ان الذى تدعوننى اليه اله وماليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) أى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) أى لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) يعنى حقا (ان ماتدعوننى اليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لاحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لان الاصنام لاتدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) أى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) يعنى المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ماأقول لكم) أى اذا عاينتم العذاب حين لاينفعكم الذكر (وأفوض أمرى الى الله) أى أرد أمرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيآت مامكروا) أى ماأرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) أى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ۞ ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا ۞ قوله تعالى (واذ يتحاجون) أى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم

تبعا)

تبعا) أتباعا كخدم في جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أي انا كلنا فيها لا يغني أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين في النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها الا في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا و يحتمل ان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أدعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أي الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أولم تك) أي أولم تك قصة وقوله (تأتيكم) تفسير للقصة (رسلكم بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أي الكفار (بلى قالوا) أي الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا (٧٩) في ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى و يحتمل أن يكون من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا و يوم يقوم الاشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم و يتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين و يوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازي عن هشام (يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أي لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفي ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أي سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) أي التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أي تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال (لاولي الالباب) لذوي العقول (فاصبر) على ما يجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعني ان ما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) أي لذنب أمتك (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) أي دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله و بحمده (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) لا وقف عليه لان خبر ان (ان في صدورهم الا كبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل

تبعا) أي في الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعني الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعني نحن وأنتم (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى علينا وعليكم (وقال الذين في النار) يعني حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعني الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل (قالوا بلى) أي اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعني أنتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) يعني يبطل و يضل ولا ينفعهم ۞ قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا (و يوم يقوم الاشهاد) يعني وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أي ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أي البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعني جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعني النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لاولي الالباب) ۞ قوله تعالى (فاصبر) أي يا محمد على أذاهم (ان وعد الله حق) أي في اظهار دينك واهلاك أعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعني الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) أي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشي والابكار) يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) يعني كفار قريش (ان في صدورهم) أي ما في قلوبهم (الا كبر)

قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر و يرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أى من فتنة الدجال (انه هو السميع) أى لاقوالهم (البصير) أى بأفعالهم ۞ قوله عزوجل (لخلق السموات والارض) أى مع عظمها (أكبر من خلق الناس) أى من اعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون ان الله تعالى خالق السموات والارض وذلك أعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال

❊(فصل فى ذكر الدجال)❊ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كانها عنبة طافئة ولابى داود والترمذى عنه وقال قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه ومامن نبى الاوقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنه أعور وان الله ليس باعور (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبى الاوقد انذر أمته الاعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الاهلكت ومن أشد فتنته أنه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم أنى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن ماتكون ضروعا وأعظمه أسنمة و يأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فانا حجيجه والافان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا حديث أخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة تكفينا له صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية أبى داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما

ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا و بغيا و يدل عليه قوله لوكان خيرا ماسبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغى موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك و يبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول و يقولون (البصير) بما تعمل و يعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون

الذى يرى الناس انه نار فماء بارد والذى يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ماحدث به نبى قومه انه أعور وانه يجىء بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ماسأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ماسألته وانه قال لى مايضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الاسيطؤه الدجال الامكة والمدينة ليس نقب من نقابها الاعليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشأم وهنالك يهلك عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض هذه الاحاديث التى وردت فى قصة الدجال حجة لمذهب الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لاحقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون مامعه كالتصديق له وانما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لايغتر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ماازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ماخلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شئ من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا ماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم ۞ قوله عز وجل (ومايستوى الاعمى والبصير) أى الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) أى

لغلبة الغفلة عليهم (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) لا زائدة

(قليلا ما تتذكرون) تتعظون بتاء ابن كوفي وبياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أي تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها (وقال ربكم ادعوني) اعبدوني (استجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلوني أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكي وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذي (٨٢) جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازي أي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان يعني لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج أي ساكن لا ريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان

لا يستوون (قليلا ما تتذكرون ان الساعة) يعني القيامة (لآتية لا ريب فيها) أي لا شك في قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت ۞ قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الانابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص في الدعاء وأن لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به في الدنيا واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن توحيدي وقيل عن دعائي (سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ذليلين ۞ قوله عز وجل (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) أي ذلكم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شيء لا اله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لا شريك له في ذلك (فأنى تؤفكون) أي فأنى تصرفون عن الحق (كذلك) أي كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا) أي فراشا تستقرون عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات)

في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان قيل
لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذي خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شيء والوحدانية (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذي جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فأحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات

(ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) هي القرآن وقيل العقل والوحي (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذي خلقكم) أي أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكي وحمزة وعلي وحماد ويحيى والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أي (٨٣) من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما في ذلك من العبر والحجج (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أي فانما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز أن يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر في أعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل في أعناقهم (يسحبون في الحميم) يجرون في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أي تبين لنا انهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة وطلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم

قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي) وهذا يفيد الحصر أي لا حي الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعي الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك ۞ قوله (هو الذي خلقكم من تراب) يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعني أن مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) أي جميعا (أجلا مسمى) أي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) أي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه ۞ قوله تعالى (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله) يعني القرآن (أنى يصرفون) أي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) أي يجرون بتلك السلاسل (في الحميم ثم في النار يسجرون) أي توقد بهم النار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام (قالوا ضلوا عنا) أي فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيأ ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبل شيأ (كذلك يضل الله الكافرين) أي كما أضل هؤلاء (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أي تبطرون وتأشرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم

تمرحون) بسببما كان لكم من الفرح والرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) أصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك (بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعني انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية الا باذن الله فمن أين لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أي يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذى جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أي الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون)

تمرحون) أي تختالون وتفرحون به (ادخلوا أبواب جهنم) يعني السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أي عن الايمان ۞ قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي بنصرك على الاعداء (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أي من العذاب في حياتك (أو نتوفينك) أي قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أي خبره وحاله في القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أي ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وماجرى عليهم يقارب ماجرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أي بامره وارادته (فاذا جاء أمر الله) أي قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق) أي بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أي الذين يجادلون في آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم ۞ قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أي في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي تحمل أثقالكم من بلد الى بلد في أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر (ويريكم آياته) أي دلائل قدرته (فأي آيات الله تنكرون) يعني ان هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره ۞ قوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في أطراف الارض لعرفوا أن عاقبة هؤلاء المتكبرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء (فما أغنى عنهم) أي لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أي رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث

ولن

أي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأي نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لابهامه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا في الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا والمراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين به مرحين

ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التى قد خلت فى عباده) أن الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبى الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون فى كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفا آت فى هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم (سورة فصلت مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعيظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى واللقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والاظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج أسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا اننا عاملون فى ابطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه أنه قال لهم انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت نبوتى بالوحى الى وأنا بشر واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى أن الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم

وان نعسذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أى عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده) يعنى ان سنة الله قد جرت فى الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعنى تلك السنة أنهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) أى بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح وهى مكية وهى أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أى بينت وميزت وجعلت معانى مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) أى باللسان العربى (لقوم يعلمون) أى انما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أى بشيرا الاولياء الله بالثواب ونذيرا الاعدائه بالعقاب (فاعرض أكثرهم) أى عنه (فهم لا يسمعون) أى لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية (مما تدعونا اليه) أى فلا نفقه ما تقول (وفى آذاننا وقر) أى صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ما تقول (فاعمل) أى أنت على دينك (اننا عاملون) أى على ديننا (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) أى كواحد منكم (يوحى الى) أى لولا الوحى ما دعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) أى

الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أولا يفعلون مايكونون به أزكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب الشئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وماخدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وماارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد أن يخلقها فى لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء وأشباها (ذلك) الذى

خلق ماسبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عزوجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الارض وقيل وبارك فيها أكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم ومايصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشر أى تتمة خمسة عشر ولابد من هذا التقدير لانه لوأجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سواء) يعقوب صفة للايام أى فى أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أى هى سواء غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله او بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض ومافيها

توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) أى من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون فى طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) أى جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ﴿ قوله عزوجل (قل أئنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) وثانيهما (وتجعلون له أندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد والاثنين (ذلك رب العالمين) أى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (من فوقها) أى من فوق الارض (وبارك فيها) أى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ماخلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل مايحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها) أى قسم فى الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الاول فى الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك أى فهكذا الامر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الارض والاقوات

(ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون أنه أكمل الاول وابتدأ الثاني ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى أن ائتيا على ما ينبغي عليه أن تأتيا من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتي ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن) فأحكم خلقهن قال

﴿ وعليهما مسرودتان قضاهما ﴾ والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين في سبع سموات ان الاول على الحال والثاني على التمييز (في يومين) في يوم الخميس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة

(ثم استوى الى السماء) أي عمد الى خلق السماء (وهي دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو أن يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أي ائتيا ما أمرتكما به أو افعلاه وقيل افعلا ما آمركما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا أتينا طائعين) معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لصالح العباد أما أنت ياسماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك ﴿ وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) أي أتمهن وفرغ من خلقهن (في يومين) وهما الخميس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وقال وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من الامر والنهي (وزينا السماء الدنيا) أي التي تلي الارض (بمصابيح) أي بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) أي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أي الذي ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) أي في ملكه (العليم) أي بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم ﴿ قوله تعالى (فان أعرضوا) يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أي خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعني الى عاد وثمود (من بين أيديهم) يعني الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعني ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين

(أن) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بانه (لا تعبدوا الا الله قالوا) أي القوم (لو شاء ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فاتاه وهو في الحطيم فلم يسأل شيأ الا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم أهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ماد كر من صاعقة عاد وثمود فقال (فاما

لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (أن لا) أي بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما أرسلتم به كافرون) روى البغوى باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم يجبه ثم قال فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك للرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعيبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال أسمعت يا أبا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعوني يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم ﴿ قوله عز وجل

(فاماعاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من أشد منا قوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم و بلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) ألم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أى كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أى تصوت فى هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد وقيل انها الدبور (فى أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكى و بصرى ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء فى آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ و يدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام

التى عبدوها على رجاء النصر لهم (وأما ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أى بينا لهم الرشد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا و يحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها و يقتضيها وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أى كففته (حتى اذا ما جاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج

(فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوى أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا) أى أولم يعلموا (أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى عاصفا شديد الصوت وقيل هى الريح الباردة وقيل ان الريح ثمانية فاربع منها عذاب وهى الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (فى أيام نحسات) أى نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزى) أى عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا فى الارض بغير الحق (فى الحيوة الدنيا) أى ذلك الذى نزل بهم من الخزى والهوان فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) أى أشد اهانة (وهم لا ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى ذى الهوان (بما كانوا يكسبون) أى من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه ﴿قوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون) أى يساقون و يدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤها) يعنى النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أى بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله

لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) وذلك الظن هو الذي أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذي ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أي فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهو الرجوع جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أي لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) أي قدرنا لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان أي مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا)

ولنجزينهم

ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (وقالوا) يعني الكفار الذين يجرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) معناه ان القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذي أنطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أي تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية ﴿قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم) أي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أي أهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أي مسكن (وان يستعتبوا) أي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب الى ما سأل (فما هم من المعتبين) أي المرضيين (وقيضنا لهم) أي بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) أي نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) أي من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة (وما خلفهم) أي فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أي وجب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) ﴿قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعني مشركي قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يتخلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه (لعلكم تغلبون) يعني محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا)

يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطوي تحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أي النار في نفسها دار الخلد كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء) أي جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ مكي وشامي وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (اللذين أضلانا) أي الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) في النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) أي نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أي لم ينافقوا وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن أي لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله)

ولنجزينهم أسوأ) يعني بأسوأ (الذي كانوا يعملون) أي في الدنيا وهو الشرك (ذلك) أي الذي ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أي في النار (ربنا) أي يقولون يا ربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) أي في النار (ليكونا من الاسفلين) أي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا ﴿قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا في العمل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (أن لا تخافوا) أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) أي على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أي انصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (في الحيوة الدنيا و) نحن أولياؤكم (في الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أي في الجنة (ما تشتهي أنفسكم) أي من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أي تتمنونه (نزلا) أي رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعد من الالطاف والكرامة ﴿قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أي الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لا اله

الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال انني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولد الحميم مصافاة لك ثم قال (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل دفع بالتي هي أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة للتاكيد والمعنى لا يستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان ابن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي يعني وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير في خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها و بريتهن

الا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل صالحا) في اجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب * الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات و بالحجج والبراهين و بالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * الرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال في الثالثة لمن شاء * عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال انني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به ۞ قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتي هي احسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب و بالحلم عند الجهل و بالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم) أي صديق قريب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه و بين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه أي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) أي من شره (انه هو السميع) أي لاستعاذتك (العليم) باحوالك ۞ قوله تعالى (ومن آياته) أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أي انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون)

والعل ناسامنهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب و يزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابد الله (فان استكبروا فالذين عند ربك) أى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن

الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسأمون وعند الشافعى رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر ان محذوف أى يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وانه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله (لا يأتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة فى الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه

يعنى ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب و يزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى لا يفترون ولا يملون

❁ فصل ❁ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن أبى حنيفة وأحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند أصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) ❁ قوله تعالى (ان الذين يلحدون) أى يميلون عن الحق (فى آياتنا) أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا و يعاندون و يشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبى جهل (أفمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد و وعيد (انه بما تعملون بصير) أى انه عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجىء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أى فى جميع أفعاله (حميد) أى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (ما يقال لك) أى من الاذى والتكذيب (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) يعنى انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أى لمن

(وذو عقاب أليم) لاعدائهم و يجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (ولو جعلناه) أي الذكر (قرآنا أعجميا) أي بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل في جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت آياته) أي بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (أأعجمي وعربي) بهمزتين كوفي غير حفص والهمزة للانكار يعني لانكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل اليه عربي الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمي منسوب الى أمة العجم فصيحا كان أو غير فصيح والمعنى ان آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لابي حنيفة رضي الله عنه في جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أي القرآن (للذين آمنوا هدى)

ارشاد الى الحق (وشفاء) لما في الصدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) في موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أي هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر أي صمم الأن فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا أو في آذانهم منه وقر (وهو) أي القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعني أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد بأقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم فكان هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضي بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفي شك منه مريب) موقع في الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسيء (اليه يرد علم الساعة) أي علم قيامها يرد اليه أي يجب على المسؤل أن يقول الله يعلم ذلك (وما تخرج من ثمرات) مدني وشامي وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة

تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أي لمن أصر على التكذيب ﴿قوله عز وجل (ولو جعلناه) أي هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس (قرآنا أعجميا) أي بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) أي هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) أي أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل في معنى الآية انا لو أنزلناه هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمي الى القوم العرب ولصح قولهم أن قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى) أي من الضلالة (وشفاء) أي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) أي صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي كأن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضي بينهم) أي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) أي من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) أي يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) أي ضرر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعني فيعذب غير المسيء ﴿قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعني اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) أي من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شيء كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه

والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال اما الاخبار للعالم بالشئ فتحقق بما علم به الا أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (مامنا من شهيد) أى مامنا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لايسأم) لايمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم

فكان من علمه الذى يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو علم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) أى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائى) أى الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) أى أعلمناك (مامنا من شهيد) أى يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى يعبدون فى الدنيا (وظنوا مالهم من محيص) أى مهرب ۞ قوله تعالى (لايسأم الانسان) أى لايمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) أى الشدة والفقر (فيؤس) أى من رَوْح الله تعالى (قنوط) أى من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) أى آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن هذا لى) أى أستحقه بعملى (وما أظن الساعة قائمة) أى ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى) يقول هذا الكافر أى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى (ان لى عنده للحسنى) أى الجنة والمعنى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) أى كثير (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ان كان من عند الله) يعنى هذا القرآن (ثم كفرتم به) أى جحدتموه (من أضلُّ ممن هو فى شقاق بعيد) أى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية (وفى أنفسهم) أى بالبلاء والامراض وقيل مانزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى أنفسهم وهو فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار

الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حق وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لا يزول عنى (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربى) أى كما يقول المسلمون (ان لى عنده) عند الله (للحسنى) أى الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول فى قوم والثانى فى قوم أو قنوط فى البر وذو دعاء عريض فى البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (ممن هو فى شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفى أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى القرآن أو الاسلام

(أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (ألا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم

﴿سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أومثل ذلك الكتاب يوحى اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ماتضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا أوحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وملكا (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته من يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطا وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد

والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد أن القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم عسق﴾

وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم عليه أجرا وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر أى قضى وبقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك أخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل

(والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون لمن فى الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله و ينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى و يستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (الا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله فى كتبه أو هو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى مكة لان الارض دحيت من تحتها أو لانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (مالهم من ولى) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) أى حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من

من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم (ويستغفرون لمن فى الارض) أى من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من فى الارض أما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم و يحتمل ان يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب وأما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) يعنى انه تعالى يعطى المغفرة لمن سألوها و يضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ۞ قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما أنت نذير (وكذلك) أى ومثل ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعنى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعنى قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (لا ريب فيه) أى لا شك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذى فى يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال عملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ۞ قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى دين الاسلام (والظالمون) أى الكافرون (مالهم من ولى) أى يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أى يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولى من اتبعك (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولى (وما اختلفتم فيه من شئ) أى من أمر الدين (فحكمه الى الله) أى يقضى فيه ويحكم

المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذالكم) الحاكم بينكم (الله ربى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وماوقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لاتتصل بتكليفكم ولاطريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على أنه أحد أخبار ذالكم أو خبر مبتدا محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) أى وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لايعقل (ليس كمثله شئ) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شئ كقوله تعالى

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لان المراد نفى المثلية واذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون مثلك لايبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ و بين قوله ليس كمثله شئ الا ماتعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى أنهم استعملوها فيمن لايد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لامثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم أنه لاصفة له كما لامثل له (له مقاليد السموات والارض) مر فى الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يضيق (انه بكل شئ عليم شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومابينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه و بيوم الجزاء وسائر مايكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وماذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولاتتفرقوا فيه) ولاتختلفوا فى الدين قال على رضى

الامم

يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولاتؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) أى الذى يحكم بين المختلفين هو الله (ربى عليه توكلت) أى فى جميع أمورى (واليه أنيب) أى واليه أرجع فى كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) أى أصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) أى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) أى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) المثل صلة أى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولايشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) أى لسائر المسموعات (البصير) أى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) أى من البسط والتضييق ۞ قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ماوصى به نوحا) يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يامحمد دينا واحدا (والذى أوحينا اليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر مايكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح

الله عنه لاتتفرقوا فان الجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبى) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وماتفرقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الامن بعد ماجاءهم العلم) الامن بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا أو طلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهى بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لاهلكوا حين افترقوا العظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لايؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل فى ريبة وقيل وماتفرق أهل الكتاب الامن بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ماجاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ماأورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولاتتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) باى كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه انالانؤاخذ باعمالكم وانتم لاتؤاخذون باعمالنا (لاحجة بيننا وبينكم) أى لاخصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلاحاجة الى المحاجة ومعناه لاايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد مااستجيب له) من بعد مااستجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد مااستجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم

الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الاوصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أى من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبى اليه من يشاء) أى يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدى اليه من ينيب) أى يقبل على طاعته (وماتفرقوا) يعنى أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى أهل الكتاب (الامن بعد ماجاءهم العلم) أى بأن الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى فى تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (من بعدهم) أى من بعد أنبيائهم وقيل من الامم الخالية (لفى شك منه) أى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلايؤمنون به (مريب) يعنى مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أى الى ذلك (فادع) أى الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع أنت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أى اثبت على الدين الذى أمرت به (ولاتتبع أهواءهم) أى المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت ان لاأحيف عليكم باكثر مماافترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان الاله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) أى لاخصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذلم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لايجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أى فى المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) ۞ قوله عزوجل (والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد مااستجيب له) أى من بعد مااستجاب الناس لدين الله تعالى فاسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم

وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله في زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري والمراد مجيء الساعة والساعة في تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون في الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه (لفي ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب

والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لابد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) في ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه أو هو بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أو من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عمن يهفو أو يعطي العبد الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه (يرزق من يشاء) أي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع الذي لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة حرثا مجازا (نزد له في حرثه) بالتوفيق في عمله أو التضعيف في احسانه أو بان ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أي شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريده ويبتغيه (وماله في الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب ولم يذكر في عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب (أم لهم شركاء) قيل أم هي المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أي لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدة بان الفصل

وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أي في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أي العدل سمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي وقت اتيانها قريب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أي ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أي انها آتية لا شك فيها (ألا ان الذين يمارون) أي يخاصمون (في الساعة) وقيل يشكون فيها (لفي ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) أي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكوا جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعني ان الاحسان والبر انعام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثاني انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوي) أي القادر على كل ما يشاء (العزيز) أي الذي لا يغالب ولا يدافع (من كان يريد حرث الآخرة) أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له في حرثه) أي بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة (نؤته منها) أي ما قدر وقسم له منها (وماله في الآخرة من نصيب) يعني لانه لم يعمل لها * عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي باسناده ۞ قوله تعالى (أم لهم) يعني كفار مكة (شركاء) يعني الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (ما لم يأذن به الله) يعني ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذي أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعني ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة

لقضى

يكون يوم القيامة (لقضي بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان أخر عنهم في دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين في الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لامحالة شفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أي الكبير (الذي يبشر الله) يبشر مكي وأبو عمرو وحمزة وعلي (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون أيبتغي محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لا أسئلكم عليه) على التبليغ (أجرا الا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي أو لا أسألكم عليه أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنه لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي اذلم يكن بطن من بطون قريش

(لقضي بينهم) أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) يعني المشركين (لهم عذاب أليم) أي في الآخرة (ترى الظالمين) يعني يوم القيامة (مشفقين) أي وجلين خائفين (مما كسبوا) أي من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أي جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم مايشاؤن عند ربهم) أي من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أي الذي ذكر من نعيم الجنة (الذي يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ❁ قوله عز وجل (قل لا أسئلكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجرا) أي جزاء (الا المودة في القربى) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا مابيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا في قوله الا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا في الاسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين من أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لايجوز لقوله في قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين قلت لانزاع في أنه لايجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ❁ بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى المودة في القربى ليست أجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا أجر البتة والوجه الثاني أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة في القربى أي لكن أذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة

الا بين رسول الله و بينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله و رسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة فى القربى (نزد له فيها حسنا) أى تضاعفا كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة أو الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى و رفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (و يحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم واظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) أى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى و يقال قبلته عنه أى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعودوا وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقضى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة و رد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى

وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية و روى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا أن تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ۞ وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية (و يمح الله الباطل) أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (و يحق الحق بكلماته) أى يحق الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد أن يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه وأهل طاعته

﴿فصل فى ذكر التوبة وحكمها﴾ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد و بين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه

وشرابه

المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (ويعفوا عن (١٠٣) السيآت) وهو ما دون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (ويعلم ماتفعلون) بالتاء كوفى غير أبى بكر أى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أى اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ماطلبوا وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم ٧ بان يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفو عن سيآتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ماسألوه وعن ابراهيم بن أدهم انه قيل له مابالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) فى الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أى لو أغناهم جميعا (لبغوا فى الارض) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البغى وهو الكبر أى لتكبروا فى الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكى وأبو عمرو (بقدر مايشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ماتقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وماترى من البسط على من يبغى ومن يبغى بدون البسط فهو قليل ولاشك ان البغى مع الفقر أقل

وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ۞ وقوله عز وجل (ويعفو عن السيآت) أى يمحوها اذا تابوا (ويعلم ماتفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أى سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) ۞ قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) أى لطغوا وعتوا (فى الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر مايشاء) يعنى الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل أداء ماافترضت عليه ومايزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعانى أجبته وان سألنى أعطيته وماترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى

ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذى ينزل الغيث) وبالتشديد مدنى وشامى وعاصم (من بعد ماقنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شئ (وهو الولى) الذى يتولى باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أى علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (ومابث) فرق ومايجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) فى السموات والارض (من دابة) الدواب تكون فى الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو فى

فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض أو يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم مكروه (فبما كسبت أيديكم) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ماوصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ماعفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدله منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير أخرجه البغوى باسناده * قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) أى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب (وهو الولى) أى لاهل طاعته (الحميد) أى المحمود على مايوصل الى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض ومابث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة ۞ قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سخيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا على ما أصابكم من مصيبة أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة مامن نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أى بفائتين (فى الارض) هربا يعنى لا تعجزوننى حيثما كنتم (وما

لكم من دون الله من ولي) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهي السفينة الجواري في الحالين مكي وسهل و يعقوب وافقهم مدني وأبو عمرو في الوصل (في البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدني (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجري (على ظهره) على ظهر البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أي لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمه (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (و يعف عن كثير) فلا يجازي عليها وانما أدخل العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا و ينج ناسا على طريق العفو عنهم (و يعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم و يعلم (الذين يجادلون في آياتنا) أي في ابطالها و دفعها و يعلم مدني وشامي عطف على الاستئناف (ما لهم من محيص) مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم) أي الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم علي وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغي) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم أي يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء أو لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها أو في تسمية الثانية سيئة اشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة

لكم من دون الله من ولي ولا نصير) ۞ قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعني السفن وهي السيارة (في البحر كالاعلام) أي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) أي التي تجري بها السفن (فيظللن) يعني السفن الجواري (رواكد) أي ثوابت (على ظهره) أي على ظهر البحر لا تجري (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة و يشكر في الرخاء (أو يوبقهن) أي يغرقهن و يهلكهن (بما كسبوا) أي بما كسبت ركابها من الذنوب (و يعف عن كثير) أي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (و يعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شيء) أي من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) أي ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أي من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعني كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعني ما عظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعني يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعني المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي) يعني الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل

(فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فاجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار فى الحديث ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى أخذ حقه بعد ما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فاولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ماعليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤنهم بالظلم (ويبغون فى الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أى الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) أى من الامور التى ندب اليها أو مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد الصبر على المكاره من علامات

الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فماله من أحد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفى) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) والصحة

يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا أو يقال أى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) أجيبوه الى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتى يوم) أى يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو بيأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) أى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودوّن فى صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا عن الايمان فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة)

لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزدوا اذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو فى القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أى عمن ظلمه (وأصلح) أى بالعفو بينه وبين الظالم (فاجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (وَلَمَنِ انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه (فاولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) أى بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى يبدؤن بالظلم (ويبغون فى الارض بغير الحق) أى يعملون فيها بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) أى لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (ان ذلك) أى الصبر والتجاوز (لَمِنْ عزم الامور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) يعنى ماله من أحد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى) يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة فى أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعنى بان صاروا الى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعنى وخسروا أهليهم بان صاروا لغيرهم فى الجنة (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) أى وصول الى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أى أجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) أى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أى ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعنى لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيأ (فان أعرضوا) أى عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى تحفظ أعمالهم (ان عليك الا البلاغ) أى ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعنى الغنى

نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان

التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الا وحيا) أى الهاما كما روى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحى وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (أو من وراء حجاب) أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أو يرسل رسولا) أى يرسل ملكا (فيوحى) أى الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أى نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو ان يسمع من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان)

والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) أى قحط (بما قدمت أيديهم) أى من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) أى لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه ۞ قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعنى له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء) أى لا يقدر أحد أن يعترض عليه فى ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) أى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أى فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة فى جميع الناس (انه عليم) أى بما يخلق (قدير) أى على ما يريد ان يخلق ۞ قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فأنزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أى يوحى اليه فى المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم فى المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر (أو من وراء حجاب) أى يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعنى من الملائكة اما جبريل أو غيره (فيوحى باذنه ما يشاء) يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم (انه على) أى عن صفات المخلوقين (حكيم) أى فى جميع أفعاله ۞ قوله عز وجل (وكذلك) أى وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) أى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن (ولا الايمان)

أي شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل و بعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي (ولكن جعلناه) أي الكتاب (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذي له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الامة في أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه (وانه في أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وسمي أم الكتاب لانه الاصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف علي وحمزة (لعلي) خبران أي في أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم و يجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أي أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم مدني وحمزة وهو من باب الشرط الذي يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة (وكم أرسلنا

اختلف العلماء في هذه الآية مع اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج و يعتمر و يبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحي اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي) أي لتدعو (الى صراط مستقيم) يعني الى دين الاسلام (صراط الله) يعني دين الله الذي شرعه لعباده (الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور) يعني أمور الخلائق في الآخرة فيثيب المحسن و يعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزخرف وهي مكية وهي تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون ٧ كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أي صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعني معانيه وأحكامه (وانه) يعني القرآن (في أم الكتاب) أي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فامره أن يكتب ما يريد أن يخلق في الكتاب عنده ثم قرأ وانه في أم الكتاب (لدينا) أي عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى في اللوح المحفوظ (لعلي حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلي أي رفيع شريف وقيل علي على جميع الكتب حكيم أي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان ۞ قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أي لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين أي معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوي الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا

من نبي في الاولين) أي كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي

وغيره مهادا أي موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد و يحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فاحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يريد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلي ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) أي تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشيء اذا أطاقه وحقيقته أقرنه وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر

من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فاهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة ﴿ قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا (لعلكم تهتدون) يعني الى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فانشرنا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أي من قبوركم أحياء (والذي خلق الازواج كلها) أي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) يعني في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي لمنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه في أهل أو مال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله

لناهذا الآية وفيهم رجل على ناقة لاتتحرك هز الافقال انى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغى أن لايكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لامحالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضهم منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعنى أنهم نسبوا اليه

هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لاتتكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عزوجل ينشأ حمزة وعلى وحفص أى يربى قد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا الله
اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لامنزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وماشاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم أى لوشاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم

صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يارسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لايغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ۞ قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أى لجحود لنعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أى أخلصكم (بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى أنهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) أى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولد له انثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالابى حمزة لايأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لانلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ماشينا
وانما نأخذ ما أعطينا * حكمة رب ذى اقتدار فينا

۞ قوله عزوجل (أومن ينشأ) يعنى أومن يتربى (فى الحلية) يعنى الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أى وحكموا وأثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم) أى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أى على الملائكة أنهم بنات الله (ويسئلون) أى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ومايدريكم أنها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال

واعتقادهم بقوله (مالهم بذلك) المقول (من علم ان هم الا يخرصون) أي يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا
لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار واذ لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك
من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم أنطعم
من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق في الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى
قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم
وظنوا أن الله لا يعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل
القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان
الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على
أمة) على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي (١١١) تؤم أي تقصد (وانا على آثارهم
مهتدون) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) أي متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامي وحفص أي النذير قل غيرهما أي قيل للنذير قل (أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتتبعون
آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى
(فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوا على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) أي واذكر اذ قال
(انني براء) أي بريء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى
ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذي فطرني) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية
(وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني (كلمة باقية في عقبه) في
ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجي لابراهيم (بل
متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان
عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم
الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من
القريتين عظيم) أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا

الله تعالى ردا عليهم (مالهم بذلك من علم) أي فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) يعني ماهم الا كاذبون
في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم
كتابا من قبله) أي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أي يأخذون بما فيه (بل قالوا
انا وجدنا آباءنا على أمة) أي على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعني انهم جعلوا أنفسهم مهتدين
باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من
قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
مقتدون) أي بهم (قل أولو جئتكم باهدى) أي بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فأبوا أن يقبلوا
(قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ۞ قوله تعالى (واذ قال
ابراهيم لأبيه وقومه انني براء) أي بريء (مما تعبدون الا الذي فطرني) معناه انا أتبرأ مما تعبدون الا من الله
الذي خلقني (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعلها) أي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي
لا اله الا الله (كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده (لعلهم
يرجعون) أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين
ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعني كفار مكة
(وآباءهم) في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعني
القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة
وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا
وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) ۞ قوله عز
وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب

بعظيم مكة الوليد بن المغيرة و بعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) أي النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (في الحيوة الدنيا) أي لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا باعماله (ورحمت ربك) أي النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا) أي لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف أي بعضها من فضة و بعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكي وأبو عمرو ويزيد وقال والمعارج جمع معرج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أي يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا أي وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة أي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أي ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقي الشرك

عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعني الجنة (خير) يعني للمؤمنين (مما يجمعون) أي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين ۞ قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعني مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعني يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أي من فضة (وسررا) أي وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) أي وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذي

(ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو أو معنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراقى غير أبى بكر أى العاشى جاآنا غيرهم أى العاشى وقرينه (قال) لشيطانه ياليت (بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (أنكم فى العذاب مشتركون) انكم فى محل الرفع على الفاعلية أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى ... على اخوانهم لقتلت نفسى
ولا يبكون مثل أخى ولكن ... أعزى النفس عنه بالتأسى

فأما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر أى ولن ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) أى نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) قبل ان نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين تستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له

وقال حديث حسن * وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ۞ قوله تعالى (ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن) أى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أى نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرئ جاآنا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا فى سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابى بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعنى أشركتم (أنكم فى العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لان لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) أى بان نميتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) أى بالقتل بعدك (أو نرينك) أى فى حياتك (الذى وعدناهم) أى من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون فى أمته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى أمته الا الذى تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذى أوحى اليك) يعنى القرآن (انك على صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لا يميل عنه الا

(وانه) وان الذى أوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوراة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال

التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلاهمز مكى وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا يا أيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر يا أيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى

الضال (وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك أى ذلك شرف لما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه ﴿قوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أى يسخرون (وما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها) أى من قرينتها التى قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) أى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا أيه الساحر) أى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا

العذاب

(اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر منادياً فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعاله (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجرى من تحتى) من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدإ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص و يعقوب وسهل جمع اسوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساوير جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أوجاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فاطاعوا انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا عزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال و يقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجىء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه

العذاب فاسأله أن يكشفه عنا (اننا لمهتدون) أى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أى ينقضون عهدهم و يصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى و بساتينى وقيل تجرى بامرى (أفلا تبصرون) أى عظمتى وشدة ملكى (أم أنا) أى بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) أى ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أوجاء معه الملائكة مقترنين) أى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه و يعينونه على أمره ۞ قال الله تعالى (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط أى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) أى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجىء من بعدهم ۞ قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى

(اذاقومك) قريش (منـه) من هذا المثل (يصـدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبى صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدنى وشامى والاعشى وعلى من الصدود أى من أجـل هذا المثل يصدون عن الحق و يعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف و يعكف (وقالوا آلهتنا خيرأم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك الاجدلا) الالاجل الجدل والغلبة فى القول لالطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم (١١٦) قوم خصمون) لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون لم يردبه الاالاصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ماعيسى (الاعبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليـه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض) أى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم فى الارض أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم اى يارجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقـدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لاتتولد الامن أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم للساعة) وان عيسى مما يعـلم به مجىء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أى وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل و يعقوب أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى أو هو أمر لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم اليه

عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذاقومك) يعنى قريشا (منه) أى من المثل (يَصِدّون) أى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فى النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار ۞ قال الله تعالى (ماضربوه) يعنى هذا المثل (لك الاجدلا) أى خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أى بالباطل * عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليـه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أى ماعيسى (الاعبدأ نعمنا عليه) أى بالنبوة (وجعلناه مثلا) أى آية وعبرة (لبنى اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على مايشاء حيث خلقه من غير أب (ولونشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (فى الارض يخلفون) أى يكونون خلفا منكم يعمرون الارض و يعبدوننى و يطيعوننى وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) يعنى نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله أحد وفى رواية أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال ليس بينى و بين عيسى نبى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجـل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسـلام فيدق الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية و يهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام و يهلك الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى و يصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفى رواية فأمكم منكم قال ابن أبى ذئب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسـلم و يروى أنه ينزل عيسى و بيده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى و يصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب و يخرب البيع والكنائس و يقتل النصارى الا من آمن وقيل فى معنى الآية وانه أى وان القرآن لعلم للساعة أى يعلم قيامها و يخبركم باحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) أى لا تشكون فيها وقال ابن عباس لاتكذبوا بها (واتبعونى) أى على التوحيد (هذا) أى الذى أنا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم)

الشيطان) عن الايمان بالساعة أوعن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالانجيل والشرائع (ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو أمر الدين لا أمر الدنيا (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى أو للكفار (أن تأتيهم) بدل من الساعة أى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) أى وهم غافلون لاشتغالهم بامر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية (ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب أو مستلذة فى العيون (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدا الذى هو اسم الاشارة والتى أورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الاول يتعلق

أى لا يصرفكم (الشيطان) أى عن دين الله الذى أمر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما أمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) أى ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة والمعنى انها تأتيهم لامحالة (وهم لا يشعرون الاخلاء) أى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) أى الا الموحدين المتحابين فى الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ۞ قوله تعالى (ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الا فزع فينادى مناد ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلها فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) ۞ عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)

وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا وفى الحديث لا ينزع أحد فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر أى لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يا مالك) لما أيسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما اشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليمتنا من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب أن يكون فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمرا) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا

مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فانا أول العابدين) فانا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول العابدين أى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هى ان النافية أى ما كان للرحمن ولد فانا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقنى فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام

ورد فى الحديث أنه لا ينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها ۞ قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) أى لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أى آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) أى وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يا مالك) يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أى أحكموا أمرا فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أى محكمون أمرا فى مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعنى الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا أول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان أى ما كان للرحمن ولد فانا أول العابدين أى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أى أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون)

اى

(فذرهـم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى القيامة وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهـل والخوض واللعب (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الارض كما يقول هو حاتم فى طئ وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شـهر به كانك قلت هو جواد فى طئ جواد فى تغلب وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله ومثـله قوله وهو الله فى السموات وفى الارض فكانه ضمن معـنى المعبود والراجع الى الموصـول محـذوف لطول الـكلام كقولهم ما أنا بالذى قائل لك شيأ والتقدير وهو الذى هو فى السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره فى السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) فى أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) أى علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكى وحمزة وعلى (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الامن شهد بالحـق) أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهـم يعلمون) أن الله ربهـم حقا ويعتقـدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهـو استثناء منقطـع أو متصـل لان فى جملة الذين يدعـون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فانى يؤفكون) فكيف أومن أين يصرفون عن التوحيـد مع هـذا الاقرار (وقيـله) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله (يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محـل الساعة ويعـلم قيـله أى قيـل محمد يارب والقيـل والقول والقال والمقال واحـد ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كانه قيل وأقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسـلم وبالتاء مدنى وشامى

﴿سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) أى القرآن الواو فى والـكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من

أى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أى فى باطلهم (ويلعبوا) أى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) أى هو الاله الذى يعبد فى السماء وفى الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) أى فى تدبير خلقه (العليم) أى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيـل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله فمن شـهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهـم يعلمون) أى بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهـم عباده (ولئن سألتهـم من خلقهم ليقولن الله) يعنى انهـم اذا أقروا بان الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا على عبادة غيره (فانى يؤفكون) أى يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعنى قول محمد صلى الله عليه وسـلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) أى أعرض عنهم وفى ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) أى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الدخان وهى مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أى المبين ما يحتاج اليه الناس حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) قيـل هى ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء

اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التى تجىء فى السنة المقبلة (حكيم) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أو تعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم (رب) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هو رب (السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الله الذى أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم) أى هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء ولعب (فارتقب) فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان) يأتى دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان

الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذى (انا كنا منذرين) أى مخوفين عقابنا (فيها) أى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس أن الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر (أمرا) أى أنزلناه أمرا (من عندنا انا كنا مرسلين) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أى لاقوالهم (العليم) أى باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أى ان الله رب السموات والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) ۞ قوله تعالى (بل هم فى شك) أى من هذا القرآن (يلعبون) أى يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أى يا محمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجىء فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى

.(يغشى الناس) يشملهم و يلبسهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى سنؤمن أن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون و يقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون و يتعظون و يفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ماظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه و بهتوه بان عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة أو يوم بدر (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان مابعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الى) هى ان المفسرة لان مجىء الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم و يجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الى يا عباد الله ماهو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم (وأن لا تعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبى الله (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أنى نبى (وانى عذت) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى (بربى وربكم

الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع و ينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله و بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين أى أهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة فى أبصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر و يرتفع الغبار و يظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى و يعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) أى كيف يتذكرون و يتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) أى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) أى الجوع (قليلا) أى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) أى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) أى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة ❁ قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) أى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا الى عباد الله) أى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول أمين) أى على الوحى (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) أى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم

أن ترجون) أن تقتلونى رجا ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى و بين من لا يؤمن فتنحوا عنى أو فخلونى كفافا لالى ولا علىّ ولا تتعرضوا الى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجونى فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بان هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال اسر (بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أى دبر الله أن تتقدموا و يتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين و يغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز

البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قادرا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يابسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون و زروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكى على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه بتعذيبهم واهانتهم أو خبر مبتدا محذوف أى ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة وبانهم أحقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر و تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى) ما الموتة (الا موتتنا

أن ترجون) أى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى فاتركون لا معى ولا علىّ وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أى مشركون (فأسر بعبادى ليلا) أى أجاب الله دعاءه وأمره أن يسرى ببنى اسرائيل بالليل (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أى اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) أى ساكنا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعنى أخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو (كم تركوا) أى بعد الغرق (من جنات وعيون و زروع ومقام كريم) أى مجلس شريف حسن (ونعمة) أى وعيش لين رغد (كانوا فيها) أى فى تلك النعمة (فاكهين) أى ناعمين وقرئ فكهين أى أشرين بطرين (كذلك) أى أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا فقيل أو تبكى فقال وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) أى لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها ۞ قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا) أى جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أى علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون ان هى الا موتتنا

الاولى) أى لاموتة لنا الا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أى بمبعوثين
بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) أى انا نبعث أحياء بعد الموت قيل
طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى
(أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان
من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى
قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن
سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن
حنبل فى مسنده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أ كان تبع نبيا أو غير نبى
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ماذكر محمد بن
اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار
بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة
وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها
فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار
ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبيناهو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من أحبار بنى قريظة
وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا
تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى
يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من
القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا
فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما
وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا له
انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما أراد هذيل هلاكه
لانهم عرفوا أنه لم يرده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الارض بيتا غير هذا
البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناواه أحد
قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم
وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت
الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام
وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا
وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى
أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم
باوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها
الذى تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال
حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت
الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن وقال
الرياشى كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث
بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه * قوله تعالى (والذين من قبلهم) أى من الامم الكافرة

الاولى) والاشكال ان
الكلام وقع فى الحياة
الثانية لا فى الموت فهلا قيل
ان هى الا حياتنا الدنيا وما
معنى ذكر الاولى كانهم
وعدوا موتة أخرى حتى
جحدوها وأثبتوا الاولى
والجواب انه قيل لهم
انكم تموتون موتة تتعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة
قد تعقبتها حياة وذلك
قوله تعالى وكنتم أمواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
فقالوا ان هى الا موتتنا
الاولى يريدون ما الموتة
التى من شأنها أن يتعقبها
حياة الا الموتة الاولى فلا
فرق اذا بين هذا وبين قوله
الا حياتنا الدنيا فى المعنى
ويحتمل أن يكون هذا
انكارا لما فى قوله ربنا
أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين
(وما نحن بمنشرين)
بمبعوثين يقال أنشر الله
الموتى ونشرهم اذا بعثهم
(فائتوا بآبائنا) خطاب
للذين كانوا يعدونهم النشور
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين (ان
كنتم صادقين) أى ان
صدقتم فيما تقولون فعجلوا
لنا احياء من مات من آبائنا
بسؤالكم ذلك حتى يكون
دليلا على أن ما تعدونه
من قيام الساعة وبعث
الموتى حق (أهم خير)
فى القوة والمنعة (أم قوم
تبع) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث ما أدرى أ كان تبع نبيا أو غير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع

بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أى وما بين الجنسين (لاعبين) حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ما خلقناهما الا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) أى ولى كان عن أى ولى كان شيأ من أغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للمولى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هى على صورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا استدل

على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق ما لا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى فى البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى الحميم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) أى الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا أنه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم انك أى لانك على (ان هذا) أى العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين فى مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الاقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع فى القرآن العربى

(أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) أى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ۞ قوله عز وجل (ان يوم الفصل) أى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) أى لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيأ (ولا هم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) يعنى المومنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أى فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) أى باوليائه المؤمنين ۞ قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أى ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) أى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذى وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا الافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ۞ قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) أى ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) أى الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) أى هذا العذاب (انك أنت العزيز الكريم) أى عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين فى مقام أمين) أى فى مجلس أمنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ العجمى

(متقابلين) في مجالسهم وهو أتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أي الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدي بالباء (بحور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهي واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون في الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) أي في الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) أي سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا (ووقاهم عذاب

الجحيم فضلا من ربك) أي للفضل فيه ومفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيأ (ذلك) أي صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) أي الكتاب وقد جرى ذكره في أول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما للسورة فهي مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره (العزيز) في انتقامه (الحكيم) في تدبيره (ان في السموات والارض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفي خلقكم) ويعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حمزة وعلي بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أي مطر وسمي به لانه سبب الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي (آيات لقوم يعقلون) بالنصب علي وحمزة

أعجمي قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (متقابلين) أي يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) أي قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن أي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعني أرادوها واشتهوها (آمنين) أي من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كأنه في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) أي سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون (فارتقب) أي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) أي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم

﴿سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهي مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض) أي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفي خلقكم) أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) أي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعني بالاظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به) أي بالمطر (الارض بعد موتها) أي بعد يبسها (وتصريف الرياح) أي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان

وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقديم ذكر فى فى الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور ومعطوفا على ماقبله أو على التكرير بتوكيد الآيات فى الاولى كانه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هى والمعنى فى تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخران المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلهم من حال الى حال وفى خلق ماظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم تلك اشارة الى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) فى محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأى حديث بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يؤمنون) حجازى وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) يبالغ فى اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) فى موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحارث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فى كل من كان مضارا لدين الله وجىء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى العقول (كان لم يسمعها) كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فاخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها حيث أراد عتبه (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يوارى بها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فيهما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرها بالجر صفة لرجز (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا) هو تأكيد مافى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه

قلت ماوجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذ نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لابد لها من صانع فآمنوا به وأقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا أمعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله) أى بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) ۞ قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعنى آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ) يعنى آيات القرآن (اتخذها هزوا) أى سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة النار (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) أى من الاموال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا يغنى عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى القرآن (هدى) أى هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله) أى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض) يعنى أنه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان

(ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أى قل لهم اغفروا يغفروا وحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بامر والدلائل (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة

(ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بنقمه قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فانزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى الحلالات وهو ما وسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أى من الدين (فاتبعها) أى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) أى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) أى معالم للناس فى الحدود

(وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف فى (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرمة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحة وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد فى مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه (وأضل الله على علم) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا اى (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ما قال اذا طلبتك النفس يوما بشهوة ❊ وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما ❊ هواك عدو والخلاف صديق (وقالوا ما هى) أى ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون نطفا فى الاصلاب أمواتا ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر

والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أى اكتسبوا المعاصى والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا المعنى ان المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين فى الحال والمآل (ساء ما يحكمون) أى بئس ما يقضون قال مسروق قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أى بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات ❊ قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار (وأضله الله على علم) أى علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق فى علم الله انه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) أى ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) قال الواحدى ليس يبقى لقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ما هى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أى يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا الا الدهر)

أي وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (وماهم بذلك من علم) أي لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون)* (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن آدم و يقول ياخيبة الدهر فلا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ۞ قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) أي الذي فيه أعمالها و يقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي من خير وشر (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب و يطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته (ذلك هو الفوز المبين) أي الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أي يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني آيات القرآن (فاستكبرتم) أي عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعني كافرين منكرين ۞ قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أي البعث

(وماهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) ومايقولون ذلك من علم و يقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن يعني مافيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه في زعمهم حجة (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أي أحيوهم (ان كنتم صادقين) في دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أي يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لا ريب فيه) أي في الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر في الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب في يوم تقوم يخسر و يومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعد الله) بالجزاء (حق

والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة) أي شيء الساعة (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيئات ما عملوا) قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم

لقاء يومكم هذا) أي نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله تعالى في يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأواكم النار) أي منزلكم (وما لكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها) لا يخرجون حمزة وعلي (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أي فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء في السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض (وهو العزيز) في انتقامه (الحكيم) في أحكامه ﴿سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم) أخبروني (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض) أي شيء خلقوا مما في الارض ان كانوا آلهة (أم لهم

كائن (والساعة لا ريب فيها) أي لا شك في انها كائنة (قلتم ما ندري ما الساعة) أي أنكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أي انها كائنة (وبدا لهم) أي في الآخرة (سيئات ما عملوا) أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أي ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أي هذا الجزاء (بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقاني ٧ وأبو مسعود رضي الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيأ منهما عذبته ولابي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار * شرح غريب ألفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله أعلم

﴿تفسير سورة الاحقاف وهي مكية﴾

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي بالعدل (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون) أي لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك

فى السموات) شركة مع الله فى خلق السموات والارض (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أى أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى الاصنام لعبدتها (وكانوا) أى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام فى من أضل انكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شئ و يدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين

الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو

فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أى بقية من علم يؤثر عن الاولين و يسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض (ان كنتم صادقين) أى فى أن لله شريكا (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الاصنام لا تجيب عابدها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى لا تجيب أبدا ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أى جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى لا تقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف افترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أى الله أعلم (بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى و بينكم) أى ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ﴿قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أى بديعا (من الرسل) أى لست باول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به و بهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من

بالحق (لما جاءهم) أى بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره فى البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أى اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بينى و بينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ و يشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى انى لست باول مرسل فتنكروا نبوتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أى ما يفعل الله بى و بكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر

وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وإنما دخل لا في قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفي لتناول النفي فيما أدرى ما وما في حيزه (ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبد الله

بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أي مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد بنحو ذلك يعني كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به

الانصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله أكرمه فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله اني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا أزكي بعده أحدا أبدا يا رسول الله قالت وأريت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وأن من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التي رأيت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا أما أنا فلا أدري أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلي أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلي وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدري أتخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم ۞ وقوله (ان أتبع الا ما يوحى الي) معناه ما أتبع غير القرآن الذي يوحى الي ولا أبتدع من عندي شيأ (وما أنا الا نذير مبين) أي أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع (قل أرأيتم) أي اخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعني القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) أي انه من عند الله (فآمن) يعني الشاهد (واستكبرتم) أي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في أرض يخترف النخل فأتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شيء ينزع الولد الى أبيه ومن أي شيء ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت

ألستم أضل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) أى الكتاب لتنذر حجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التى دل عليها أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى أى وصيناه بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أى بامر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازى وابو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت

الحوت وأما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان اعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبد الله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا أدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انهما من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم ۞ قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) أى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) أى كذب متقدم (ومن قبله) أى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) أى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) أى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) أى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته أمه كرها) يعنى حين أثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا

للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة و بلوغ الاشد ان يكتهل و يستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين)

المخلصين (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل و يتجاوز وأحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل و يتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه و بنوه و بناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه و يشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله

فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) أى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك أنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) أى بالايمان والهداية وقال على بن أبى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى أبى بكر أسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لى فى ذريتى) فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر ۞ وقوله (انى تبت اليك) أى رجعت اليك الى كل ما تحب (وانى من المسلمين) أى وأسلمت بقلبى ولسانى (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (و يتجاوز عن سيآتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى أصحاب الجنة) أى مع أصحاب الجنة (وعد الصدق) أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم و يتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث

بعد

(أف لكما) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعدانني أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ما هذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أي لأملأن جهنم (في أمم) في جملة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكي وبصري وعاصم (وهم لا يظلمون) أي وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلق بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أي باستكباركم وفسقكم

بعد الموت (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أتعدانني أن أخرج) أي من قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) أي فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أي يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) أي بالبعث (فيقول ما هذا) أي الذي تدعونني اليه (الا أساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وانكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أي وجب عليهم العذاب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى أسفل (وَلِيُوفيهم أعمالهم) أي جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) ۞ قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

(فصل) لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك

فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا أن نؤتى باللحيم وفي رواية أخرى قالت انا كالننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله مالم يخف أحد وأوذيت في الله مالم يؤذ أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام الاشئ يواري ابط بلال (خ) عن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أو كلما اشتهيت يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ۞ قوله تعالى (واذكر أخا عاد) يعني هودا عليه السلام (اذ أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمل سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن خلفه) أي من بعده (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أي لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عبادتها (فأتنا بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (انما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله علي وأمرني بتبليغه اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم (فلما رأوه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا

(واذكر أخا عاد) أي هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضي الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر والانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين انذر قومه وبين (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) أي قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجيء العذاب (عند الله) ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وبالتخفيف أبو عمرو أي الذي من شأني أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف (ولكني أراكم قوما تجهلون) أي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم

قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا
واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أي قال هود بل هو يدل عليه
قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم
الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بأمر ربها) رب الريح (فاصبحوا لا يرى الامساكنهم) عاصم وحمزة

تلك السحابة استبشروا بها انهم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله ردا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شئ بأمر ربها) يعني تهلك كل شئ مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فاهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب وقد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدري لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفي رواية أخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قال هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سري عنه أي كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن ﴿قوله تعالى (فاصبحوا لا ترى الامساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الامساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزي القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعني انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) يعني انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك منهم شيأ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا

وخلف أي لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الامساكنهم والخطاب للرائي من كان (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي مثل ذلك نجزي من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركي العرب عن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا ان ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذي أو نكرة
موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أي آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أي من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا

ماحولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعني أهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعني و بينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر (فلولا) يعني فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وأنها تشفع لهم ۞ قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

﴿ذكر القصة في ذلك﴾

قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه و ينصره و يمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءله من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيزيد ذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه و يصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه و يريان مالقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أوالى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة مالقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقال له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقول أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه و يديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له و يلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل و يديه وقدميه قال يا سيدي ما في

ماحولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أي كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أي اتخذوهم والثاني آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بامر مايعلمه الا نبي فقال له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له ولما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا الى ما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني و بينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت لا والله يارسول الله قد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة و بعرة فقالوا يارسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجي بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاني فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا أن ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده وأجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه * وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أي كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضي) أي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدي الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل أنه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا) يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا التسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضي) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين) يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له (وقالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة (يا قومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على أنه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على أصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا اجرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه أو يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح

الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصارا يمنعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) ﴿قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتى) يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شئ قدير) يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ﴿قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في أولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم بقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لابد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله ﴿قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعني اصبر على أذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب

أبو حنيفة رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي لا ينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقول عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قالت ماظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا (فاصبر كما صبر أولو العزم) أولو الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد باولي العزم ماذكر في الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر

(كانهـم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار) أى انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسـنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيـل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا وامتنعـوا عن الدخـول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصـد صدودا أى أعرض وصـده عن الامر صـدا منعـه وصرفه عنـه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمـالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها و يثيب عليها كالضالة من الابل وأعمـالهم ما عمـلوه فى كفرهم مـن صلة الارحام واطعام الطعام وعمـارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عـن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بمـا نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمـان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الايمـان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمـانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين و بالتسليط على الدنيا بمـا أعطاهم من النصرة والتأييد وقال

العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون مايوعدون) يعنى من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (الاساعة من نهار) يعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العـذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الـكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتـدأ فقال تعالى (بلاغ) أى هذا القرآن وما فيـه من البينات والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمـان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

﴿تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمـالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهـم وأراد بالاعمـال ما كانوا يفعلون من أعمـال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسـير واجارة المسـتجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هـذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقـاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمـال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمـال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضـل أعمـالهم يعنى أبطلها لانها لم تـكن لله ولا بامره انمـا فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسـلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الـكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غـيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسـلام أو منعوا أنفسـهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمـالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمـل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الـكتاب وقيـل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (و) الذين (آمنوا بمـا نزل على محمد) يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وانمـا ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمـان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسـلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الـكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمـان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صـلى الله عليه وسـلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بمـا نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ (كفر عنهـم سيآتهم) يعنى ستر بايمـانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الـكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بمـا أعطاهم من النصر على أعدائهـم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد

(ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعد خبره أى ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيآت الثانى والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أى يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم مايوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لايفلتوا منكم (فامامنا بعد) أى بعد ان تأسروهم (واما فداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر مانزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادى باساراهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لايرى فداءهم لابمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعى رحمه الله تعالى للامام أن يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعنى أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لايعصوا (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعنى الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير فى أمثالهم راجع الى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع الى الفريقين على معنى أنه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس ۞ قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا أثخنتموهم) يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعنى فى الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لايفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به (فامامنا بعد واما فداء) يعنى بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

(فصل فى حكم الآية) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لايجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى باسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور عنه أنه لايرى فداءهم لابمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الاسارى فامامنا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه فى سارية من سوارى

المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فاصبح دينك أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعني أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا أو يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعني ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعني فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا في سبيل الله) يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعني أيام حياتهم في الدنيا الى أرشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) ويرضى أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم في الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب ۞ قوله عز وجل (يا أيها

عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أي المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (والذين قتلوا) بصري وحفص قاتلوا غيرهم (في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة أو الى الصواب في جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها الذين

الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (و يثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعسا لهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فيقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى

الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم فالله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (و يأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم

الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (و يثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين و يثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصبر و يثبت قدمه فى الحرب والقتال فأخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فأبطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بان) أى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم و بين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (و يأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكافر فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم ۞ قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل

فلاناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن (التى وعد المتقون) عن الشرك (فيها أنهار) داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التى فيها أنهار أو حال أى مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء اذا تغير طعمه وريحه أسن مكى (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفة الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما) حارا فى النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من

أهلكناها (فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان ۞ قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار (فيها) يعنى الجنة التى وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما فى بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه ۞ وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن مأكول أهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فان قلت المؤمن المتقى لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه ۞ قوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (ف) اذا شربوه (فقطع أمعاءهم) يعنى خرجت من أدبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب

على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما
كان أخرجه الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله
يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا
شرب به قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ۞ قوله تعالى (ومنهم) يعنى ومن
هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا
عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك
فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعنى من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعنى
ما الذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبى صلى الله
عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال
محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعنى المنافقين (الذين طبع الله
على قلوبهم) يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم)
يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا
أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على
متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله اياهم
الى الايمان (زادهم هدى) يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل
آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعنى
وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم
بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى ۞ قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعنى الكافرين
والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه
وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو
غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة
أدهى وأمر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ۞ وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أى أماراتها وعلاماتها
واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبعدا فى النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة
أن تأتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من
أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتى تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفى
رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفى رواية قال
بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى
الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين فى الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن
أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيرى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل
ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفى رواية ويظهر

من هو خالد فى النار وهو
وهو كلام فى صورة الاثبات
ومعناه النفى لانطوائه
تحت حكم كلام مصدر
بحرف الانكار ودخوله
فى حيزه وهو قوله أفمن كان
على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله وفائدة حذف
حرف الانكار زيادة
تصوير لمكابرة من
يسوى بين المتمسك بالبينة
والتابع لهواه وانه بمنزلة من
يثبت التسوية بين الجنة
التى تجرى فيها تلك الانهار
وبين النار التى يسقى أهلها
الحميم (ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين أوتوا
العلم ماذا قال آنفا) هم
المنافقون كانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيسمعون
كلامه ولا يعونه ولا يلقون
له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا
قالوا لاولى العلم من الصحابة
ماذا قال الساعة على جهة
الاستهزاء (أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم
واتبعوا أهواءهم والذين
اهتدوا) بالايمان واستماع
القرآن (زادهم) الله (هدى)
أى بصيرة وعلما أو شرح
صدورهم (وآتاهم
تقواهم) أعانهم عليها أو
آتاهم جزاء تقواهم
أو بين لهم ما يتقون (فهل
ينظرون الا الساعة) أى
ينتظرون (أن تأتيهم) أى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله

الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط
الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال
القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين
السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا
وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة ۞ وقوله تعالى (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني فمن أين لهم
التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا
تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت (فاعلم انه لا اله الا الله) الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا
الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما
أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه
وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه
لا ملجأ ولا منجي ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع
الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني
أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة
مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية
أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطى وسبب
ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر
في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع
مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب
كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو
الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن
غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب
استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض
ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل
عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الانبياء
والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة
حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في معنى
الآية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام
من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب
فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم
في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل

الى

عليه وسلم وانشاق القمر
والدخان وقيل قطع الارحام
وقلة الكرام وكثرة اللئام
(فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم) قال الاخفش
والتقدير فانى لهم ذكراهم
اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان
الشان (لا اله الا الله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات) والمعنى فاثبت
على ما أنت عليه من العلم
بوحدانية الله وعلى التواضع
وهضم النفس باستغفار
ذنبك وذنوب من على
دينك وفي شرح
التأويلات جاز أن يكون
له ذنب فامره بالاستغفار له
ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب
الانبياء ترك الافضل
دون مباشرة القبيح
وذنوبنا مباشرة القبائح
من الصغائر والكبائر وقيل
الفاآت في هذه الآيات
لعطف جملة على جملة بينهما
اتصال (والله يعلم متقلبكم)
في معايشكم ومتاجركم
(ومثواكم) ويعلم حيث
تستقرون من منازلكم
أو متقلبكم في حياتكم
ومثواكم في القبور أو
متقلبكم في أعمالكم
ومثواكم في الجنة والنار
ومثله حقيق بان يتقى
ويخشى وأن يستغفر وسئل
سفيان بن عيينة عن فضل
العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم
أنه لا اله الا الله واستغفر

الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات و بطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور المعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى * قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد فى سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكى نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) يعنى نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أى فلعلكم (ان توليتم) يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا فى الارض) يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الا الفساد فان قلت عسى طمع وترج

لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فاذا أنزلت سورة) فى معنى الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فاذا عزم الامر) فاذا وجد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخير

وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شيء فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم أحقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (أولئك) اشارة الى من اذا تولى أفسد في الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعني أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعني عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء ومايؤول اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفالها) يعني بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف مالا يطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسي وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك

۞ قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) يعني رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ماتبين لهم الهدى) يعني من بعد ماوضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ماعرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بانهم) يعني بان أهل الكتاب أو المنافقين (قالوا للذين كرهوا مانزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) يعني من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك

عسى أن تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهو عسيتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك والمراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) أي المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومد لهم في الآمال والاماني وأملي أبو عمرو أي أمهلوا ومد في عمرهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) أي المنافقين قالوا لليهود (سنطيعكم في بعض الامر) أي عداوة محمد والقعود عن نصرته

(والله يعلم اسرارهم) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى فكيف يعملون وماحيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصره المؤمنين (فاحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم والمعنى أظن المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهوان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان مافى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لو كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد أى نعلم كائنا ماعلمناه أن سيكون (ونبلوا أخباركم) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلوا أبو بكر وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقد مر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم

الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم * ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بانهم) يعنى بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط أعمالهم) التى عملوها من أعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وهم المنافقون (ان لن يخرج الله أضغانهم) يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم أى لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعنى بعلامتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه * ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله * قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى علم الوجود والظهور (ونبلوا أخباركم) يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيأ) يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى

وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب
مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى
(ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعني بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة
ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل
الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا أعمالكم بالرياء
والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي
والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضرهم مع الإيمان ذنب كما لا
ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من
يرى إحباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لأن الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل
وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر أنه قال كنا نرى أنه لا شيء من
حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش
حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على
من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل في صلاة
تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لأن السنة
مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع إلى البيت وجد
حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيحين أيضا
أن سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه إليه قال كل فإني صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه
وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت في بني أسد وسنذكر
القصة في تفسير سورة الحجرات إن شاء الله تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا في قليب بدر
وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا أيها
المؤمنون (وتدعوا إلى السلم) يعني ولا تدعوا الكفار إلى الصلح أبدا منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى
الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الأعلون) يعني وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله
تعالى أن الأمر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وإن غلبوا المسلمين في بعض الأوقات (والله معكم) يعني
بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي الغالب (ولن يتركم أعمالكم) يعني لن ينقصكم
شيأ من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ﴿ ثم حض على
الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن
طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب
ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه
أشغاله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم)
يعني يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعني أن الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم
لإعطاء الأجر عليها بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو بالرياء (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا إلى السلم) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح (وأنتم الأعلون) أي الأغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي (والله معكم) بالنصرة أي ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقطع في أسرع مدة (وإن تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أي لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض

(ان يسئلكموها فيحفكم) أي يجهدكم و يطلبه كله ولاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شئ يقال أحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج) أي الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (هاأنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أي أنتم الذين تدعون (لتنفقوا في سبيل الله) هي النفقة في الغزو أو الزكاة كأنه قيل الدليل على انه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى أداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط أي فمنكم ناس يبخلون به ومن يبخل بالصدقة وأداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) أي يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغني وأنتم الفقراء) أي انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غني عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق في سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) أي ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها في الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى في أموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعني يجهدكم و يطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسئلة وبلوغ الغاية في كل شئ يقال أحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح (تبخلوا) يعني بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله أن الاحفاء بمسئلة الاموال يخرج للاضغان (هاأنتم هؤلاء) يعني أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعني بما فرض عليه اخراجه من الزكاة أوندب الى انفاقه في وجوه البر (ومن يبخل) يعني بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) أي على نفسه (والله الغني) يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض (وأنتم الفقراء) يعني اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعني عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعني يكونون أطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية أخرى عن أبي هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

(خ) عن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزل علي الليلة سورة لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا أخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض أسفاره بالحديبيه (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله

عنوة أو صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة

والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك اوما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد

عليه وسلم لقد أنزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فالنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيئا مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذي عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة آية أحب الي مما على الارض ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ﬦ قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد أنه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه ✽عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير وهو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا

وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز أن يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع مافرط منك ماتقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وماتأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراسانى ماتقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وماتأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ماتقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وماتأخر يعنى كل شئ لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ماوقع لك من ذنب ومالم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ماعسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيآت المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وماأعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية أى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب أما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا ۞ قوله تعالى (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمأنينة الا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ۞ ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهو جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عز وجل أن له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة

(ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضى (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لاذل بعده أبدا (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على يقينهم وقيل السكينة الصبر على أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله (ولله جنود السموات والارض

ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم ۞ قوله عزوجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ما روى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عزوجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) فان قلت تكفير السيآت انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لاتقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة المشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لاينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا فان قلت قال فى الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذى انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر ۞ قوله تعالى

انا

وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد ظنهم ان الله تعالى لاينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكرم والكرم والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ وأما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما) فيما دبر

(انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب * ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعزروه) يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعني ويصلوا لله أو يسبحوا الله بالغداة والعشي * قوله عز وجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على أي شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أي نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل * قوله تعالى (فمن

(انا أرسلناك شاهدا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الاربع (ان الذين يبايعونك) أي بيعة الرضوان ولما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وانما يبايعون الله خبر

ان (فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) وبالنون حجازي وشامي (أجرا عظيما) الجنة (سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هي جمع أهل اعتلوا بالشغل باهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلي (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشيء هلك وفسد أي وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أي لهم فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نارا مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين

نكث فانما ينكث على نفسه) يعني فمن نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعني من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعني في الآخرة وهو الجنة ۞ قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أي انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم) يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) يعني سوأ (أو أراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة لهم في أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيأ من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهاليهم (وزين ذلك في قلوبكم) يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان بالشيء ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ماذا يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا أعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات والارض

والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) ﴿ قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) يعني اذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ (ذرونا نتبعكم) يعني الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعني يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير منهم أحدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا والقول الاول أصوب (قل) أي قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعني الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيأ (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله ﴿ قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم أولي باس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولي باس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن نقي طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله أولي باس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيدا بقيد هو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد

الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلم الله حمزة وعلي أي يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أي لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيأ قليلا يعني مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعظم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل

منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معهم أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو باس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبابكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار ﴿وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعني في الآخرة ﴿قوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعني بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية قال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وأخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا

هم فارس وقد دعاهم عمر رضي الله عنه (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أي عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفي الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) في الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدني وشامي (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا جد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ۞ وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) يعني من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل السكينة) يعني الطمأنينة (عليهم) يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم ۞ وقوله تعالى

خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني أخافهم على نفسي لما أعرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه عليه (فأنزل السكينة عليهم) أي الطمأنينة والامن بسبب الصلح على

(وأثابهم فتحا قريبا) يعني خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعني منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم ﴿قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدي الناس عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ما وهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

(ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا

فثبت الاقدام ان لاقينا * وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا

قلوبهم (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعني مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

لجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قدعلمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله و يفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن أبى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون و يقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحق فكان اول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن أبى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب جاء بها بلال و باخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يابلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ماهذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بها أثر منها فسألها عن ذلك ماهو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقى فابى أن يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ماعنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبى طلحة فاجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى أنظر بياض فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال

وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يارسول الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لاتصلح الالك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت ياأباحمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكفؤا القدور ولاتأكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن انس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قالوا أنقتلها قال لا فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر في امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم و يخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولاركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي مالايخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال ياأم بشر مازالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة * عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبرا أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يارسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ماربح أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال

(وأخرى) معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هي مغانم هوازن في غزوة حنين (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة ولم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدا (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولوا الادبار) لغلبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لاغلبن أنا ورسلي (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أي بمكة أو بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم (من بعد ان أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام

مازلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود ۞ قوله تعالى (وأخرى لم تقدروا عليها) يعني وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شيء قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) أي لانهزموا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد خلت من قبل) يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ۞ قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روي عن أنس ابن مالك ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلمان فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد ان أظفركم عليهم) أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) ۞ قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أترون ان أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد

قتال أحد ولاحرب فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لاتريد قتال
أحد ولاحرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة
الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم
منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت
القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسي بيده لايدعونى قريش اليوم الى
خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل
بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى
الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينماهم
كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ
المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا
معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بينى وبين الناس فان
أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذى نفسي بيده لاقاتلنهم
على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا
فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم
لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى منهم هات ماسمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال
النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد
قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى
وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا
ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند
ذلك يامحمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى
فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه
امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسي بيده لولا يد لك عندى
لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على
رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة
رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى
الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست
منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ماتنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمر ابتدروا أمره واذا توضأ
كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى
أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت
ملكا يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمدا والله ماتنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه

وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال قد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش انى قد رأيت مالا يحل صد الهدى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما أنت رجل اعرابى لاعلم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ماجاءله أولا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا ياحليس حتى ناخذ لانفسنا مانرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذجاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن والله ماأدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله مانكتبها الابسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لوكنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن هذا البيت ولاقاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى أكتب محمد ابن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لايسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الاأعطيتهم اياها فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لاتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لايأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لونعلم انك رسول الله مامنعناك شيأ ولكن أنت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله قال ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لأمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبى بيده وفى رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاء نامنكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهرى * قال بيناهم كذلك اذجاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى

بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال
ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أي معشر
المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي
الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب أبي
جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدني السيف منه قال عمر
ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم
لا يشكون الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا
يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهري
في حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا
في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري
قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك
آتيه وتطوف به قال فاتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتي البيت ويطوف
به قال بلى أفأخبرك أنه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ
من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل
منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي
من الناس قالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو
حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا
فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم
الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين
قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم
ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا
لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي
جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا في
الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء
وأمرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد
رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق
الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد
أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين

فرجا رمحرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأ كلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم فانجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه يرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا احبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل فلحق بابى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخاري بطوله سوى ألفاظ منه وهي مستثناة فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا ياحليس حتى نأخذ لانفسنا بما ترضى به ومنها قوله هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياأبا جندل الى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري فى صحيحه *شرح غريب ألفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له أى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم أحياء من القارة انضموا الى بني ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أى منقوصين قوله فنفذوا أى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على أخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا يعنى انها لما توقفت عن المشي وتقهقرت ظنوا اذلك خلا فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها عن السير الذى منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الاذن قوله خطة أى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى

لا مادة له والتبرض أخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصدا الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هى كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أى جعلت بينى و بينهم مدة قوله والا فقد جموا أى استراحوا والجام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه و بين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله انى استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها وأشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهو اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من الهنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور فى ألسنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله أى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن أى الابل تهدى الى البيت فى حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل فى رقابها شئ كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى أى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه أى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشى المقيد قوله فاجزه لى قال ابن الاثير يجوز أن يكون بالزاى من الاجازة أى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضع قوله فلم نعط الدنية أى القضية التى لا نرضى بها أى لم نرضى بالادون والاقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كالا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره و يتعجب بها أيضا ومسعر حرب أى موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم أى منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به (والهدى) أى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أى محبوسا (أن يبلغ محله) أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء

والهدى) هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (معكوفا ان يبلغ) محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء

مؤمنات

مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطؤهم يعنى ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع عن قتالهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا ك ولا

مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أى لم تعرفوهم (أن تطؤهم) أى بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أى اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى فى دين الاسلام من يشاء أى من أهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) أى لو تمكن المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى بالسبى والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات فى رحمته أى فى جنته قال قتادة فى الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة ۞ قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) أى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أى حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصون الله فى قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عطاء الخراسانى هى لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أى من كفار مكة (وأهلها) أى كانوا أهلها فى علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شئ عليما) يعنى من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ۞ قوله

رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل فى (اذ جعل الذين كفروا) أى قريش لعذبنا أى لعذبناهم فى ذلك الوقت أو اذكر (فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا هى الانفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا أشهد انى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أى المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شئ عليما) فتجرى الامور على مصالحها

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا

ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لاصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير في آمنين (رؤسكم) أي جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لاتخافون) حال مؤكدة (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر ليستريح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) أي الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر

تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التي رآها فأنزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع ابن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التي أراه اياها في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتأكيدا لقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت (محلقين رؤسكم) أي كلها (ومقصرين) أي تأخذون بعض شعوركم (لا تخافون) أي من عدو في رجوعكم لان قوله آمنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم انه في السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر ۞ قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن

البيت

دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا تمييز أو حال (محمد) خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله هو الذي أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أي أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) أي من التأثير الذي يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أي المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) وعليه وقف (ومثلهم في الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ (فآزره) قواه فازره شامي (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه في الزيادة الى أن قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (ليغيظ بهم الكفار)

البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أي في انه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعني أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أي غلاظ أقوياء كالاسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) أي يطلبون (فضلا من الله) يعني الجنة (ورضوانا) أي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائي بعمله لا يبتغي له أجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أي علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) واختلفوا في هذه السيما على قولين أحدهما أن المراد في يوم القيامة قيل هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك في رجلين أحدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم في التوراة) يعني ذلك الذي ذكر صفتهم في التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أي صفتهم (في الانجيل كزرع أخرج شطأه) أي افراطه قبل فراخه قيل هو نبت فما خرج بعد فهو شطؤه (فآزره) أي قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) أي غلظ ذلك الزرع وقوي (فاستوى) أي تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أي على أصوله (يعجب الزراع) أي يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

(فصل فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب فى الجنة وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى بن أبى طالب فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة أخرجه الترمذى وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الاول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر أشبه عيسى فى ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين أحدهما الى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر الى أبى ذر (خ) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فانما عليك نبى وصديق وشهيدان * عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت أى الناس أحب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا * عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبى الامى الى أنه لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابى بأرض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقد روى عن أبى بريدة مرسلا وهو اصح (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وعن أبى هريرة نحوه أخرجه مسلم * عن عبد الله بن مغفل المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من فى قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جريج يعنى من الشطء الذى أخرجه الزرع وهم الداخلون فى الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعنى الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقولك انفق من الدراهم أى اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته

(سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهي متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذي يحيي ويميت أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا (بين يدي الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله أي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض صوته بين يديه وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق لمثله أن يتقى (يا أيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

﴿ تفسير سورة الحجرات ﴾

(وهي مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) من التقديم أي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروي عن جابر أنه في الذبح يوم الاضحى أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في أوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ما روي عن عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين أي لا تقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أي في تضييع حقه بمخالفة أمره (ان الله سميع) أي لاقوالكم (عليم) أي بافعالكم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهي عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله (أن تحبط أعمالكم) أي لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكي فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة زاد فى رواية فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وانه قال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله تعالى ان الذين يغضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اجلالا له وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار

لبعض) أي اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أولا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر الا كأخي السرار وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه فى محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا أن يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على انه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر ان والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات

عنها والامتحان افتعال من منحه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمر دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض بعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له

أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساطا للثاني ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (ولو أنهم صبروا) أي ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم

بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) ﴿قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية أكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج (لكان خيرا لهم) أي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من أعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر

(والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون وسلموا اليه الصدقات ورجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في انفساق والانباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولاتعتمدوا قول الفاسق لان من لايتحامى جنس الفسوق ولايتحامى الكذب الذي هو نوع منه وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانالو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت مافيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصباله عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلي فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أن تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على مافعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ماوقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لهادوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلاتكذبوا فان الله يخبره فيهتك ستر الكاذب أوفارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا الرسول صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين

أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ماأعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤا فجعلوا ينادونه يامحمد يامحمد فانزل الله هذه الآيات ۞ قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ماقبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ماتستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولايظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولاتعتمدوا على قول الفاسق (أن تصيبوا) أي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي (قوما بجهالة) أي جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على مافعلتم) أي من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله) أي فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الامر) أي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) أي لاثمتم وهلكتم ✽ عن أبي

سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال هـذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أى حسنه وقربه منكم وأدخله (فى قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيأ اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان فى كل يوم يزداد فى القلب حسنا وثباتا ولذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصى الله تعالى وفى هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل المزين فى القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر فى مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان فى مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين فى قلوبهم أى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أى بكم وبما فى قلوبكم (حكيم) فى أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم ۞ قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبى بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبى واذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى بن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مماراة فى حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وأن الآخر دعاه ليحاكمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فأنزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس

استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له أى حبب وكره للفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فاصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبي بانفه وقال خل سبيل حمار فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع

اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في فاصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغي الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغي الى أمر الله (فاصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم)

والخزرج (فاصلحوا بينهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) أي تعدت (احداهما على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع (الى أمر الله) أي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي أمرت به (فان فاءت) أي رجعت الى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) أي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين (انما المؤمنون اخوة) أي في الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وأن بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

(فاصلحوا بين أخويكم) أي اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) أي فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون) * (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿فصل في حكم قتال البغاة﴾ قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن أبي طالب وهو القدوة في قتال أهل البغي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتي علي يوم صفين باسير فقال لا أقتلك صبرا اني أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا

هذا تقرير لما ألزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولادا لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أي واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لأنهم قوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية اذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله وما أدري وإخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد افادة الشياع وأن يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه وقوله عسى

أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالألقاب) التنابز بالألقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فأما ما يحبه فلا بأس به وروي أن قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروي أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل

أيدينا ولا نبدؤكم بقتال ﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الاول من أولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه ﴿وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) أي لا يستهزئ نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتق الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا

بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود وفي الترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب أي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذما له فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها وأما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أي بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) أي من ذلك كله (فاولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوءا ونهى الله المؤمن أن يظن باخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن

بالاخ

فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهي عنه (فاولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوأ فاما أهل الفسق فلنا ان نظن فيهم مثل الذي ظهر منهم أو معناه اجتنبوا كثيرا واحترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب

بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن لان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة ۞ قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة ۞ قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سيار بينما أنا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده ۞ قوله تعالى (واتقوا الله) أي في أمر الغيبة

(ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلام الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدني وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بان أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي فانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بان أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أي فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله

واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقوله فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال أنظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن العيص الحمد لله الذى قبض أبى ولم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل ابن عمرو ان يكره الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان انى لا أقول شيأ أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعنى آدم وحواء والمعنى انكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى أمية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور

ان الله تواب رحيم) التواب البليغ فى قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المؤمنين التائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها (لتعارفوا) أى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فى الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد بن شجرة مر

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيأ فنزلت (ان الله عليم) كرم القلوب وتقواها (خبير) بهمم النفوس في هواها (قالت الاعراب) أي بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (آمنا) أي ظاهرا وباطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما في الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفي لما معنى التوقع وقد دل على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال

المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عيبة الجاهلية يعني كبرها وفخرها (ان الله عليم) أي بظواهركم ويعلم أنسابكم (خبير) أي ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقي هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يامن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقي لم يترك ما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين ﴿ قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أي صدقنا (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أخبر أن حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وأن الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم الي فقلت مالك عن فلان والله اني لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال اني لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه خشية أن يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى أن الاسلام الكلمة والايمان والعمل الصالح لفظ الحميدي اعلم أن الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة

من الضميرفى قوله (وان تطيعو االله ورسوله) فى السر بترك النفاق (لايلتكم) لايألتكم بصرى (من أعمالكم شيأ) أى لاينقصكم من ثواب حسناتكم شيأ ألت يالت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد المجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدا الذى هو المؤمنون (اولئك هم الصادقون) أى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا أنهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك أن) أى بان (أسلموا) يعنى باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضا للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) أى المنة لله عليكم (أن هداكم) بان هداكم أو لان (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ أن هداكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) و بالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه تعالى يعلم كل مستتر فى العالم و يبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علام الغيوب

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الكلام فى (ق

وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والايمان أخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم ۞ وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) أى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لايلتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) أى من ثواب أعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى يشكوا فى دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) أى فى ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى لا يخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يمنون عليك أن أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصا (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى تعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى لله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ق﴾

وهى مكية وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر أو قضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء

والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد المجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أي كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم أن مخوفا اظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ وإقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بانه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وعلي وحمزة وحفص

(ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أي بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم في أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم في الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (وما لها من فروج) من فتوق وشقوق أي انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (والارض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت لولا هي لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لنبصر به ونذكر (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أي وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما

السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أي معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أي يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أي مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أي حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أي بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم في أمر مريج) أي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي بغير عمد (وزيناها) أي بالكواكب (وما لها من فروج) أي شقوق وصدوع (والارض مددناها) أي بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن كريم يبتهج به أي يسر به (تبصرة) أي جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أي تذكرة (لكل عبد منيب) أي راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي بساتين (وحب الحصيد) يعني البر

(والنخل باسقات) طوالا فى السماء (لها طلع) هو كل مايطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أولكثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) أى أنبتناها رزقا للعباد لان الانبات فى معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أوهو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جيف نباتها (كذلك الخروج) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطووهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا (وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا) عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أى انا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم فى لبس) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس مايخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد بالقعيد قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية (اذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله رمانى بامر كنت منه ووالدى بريئا ومن أجل الطوى رمانى أى رمانى بامر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا واذ منصوب باقرب لما فيه من معنى ومايقرب ٣ والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان مايتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لايستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهو مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيآت والرغبة فى الحسنات

والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) أى طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أى متراكب بعضه على بعض فى أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أى جعلناذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) فانبتنا فيها الكلأ والعشب (كذلك الخروج) أى من القبور أحياء بعد الموت ۞ قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلا ٦ الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب أسعد تبع الحميرى وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدى أى وجب لهم عذابى وقيل فحق وعيدى للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث (بل هم فى لبس) أى شك (من خلق جديد) وهو البعث ۞ قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) أى مايحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه أى نحن أعلم به منه والوريد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه (اذ يتلقى المتلقيان) أى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعنى ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت (قعيد) أى قاعدا وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد

٦ قوله الى طائفة من قوم ابراهيم كذا بالاصول ولعل الظاهر الى طائفة من قومه بدليل تعليله وعبارة النسفى بالهامش واضحة اه

(ما يلفظ من قول) ما يتكلم به وما يرمى به من فيه (الا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط والجماع ولما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أى بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر وتهرب (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل

لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة (لقد كنت) أى يقال لها لقد كنت (فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أى ديوان عمله مجاهد شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أى الذى وكلت به (ما لدى عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو للمالك وكان الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فى جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فالقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وفالقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) أى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجيء

بالقعيد الملازم الذى لا يبرح (ما يلفظ من قول) أى ما يتكلم من كلام يخرج من فيه (الا لديه رقيب) أى حافظ (عتيد) أى حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه ولا يجوز للانسان أن يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لا يؤذى الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ماله أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصرى يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ۞ قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أى حقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك اليوم الذى وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى يسوقها الى المحشر (وشهيد) أى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى يا صاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به فى الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا ما لدى) أى عندى (عتيد) أى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (ألقيا فى جهنم) أى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أى شديد الكفر (عنيد) أى عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمر به (مناع للخير) أى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) أى ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد) يعنى النار (قال قرينه)

كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له وما هذه فهي مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو أطغاني فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) أي ما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قال لا تختصموا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال

لا تختصموا (لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي والباء في بالوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدي) أي لا تطمعوا ان أبدل قولي ووعيدي بادخال الكفار في النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وأنذر (يقول) نافع وابو بكر أي يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمحيد أي انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أي هل بقي في موضع لم يمتلئ يعني قد امتلأت أو انها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ   انها
الكفرة لعلمه تعالى بانها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما

يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدي) أي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدي) أي لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل لأملأن جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي (وما أنا بظلام للعبيد) أي فأعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فأزيد على اساءة المسيء أو أنقص من احسان المحسن ۞ قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعني جهنم (هل من مزيد) يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس في مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا

﴿فصل﴾ هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى ۞ قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أي قربت وأدنيت (للمتقين) أي الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعني

تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ما توعدون) صفته وبالياء مكي (لكل أواب) رجاع الى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده في الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أوابا حفيظا (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع (خشي الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أي مقدري الخلود (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) على ما يشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة وسطوة (فنقبوا) فخرقوا (في البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أي شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله أو الموت (ان في ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع

انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ما توعدون) أي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الانبياء (لكل أواب) أي رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفره منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشي الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد اذا ألقى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أي مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أي في الجنة لانه لا موت فيها (لهم ما يشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسئلتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيدهم الله عنده ما لم يسألوا ما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد ۞ قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصا أي مهربا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ۞ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الاول الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان

من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذوا أنكر اليهود التربيع في الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على مايقولون) أي على مايقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على مايقول المشركون في أمر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاآن أو التهجد (وادبار السجود) التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار حجازي وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادي المنادي) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي المنادي بالياء في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهي أقرب من الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي) الخلق (ونميت) أي نميتهم في الدنيا (والينا المصير) أي مصيرهم (يوم

تشقق

الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت ﴿قوله عز وجل (فاصبر على مايقولون) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على مايقولون أي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) أي صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعني صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله وادبار السجود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ماجئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا ﴿قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المنادي) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي في الحشر فيقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أي الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) أي من القبور (انا نحن نحيي) أي في الدنيا (ونميت) يعني عند انقضاء الاجل (والينا المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم

تشقق) خفيف كوفي وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أي تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور أي مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر أي ما أنت بمسلط عليهم انما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم ﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره و بادغام التاء في الذال حمزة وأبو عمرو

تشقق الارض عنهم سراعا) أي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) أي هين (نحن أعلم بما يقولون) يعني كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظ بالقرآن من يخاف وعيد والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الذاريات وهي مكية وهي ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعني الرياح التي تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعني السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (انما توعدون) أي من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) أي لحق (وان الدين) أي الحساب والجزاء (لواقع) أي لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعني يا أهل مكة (لفي قول مختلف) يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذب به وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به

(ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أي ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه أقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثاني أنها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصباء

فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر (انما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أي ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفي قول مختلف) أي قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير

لما توعدون أو للذين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم
جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون)
الكذابون المقدرون مالا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم في غمرة) في جهل
يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لانه انما
يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع (يوم هم على

النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذي هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أي تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم في النار (هذا) مبتدأ خبره (الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين في جنات وعيون) أي وتكون العيون وهي الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لأنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة في الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (كانوا

قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون في
طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو في كانوا لا بقليلا لانه صار
موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أي كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى
انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار هم يستغفرون)
وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل

(قتل الخراصون) أي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم في غمرة) أي في غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه (يَسْئَلُونَ أيان يوم الدين) أي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أي يكون هذا الجزاء في يوم هم (على النار يفتنون) أي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أي عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي في الدنيا تكذيبا به ۞ قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) يعني في خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أي ما أعطاهم (ربهم) أي من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ۞ ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ اما من أولها وأما من أوسطها وعن أنس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أي ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

(فصل) هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة القبول والاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض

(وفي أموالهم حق للسائل) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أي الذي يتعرض ولا يسأل حياء (وفي الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذبة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها ع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز واذا استرخى أتاح الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل ان التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم ضعيف لانه يفضي الى تقديم ما في حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفي السماء رزقكم) أي المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او أراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدور مكتوب في السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق أي حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أي انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعي أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل فقلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه

والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أو لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت ❁ قوله عز وجل (وفي أموالهم حق) أي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفيء شئ قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ (وفي الارض آيات) أي عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفي أنفسكم) أي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم (أفلا تبصرون) يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفي السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون) يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أي ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أي بلا اله الا الله

(هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفى الارض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حين أضافهم ابراهيم أولانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والافبما اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كانه قصد أن يحييهم باحسن مما حيوه به أخذا بادب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم حمزة وعلى سلم والسلم السلام (قوم منكرون) أى أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف ان يخفى أمره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الاكل أوحثهم عليه (فاوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لايحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لاتخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه (وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فاقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من الآجر صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فاخذت فى صياح وصرتها قولها ياويلتا (فصكت وجهها) فلطمت بيدها وجهها وقيل فضربت باطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ماتستبعدين (انه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لاينزلون الا بامر الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أولامر آخر أولهما (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة

وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لايمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لايقدر أن يأكل رزق غيره ۞ قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع لقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبى شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لانعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعنى انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فاوجس) أى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى نبى (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو

(مسومة) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) فى ملكه وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين كما سماهم عادين أى لاسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فاخرجنا من كان فيها) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعنى لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) فى قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء أسود منتن (وفى موسى) معطوف على وفى الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير فى فاخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (ماتذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) هو كل مارم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما تترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أى هرب أو هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بايد) بقوة والايد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق

الآجر (مسومة) أى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعنى المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فاخرجنا من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أى أهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) أى فى مدينة قوم لوط (آية) أى عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم ۞ قوله عز وجل (وفى موسى) أى وتركنا فى ارسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة (فتولى) أى أعرض عن الايمان (بركنه) أى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى فاغرقناهم فى البحر (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) أى وفى اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعنى التى لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ماتذر من شئ أتت عليه) أى من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (الا جعلته كالرميم) أى كالشئ الهالك البالى وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلى (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أى تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) أى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء بنيناها بايد) أى بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو من السعة أى أوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الهواء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه

أولموسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر أي فرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) أي نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أي من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة في الوعيد أبلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) رموهم بالسحر أو الجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أي أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا اعنادا (فما أنت بملوم) فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان تزيد في عملهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعني وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لي والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي توحيد والكل يوحدونه في الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة

لموسعون أي الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا لذو السعة والغنى (والارض فرشناها) أي بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) أي نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) أي فتعلموا أن خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففروا الى الله) أي قل يا محمد ففروا الى الله أي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (اني لكم منه نذير) أي مخوف (مبين) أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) أي وحدوه ولا تشركوا به شيأ (اني لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (من رسول) يعني يدعوهم الى الايمان والطاعة (الا قالوا ساحر أو مجنون) ۞ قال الله تعالى (أتواصوا به) أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أي لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أي أعرض عنهم (فما أنت بملوم) أي لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فانزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ۞ قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) أي من المؤمنين (الا ليعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبي طالب الا ليعبدون أي الا لآمرهم أن يعبدوني وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليعرفوني وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف

كان صادقا في قوله ما اشتريته الا للكتابة وان استعمله في يوم من عمره لعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادي وهي اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمنا فقد أكرمني ومن آذى مؤمنا فقد آذاني (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون الهالكة قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب للنضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) أي من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدوني أن يطعموني فلا يستعجلوني بالياء في الحالين يعقوب ووافقه سهل في الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم

﴿ سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (في رق) هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أو لائح (والبيت المعمور) أي الصراح وهو بيت في السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روي أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أي السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد والواو الاولى للقسم والبواقي للعطف

وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا الي ويتذللوا لان معنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدوني فاما المؤمن فيوحده اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما أريد منهم من رزق) أي ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم لاني أنا الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما أريد أن يطعمون) أي أن يطعموا أحدا من خلقي وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال الله أحدا فقد أطعمه لما صح من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي أخرجه مسلم ۞ ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) أي لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة (فان للذين ظلموا) أي من أهل مكة (ذنوبا) أي نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أي مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) أي بالعذاب لانهم أخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الطور ﴾

(مكية وهي تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ قوله عز وجل (والطور) أراد به الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أي مكتوب (في رق) يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف (منشور) أي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفي رواية أخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه وفي افراد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (والسقف المرفوع) يعني السماء (والبحر المسجور) يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور

وجواب القسم (ان عذاب ربك) أى الذى أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن معطم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع أى يقع فى ذلك اليوم أو اذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا أو هو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير مصفوفة

المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمره كما بين سبع السموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) أى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أنى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ۞ ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) أى يخوضون فى الباطل (يلعبون) أى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدى الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا فى أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أى قاسوا شدتها (فاصبروا) أى على العذاب (أو لا تصبروا) أى عليه (سواء عليكم) أى الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا ۞ قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) أى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر

(مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقنا بهم خبره (واتبعتهم) وأتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقنا بهم ذريتهم) أى نلحق الاولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء (١) ذريتهم ذرياتهم مدنى ذريتهم ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم ذرياتهم شامى (وما ألتناهم من عملهم من شئ وما) نقصناهم من ثواب عملهم من شئ ألتناهم مكى الت يالت والت يالت لغتان من الاولى متعاقة

بالتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم وزدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون فيها كأسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربى خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكى وبصرى (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) فى الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا السمين الغالى القيمة فى الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة

مصفوفة) أى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) يعنى ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه (ألحقنا بهم ذرياتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) يعنى وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيأ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا أتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرئ) أى كافر (بما كسب) أى عمل من الشرك (رهين) أى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعنى زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أى من أنواع اللحوم (يتنازعون) أى يتعاطون ويتناولون (فيها) أى فى الجنة (كأسا لا لغو فيها) أى لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أى لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجرى بينهم ما فيه لغو واثم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيا وقيل لا يأثمون فى شربها (ويطوف عليهم) أى للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أى فى الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) أى مخزون مصون لم تمسه الايدى قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبى الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ۞ قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما فيه من الخوف والتعب فى الدنيا (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا) أى فى الدنيا (مشفقين) أى خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أى

(١) قوله ذريتهم ذرياتهم مدنى الخ كذا بالاصل وفى الخطيب وقرأ ذريتهم بايمان وألحقنا بهم ذرياتهم نافع بالقصر فى الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما الا أنه يرفع التاء فى الاولى ويكسرها فى الثانية اه تأمل اه مصحح

(ووقاناعذاب السموم) هى الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نارجهنم لانها بهذه الصفة (انا كنامن قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصيراليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذاسئل أجاب أنه بالفتح مدنى وعلى أى بانه أولانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمت ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو فى موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم فى أوائل هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام مجاز (أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أى ليس الامر كما زعموا (لا يؤمنون) فكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من أجل لاشئ من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأتمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يوقنون) أى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكى وشامى (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء

بالمغفرة (ووقاناعذاب السموم) يعنى عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أى فى الدنيا (ندعوه) أى نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعنى الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذى عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده ۞ قوله عز وجل (فذكر) يعنى فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) أى برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذى يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما فى غد من غير وحى والمعنى أنك لست كما يقول كفار مكة أنه كاهن أو مجنون انما تنطق بالوحى نزلت فى الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعنى هؤلاء المقتسمين (شاعر) أى هو شاعر (نتربص به) أى ننتظر به (ريب المنون) يعنى حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تربصوا) أى انتظروا بى الموت (فانى معكم من المتربصين) أى من المنتظرين حتى يأتى أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبى (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أى يتجاوزون الحد فى الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أى بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أى مثل القرآن فى نظمه وحسنه وبيانه (ان كانوا صادقين) يعنى أن محمدا تقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شئ) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أى لانفسهم وذلك فى البطلان أشد لان مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أى لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعنى ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) أى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعنى النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما يشاؤن (أم لهم سلم) يعنى مرقى ومصعد

(يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدمه هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أي عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات ولكم البنون) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) الغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أي جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامي الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك بأعيننا) أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عيني (وسبح بحمد ربك حين تقوم)

الى السماء (يستمعون فيه) أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أي ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أي بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم (أم تسألهم أجرا) أي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فمنعهم عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) أي يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أي مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أي المجزيون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم اله غير الله) يعني يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون ۞ وقوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) أي بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) أي يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) أي يموتون ويهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ان العذاب نازل بهم ۞ قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أي الى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به (فانك بأعيننا) أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أي وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذي

للصلاة وهو مايقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أي مكان قمت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وادبار بزيد أي في أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق (سورة النجم اثنتان وستون آية مكية) *بسم الله الرحمن الرحيم* (والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو

انتثر يوم القيامة وجواب القسم (ماضل) عن قصد الحق (صاحبكم) أي محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وماغوى) في اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهوى والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لانطقا عن الهوى (علمه) علم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا في جاثمين (ذو مرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (وهو) أي جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس

وأبو داود وقد تكلم في أحد رواته * وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النجم

وهي مكية وهي اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع أراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروي عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ماضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى (وماغوى) أي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو أن لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين (الا وحي) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق أخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد في رواية أخرى رأى جبريل في صورته أخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أي بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفي رواية شريك قدم وأخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل أقرب (فاوحى) أي فاوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ۞ قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد أي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا في الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن

قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة ولا كلام الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (أو أدنى) أي على تقديركم كقوله أو يزيدون هذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فاوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لا يلتبس كقوله ما ترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقيل المرئي هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه

(أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه أفتمرونه حمزة
وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدى

مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين (م) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه ۞ قوله عز وجل (أفتمارونه على ما يرى) يعنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسرى به وقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) * (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية الترمذي اليها ينتهى علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل يأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال رأيت على

بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على انها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى) أي الجنة التي يصير اليها المتقون وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) أي رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش الذهب

كل

كل ورقة منها ملك قائماً يسبح الله عز وجل (مازاغ البصر وماطغى) أى ما مال بصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يميناً وشمالاً ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شئ سوى ما أمر به وفى معنى الآية ان قلنا ان الذى يغشى السدرة فراش من ذهب أى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثانى مازاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقاً وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى ۞ وقوله تعالى (ولقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة فى مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء

﴿فصل من كلام الشيخ محيى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء﴾ قال القاضى عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الاشعرى وجماعة من أصحابه رآه ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل فى الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا فى قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على أن هذا الدنو والتدلى منقسم بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم أو مختص باحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبى صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولاً ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبى صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج فى المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل فى المسئلة حديث

(مازاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت

ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسئلة وارسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره أنه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أرر بى وانما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافى هذا كلام صاحب التحرير فى اثبات الرؤية قال الشيخ محيى الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغى أن يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب فى نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثانى انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الالهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة فى أول الحديث لقد قف شعرى فمعناه قام شعرى من الفزع لكونى سمعت ما لا ينبغى أن يقال تقول العرب عند انكار الشئ قف شعرى واقشعر جلدى واشمأزت نفسى وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى ذر نور أنى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة فى أنى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال الماوردى الضمير فى أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعنى من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرائى وبينه وفى رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفى رواية ذاته نور أنى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم ۞ قوله عز وجل (أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلا منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو

(أفرأيتم اللات والعزى)

اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فاقرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

ياعز كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيأ فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذ هي الثالثة في الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآي كقوله مآرب أخرى ولم يقل أخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هي) أي ما هذه الاصنام (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بها من سلطان) أي حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) أي في قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الاصنام

ومناة الثالثة) أي أخبرونا عن هذه الاشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مكي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هي صفة ذم أي المتأخرة الوضيعة المقدار وقالت كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أي جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذ لا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكي مثل ضأزه مثل ضازه (ان هي) ما الاصنام (الا أسماء) ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شئ منها وأشد منافاة لها (سميتموها) أي سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) لا توهم ان ما هم عليه حق (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول

والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ماتمنى) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ليس للانسان يعنى الكافر ماتمنى من شفاعة الاصنام أومن قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل وهو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى (فلله الآخرة والاولى) أى هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لامن تمنى (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعنى أن

أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لوشفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (ومالهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لابالظن والتوهم (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) فأعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيهما (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عزوجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسئ منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل أو فى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) أى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حمزة وعلى أى النوع الكبير منه (والفواحش) وقيل

ليست بآلهة وأن العبادة لاتصلح الا لله الواحد القهار ۞ وقوله تعالى (أم للانسان ماتمنى) معناه أيظن الكافر أن له ماتمنى ويشتهى من شفاعة الاصنام أى ليس الامر كما يظن ويتمنى (فلله الآخرة والاولى) أى لايملك أحد فيهما شيأ أبدا الا باذنه وقيل معناه أن الانسان اذا اختار معبودا على ماتمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك فى السموات) أى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لاتغنى شفاعتهم شيأ) يعنى ان الملائكة مع علو منزلتهم لاتغنى شفاعتهم شيأ فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لاتكون الا باذنه فقال تعالى (الامن بعد أن يأذن الله) أى فى الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لاتشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين أنكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) أى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (ومالهم به من علم) أى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل مايستيقنون أن الملائكة أناث (ان يتبعون الا الظن) أى فى تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) أى لايقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لابالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحياة الدنيا) يعنى انهم لايؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الاظنهم أن الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساؤا أى أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا) أى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسئ اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عزوجل (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل مالايحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ماعظم قبحه من الافعال والاقوال

وقيل هي ما فحش من الكبائر (الا اللمم) أي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هي مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظر من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة) قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الائمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروى عن ابن عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمستجرئ

ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما أوعد عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (الا اللمم) أي الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة

علیها اعتیادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهى من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من أكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم أنه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه أنه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق أو يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام أى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه أن الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو أعلم بكم) أى قبل أن يخلقكم وهو قوله (اذ أنشأكم من الارض) أى خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم بمن اتقى) أى بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله هذه الآية ﴿ قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين الاشياخ وضللتهم قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى للذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله أفرأيت الذى تولى أى أدبر وأعرض عن الايمان (وأعطى) أى لصاحبه الذى عيره (قليلا وأكدى) أى بخل بالباقى وقيل أعطى قليلا أى من الخير بلسانه وأكدى أى قطعه وأمسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال والله ما أمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى

(ان ربك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم) أى أباكم (من الارض واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أفرأيت الذى تولى) أعرض عن الايمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وأمسك وأصلها اكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد الايمان وقيل فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت أنهم فى النار قال انى خشيت عذاب الله فضمن له ان هو أعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه

(أعنده علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم أن ماضمنه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما فى صحف موسى) اى التوراة (وابراهيم) اى وفى صحف ابراهيم (الذى وفى) أى وفر وأتم كقوله فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرئ مخففا والتشديد مبالغة فى الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشئ الاوفى به وعن عطاء بن السائب عهد أن لايسال مخلوقا فلما قذف فى النار وقال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى و روى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما فى صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لاتزر و لضمير ضمير الشان ومحل ان ومابعدها الجر بدلا بما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لاتزر كان قائلا قال ومافى صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أى لاتحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الاماسعى) أى سعيه وهذه أيضا ممافى صحف ابراهيم وموسى وأما ماصح فى الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لما لم ينفعه الامبنيا على سعى نفسه وهوان يكون مؤمنا كان سعى غيره كانه سعى نفسه لكونه تابعاله وقائما بقيامه ولان سعى غيره لاينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذانواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وان سعيه سوف يرى) أى يرى سعيه هو يوم القيامة فى ميزانه

أى لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى أى قطع وأصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أى ماغاب عنه أى أن صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) أى يخبر (بما فى صحف موسى) يعنى أسفار التوراة (وابراهيم) أى ويخبر بما فى صحف ابرهيم (الذى وفى) أى أكمل وتمم ماأمر به وقيل عمل بما أمر به و بلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه فى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شأن المناسك و روى البغوى بسنده عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذى وفى عمله كل يوم بأربع ركعات أول النهار عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين مافى صحفهما فقال تعالى (ألاتزر وازرة وزر أخرى) أى لاتحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لاتؤخذ نفس باثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد ابن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك و بلغهم عن الله تعالى ألاتزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الاماسعى) أى عمل وهذا فى صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها ماسعوا وماسعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيالها فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية أن سعد بن عبادة أخا بنى ساعدة ذكر نحوه وأخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك وأحمد وجماهير العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لايجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا قال أبو حنيفة لايصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفى الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة فى ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعى واختلف العلماء فى الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعى ان قراءة القرآن لايصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعى والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ماعمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بان يوسع عليه فى رزقه و يعافى فى بدنه حتى لايبقى له فى الآخرة خير وروى أن عبد الله بن أبى ابن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له فى الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الاماسعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله مايشاء من فضله وكرمه (وان سعيه سوف يرى)

أي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أي السعي (الجزاء الاوفى) أي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الاوفى ﴿ قوله عز وجل (وأن الى ربك المنتهى) أي اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وأن الى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأن الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب أي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لابد لها من موجد واذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء وفيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقيل أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة أي بكاء مع صوت يخرج من الانف (وأنه هو أمات وأحيى) أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) أي من كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى وهذا شيء لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذا تمنى) أي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع أحد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السموات والارض (وأن عليه النشأة الاخرى) أي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي أغنى الناس بالاموال وأعطى القنية وهي أصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل أقنى أي أخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أي أعطى فأرضى وقيل أغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغنى ضد الفقر وأقنى أي زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعرى) أي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف

(ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه (وأن الى ربك المنتهى) هذا كله في الصحف الاولى المنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير (وأنه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب (وأنه هو أمات وأحيى) قيل أمات الآباء وأحيا الابناء أو أمات بالكفر وأحيا بالايمان أو أمات هنا وأحيا ثمة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله انه رب معبودهم

(وأنه أهلك عادا الاولى) هم قوم لوط وهود وعاد الاخرى ارم عادا لولى مدني وبصري غير سهل بادغام التنوين في اللام وطرح همزة الاولى ونقل ضمها الى لام التعرف (وثمود فما أبقى) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بفما أبقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمودا فما أبقاهم (وقوم نوح) أي وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت باهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك (أهوى) أي رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أي أسقطها والمؤتفكة منصوب باهوى (فغشاها) ألبسها (ماغشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأي آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك أي بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم أو بأي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذا نذير) أي محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاولى أي انذار من جنس الانذارات الاولى التي أنذر بها من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها (أفمن هذا الحديث) أي القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وأنتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فاسجدوا لله واعبدوا) أي فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم

العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة تشبيها له به في خلافه اياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من العبور والمجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وأنه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) يعني منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) يعني أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعني قرى قوم لوط (أهوى) أي أسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أي ألبسها الله (ماغشى) يعني الحجارة المنضودة المسومة (فبأي آلاء ربك تتمارى) أي تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب (هذا نذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) أي رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أي قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد ۞ قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعني القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أي استهزاء (ولا تبكون) أي مما فيه من الوعيد (وأنتم سامدون) أي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود في اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمعنى وقيل معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعني أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة (واعبدوا) أي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على

القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة القمر وهي مكية وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة﴾
﴿وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) ٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد رأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره فأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها لم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفي قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أي دائم مطرد وكل شيء دائم حاله قيل فيه

﴿سورة القمر خمس وخمسون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروي في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم (وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوي من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول ولا يبقى

٦ قوله عن ابن عمر الخ الذي في مسلم عن عبد الله ابن مسعود وقال في آخره اشهدوا فضمير المفرد فليحرر اه

(وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أي سيثبت و يستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الانباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أي منعته وأصله ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما أو على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو بالغة من الله اليهم (فما تغني النذر) ما نفي والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب (يوم يدع الداع) بيخرجون أو باضمار اذكر الداعي الى الداعي سهل و يعقوب ومكي فيهما وافق مدني وأبو عمرو في الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو في الكتابة لمتابعة اللفظ والداعي اسرافيل عليه السلام (الى شيء نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكي (خاشعا أبصارهم) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أي هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه أني) أي بأني (مغلوب) غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم لي (فانتصر) فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامي ويزيد وسهل و يعقوب

مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل و يذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا (وكذبوا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن و واقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وان أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (من الانباء) أي من أخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر) أي منتهى وموعظة (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تغني النذر) يعني أي غنى تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) أي أعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) أي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس (الى شيء نكر) أي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له (خاشعا) وقرئ خشعا (أبصارهم) أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) أي من القبور (كأنهم جراد منتشر) مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادي أعناقهم مقبلين (الى الداع) أي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وفيه اشارة الى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين ۞ قوله تعالى (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أي زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحا (ربه) وقال (أني مغلوب) أي مقهور (فانتصر) أي فانتقم لي منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في

(بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أى مياه السماء والارض وقرئ الماآن أى النوعان من الماء السماوى والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر فى اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها و بينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد أراد ولكن قميصى درع ألا ترى انك لو جمعت بين السفينة و بين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام و بديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (تجرى باعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا أو باعيننا حال من الضمير فى تجرى أى محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ و يعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فادغمت الذال فى الدال (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل فى الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه و يروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) أى وانذراتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بايدى بعض و يتداخلون فى الشعاب و يحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كأنها

فتبقى

الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) أى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) أى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أى قضى عليهم فى أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الماآن سواء فكان على ما قدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح) أى سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هى المسامير التى تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجرى) يعنى السفينة (بأعيننا) أى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما أى جزاء لما كان كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) أى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر فردها على وفى رواية أخرى سمعته يقول مدكرا الا (فكيف كان عذابى ونذر) أى انذارى (ولقد يسرنا القرآن) أى سهلنا القرآن (للذكر) أى ليتذكر و يعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) أى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) أى انذارى لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى شديدة الهبوب (فى يوم نحس) أى فى يوم شؤم (مستمر) أى دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) أى الريح تقلعهم ثم ترمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أى منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم

أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفي ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكونوا من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكار لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من افنائهم وليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أألقي الذكر عليه من بيننا) أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر)

أصالح أم من كذبه ستعلمون شامي

فتبقى أجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) أي بالانذار الذي جاء به صالح (فقالوا أبشرا منا واحدا) يعني آدميا واحدا منا (نتبعه) أي ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفي ضلال) أي خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق (أألقي الذكر عليه) يعني أأنزل عليه الوحي (من بيننا بل هو كذاب أشر) أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) أي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) أي صالح أم من كذبه (انا مرسلوا الناقة) أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) أي محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) أي فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) أي على أذاهم (ونبئهم) أي أخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) أي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) أي نصيب من الماء (محتضر) أي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) أي فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ﴿ قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني أن من وحد الله لم يعذبه مع المشركين

وحمزة على حكاية ماقال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة في آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بعونتهم (فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم) في اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) يعني على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أي انعاما (من عندنا كذلك نجزي من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته

(ولقد أنذرهم) أى لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضى بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء أو هو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى ان كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم لكم براءة فى الزبر) أم أنزلت اليكم يا أهل مكة براءة فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أى الادبار كما قالوا كلوا فى بعض بطنكم تعفوا أى ينصرفون منهزمين يعنى يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد من المرة (ان

(ولقد أنذرهم) أى لوط (بطشتنا) يعنى أخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أى طلبوا منه أن يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك ان يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحيه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابى ونذر) يعنى ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أى جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) أى دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ۞ قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعنى موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التى أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فأخذناهم) أى بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) أى غالب فى انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم) يعنى أقوى وأشد من الذين أحللت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار أى ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعنى من العذاب (فى الزبر) أى فى الكتب انه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية (أم يقولون) يعنى كفار مكة (نحن جميع) أى أمرنا (منتصر) أى من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعنى كفار مكة (ويولون الدبر) أى الادبار فوحد لاجل رؤس الآى وقيل فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم فى ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر ابن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة أدهى وأمر أى أعظم داهية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر ۞ قوله عز وجل

(ان المجرمين) يعنى المشركين (فى ضلال وسعر) قيل فى بعد عن الحق وسعر أى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال أى عن طريق الجنة وسعر أى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم) و يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى ذوقوا أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى مقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

❊(فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما قيل فيه)❊ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن أبى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق و يؤمن بالموت و بالبعث بعد الموت و يؤمن بالقدر أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله ابن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية ❊ عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال أخرجه أبو داود وله عن أبى هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وأنها مستأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من

(على وجوههم) و يقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لامكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا لشئ ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر فى الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدر فيكون الخلق عاما لكل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشئ لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف انها نزلت فى القدرية

غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى أبو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وأبو المعالى امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى أصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله تعالى و يضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى أنفسهم ومدعى الشئ لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره و ينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود فى سننه والحاكم أبو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع أبى حازم عن ابن عمر وقال الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لا يكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله أعلم * وأما معانى الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فان ذلك أزلى لا أوّل له وقوله وعرشه على الماء أى قبل أن يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات و يحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه ۞ قوله تعالى (وما أمرنا الا واحدة) أى وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجىء الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) أى متعظ بان ذلك حق فيخاف و يعتبر (وكلّ شئ فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) أى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكلّ صغير وكبير) أى من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر

(وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة أى وما أمرنا الشئ نريد تكوينه الا أن نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بامرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم فى الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه) أى أولئك الكفار أى وكل شئ مفعول لهم ثابت (فى الزبر) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نعت الشئ وفى الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح

(ان المتقين فى جنات ونهر) وأنهارا اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى (عند مليك) عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شئ الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير

﴿سورة الرحمن جل وعلا وهى ست وسبعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فاراد أن يقدم أوّل شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ماخلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ما يميزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد باحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلق له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه النجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الاول ثم جئ به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المقال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين

أى مكتوب ﴿قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات) أى بساتين (ونهر) أى أنهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أى قادر لا يعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شئ فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق والله أعلم

﴿تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل﴾

وهى مكية وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعنى الذى أنكرتموه هو الذى علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحى الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه واصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعنى أسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أى النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعنى بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب مايريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو مايدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى فى الشتاء

وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أي كل ماتوزن به أشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا في الميزان) لئلا تطغوا أو هي ان المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هي أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل مايكم أي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها مايتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلي أي والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم والحب ذا العصف والريحان شامي أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فبأي آلاء) أي النعم مما عدد من أول السورة جمع ألى والى (ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليهما

وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان في مقابلة سماويين (والسماء رفعها) أي فوق الارض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى أنه أمر بالعدل يدل عليه قوله (ألا تطغوا في الميزان) أي لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التي يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير أن لا تطغوا في الميزان أي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أي بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) أي لا تنقصوا (الميزان) أي لا تطففوا في الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) أي خفضها مدحوة على الماء (للانام) أي للخلائق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) أي في الارض (فاكهة) أي من أنواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى (والنخل ذات الاكمام) يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيأ فهو كم وقيل أكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه أعظمها وأكثرها بركة (والحب) يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا في الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعني التبن وعنه أنه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث في الاكمام الحب (والريحان) يعني الرزق قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) يعني أيها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم ❋ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي

(خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حما مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن قيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى (فبأى آلاء ربكما

الترمذى وقال حديث غريب فى رواية غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشئ ﴿قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خلق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو أبو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعنى مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعنى أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما فى طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعنى بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعنى الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة ﴿وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى ما رفع قلعها من السفن اما ما لم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (فى البحر كالاعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ﴿قوله عز وجل (كل من عليها) أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته الوجه يعبر به عن الجملة وفى الخطاب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) أى ذو العظمة

تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج) يخرج مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلا همز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) وصغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يقال يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله) ولله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغير ياء فذا جائز على بعد ولكن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال)

ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها وعن كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى أنه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع

والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى اخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فأصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للانسان الا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلى أى الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض

والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) أى المكرم لانبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها ﴿ قوله تعالى (يسئله من فى السموات والارض) يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فأهل السموات يسئلونه المغفرة وأهل الارض يسئلونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه فى دينه أو دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو فى شأن) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ قال المفسرون من شأنه أنه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذى هو فى اليوم الذى فى مدة أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون فى كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ

(فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أى ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائى فاخرجوا ثم قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكى وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) أى دخان ونحاس مكى وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لايسئل عن ذنبه انس ولا جان) أى ولا جن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لايسئل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ

لسبق ذكر الشان وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى أمركم فهو كقول القائل الذى لاشغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ماوعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أى تخرجوا (من أقطار السموات والارض) أى جوانبها وأطرافها (فانفذوا) أى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ۞ ثم قال تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) يعنى لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا مافى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان أى بينة من الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) أى انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ماهو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كالوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم

وهـذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لانهـم يعرفون بسيماهم دليله ما بعـده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فو ربك لنسـئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولـكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيـل انها مواطن فيسئل فى بعضها ولا يسئل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قـد صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهـم فى الاغلال فيغمسـون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهـم خلقا جـديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هـذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعـمة من الله تعالى لانهـا تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل ان راقب الله فى السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وما عمـل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليـه أحد قيـل ان المؤمنـين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيـل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى قوله أدلج الادلاج مخففا سير أول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثـة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا أفنان أى أغصان واحدها فنن وهو الغصن المسـتقيم طولا وقيـل ذواتا ظـلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصـن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضـل وسعة على ما سواهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيـل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيـل

(فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) النعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى وأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنـة للخائف الانسى وجنـة للخائف الجنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أغصان جمع فنن وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهـوت به والعيش أخضر ناضر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل

احداهما

احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هي مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولا بد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) يعني أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أي غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن على غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك (لم يطمثهن) أي لم يجامعهن ولم يفرغهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الي لم يطمثن قبلي * وهن أصح من بيض النعام

أي لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) أي قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولا جان) قيل انما نفى الجن لان لهم أزواجا في الجنة منهم وفي الآية دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الانسي وسأل ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجني على احليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن في الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك أقر لأعين أزواجهن اذا لم يغشهن أحد غيرهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان أحسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء

(فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف في معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها الا الله (وجنى الجنتين دان) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدوري وعلي بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الانس (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ

اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري
قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود (فبأي آلاء
ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) اي ما جزاء من أحسن في الدنيا الا أن يحسن اليه في
الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى
البغوي باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء
الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت
عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن اسكنه
جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا أن يؤتى في مقابلته
بفعل حسن وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة
فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه
فلا تكليف (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أي ومن دون الجنتين الاوليين
جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الاشعري
جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنات جنتان
للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل
ورمان (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء
الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكلبي ومن دونهما جنتان يعني أمامهما وقبلهما يدل عليه قول
الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من
الاوليين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أي سوداوان من
ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على
أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك
والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعني فيهما من
أنواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما
وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص
والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة
الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام
وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وبه قال أبو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبا
أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده
عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ٢ ذهب أحمر وسعفها كسوة
لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد
ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل أهل الجنة نضيد وثمرها
كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهن) أي في الجنان الاربع (خيرات حسان) روي عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وقيل ما جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أي خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق

٢ قوله وكرمها كذا في النسخ بالميم هنا وأظن أن الصواب بالباء الموحدة ومعناه أصول السعف كما في الصحاح اه

(فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) أي مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أي مخدرة وقيل الخيام من الدر المجوف (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل

الوسائد (خضر وعبقري حسان) ديباج أو طنافس (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ (تبارك اسم ربك ذي الجلال) ذي العظمة ذو الجلال شامي صفة للاسم (والاكرام) لاوليائه بالانعام روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالي أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية في هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم

﴿سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر

أخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة (ق) عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل هي الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شيء عجيب بديع (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقي هو الله تعالى والدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائي غير قولها لم يقعد الا مقدار ما يقول والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الواقعة﴾

وهي مكية وسبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) أي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة

(ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أي لاتكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي (خافضة رافعة) أي هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلاثة) صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر الازواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الاول وهو تعجب من حالهم في السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال ماهم وأي شئ هم (وأصحاب المشأمة) أي الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال (ما أصحاب المشأمة) أي أي شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره وتقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثاني تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول أوجه (في جنات النعيم) أي هم في جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أي هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليه السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها

الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) أي لمجيئها (كاذبة) أي ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أي كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أي تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) أي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل مافيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أي أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعني أصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما أصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم في السعادة والمعنى أي شئ هم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعني أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا أبالي وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون في الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد أصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) أي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (في جنات النعيم)

﴿قوله تعالى (ثلة) أي جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) أي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية

وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلثان جميعا من أمتي (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقر وا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا

الماضية أكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين أي ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أي منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة (متكئين عليها) أي على السرر (متقابلين) يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور (يطوف عليهم) أي للخدمة (ولدان) أي غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لان الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الاول لانه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ما نوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان أسنت (باكواب) جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا (وأباريق) جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكاس من معين) أي من خمرة جارية (لا يصدعون عنها) أي لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) أي يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهيه والشبعان غير مشتهيه بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) أي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور أي بيض عين أي ضخام العيون (كامثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء وروي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروي ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما

(يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (باكواب) جمع كوب وهي آنية لا عروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكاس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكاس (من معين) من خمر تجري من العيون (لا يصدعون عنها) أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاي كوفي أي لا ينفد شرابهم يقال انزف القوم اذا فني شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أي وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كانه قال وهم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور (كأمثال اللؤلؤ) في الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كامثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال

من لؤلؤ يبصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) أي فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا (لا يسمعون فيها) أي في الجنة (لغوا) قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تأثيما أي ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (في سدر مخضود) أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية (وطلح) هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة جدا فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أي متراكم قد نضد بالحمل من أوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أي دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وماء مسكوب) أي مصبوب يجري دائما في غير أخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) يعني عذارى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال المنشآت اللاتي كن في

الدنيا

الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أي يجزون جزاء (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا أو مفعول به لقيلا أي لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلا حد ولا خد أي تجري على الارض في غير أخدود (وفاكهة كثيرة) أي كثيرة الاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتداء أي خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما أن يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن أو اللاتي أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا

الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب رضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال ياأم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ان الله تعالى قال انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائزكن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام (أترابا) يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (لاصحاب اليمين) يعني أنشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين (ثلة من الاولين) يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة (وثلة من الآخرين) يعني من مؤمني هذه الامة يدل عليه ماروى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عزوجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم في أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى أن الثلثين جميعا من هذه الامة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ماروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس

(عربا) عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام في (لاصحاب اليمين) أي صلة أنشأنا (ثلة) من أصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك في السابقين وهذا في أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الامم أكثر من سابقي أمتنا وتابعوا الامم مثل تابعي هذه الامة

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناهي الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود (لا بارد ولا كريم) نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه من أذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار (انهم كانوا قبل ذلك) أي في الدنيا (مترفين) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) أي على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره أنبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان اذ والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو آباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي أو آباؤنا مدني وشامي (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدني وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هي ابل عطاش لا تروى جمع أهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم

في هذه الامة ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الاولى في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين * وحكي عن بعضهم أن هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ ۞ قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أي في حر النار وقيل في ريح شديدة الحرارة (وحميم) أي ماء حار يغلي (وظل من يحموم) يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) يعني منعمين (وكانوا يصرون على الحنث) العظيم يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعني الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون) يعني عن الهدى (المكذبون) أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعني الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعني يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعني ولم تكونوا شيئا وأنتم

تعلمون

فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالحق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أفرأيتم ما تمنون) ما تمنونه أى تقذفونه فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى أن ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى) النشاءة مكى وأبو عمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المنبتون وفى الحديث لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل ادراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون أو تندمون على تعبكم وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها

تعلمون ذلك (فلولا) أى فهلا (تصدقون) يعنى بالبعث بعد الموت ۞ قوله عز وجل (أفرأيتم ما تمنون) يعنى ما تصبون فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) أى أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا (أم نحن الخالقون) أى انه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على أن يعيده كما أنشأه كما احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعنى الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعنى لا يفوتنى شئ أريده ولا يمتنع منى أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم) أى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى أسرع حين (وننشئكم) أى نخلقكم (فيما لا تعلمون) أى من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ما هو أسمج منها من أى خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أى ان أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون فى حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بنى آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعانى هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى فى وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم فى وقت لا تعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا فى الازمان ولا يعلمه أحد فينبغى أن لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) أى الخلقة الاولى ولم تكونوا شيأ وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أى بانى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم أول مرة ۞ قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به من اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التى بها الاصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه أيضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح أكثر الاغذية فقوله أفرأيتم ما تحرثون أى ما تثيرون من الارض وتلقون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه وتنشؤنه حتى يشتد ويقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك فى أن ايجاد الحب فى السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (لو نشاء لجعلناه) يعنى ما تحرثونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) أى تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون أنتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك أحد فى أن دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) أى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون

(انا) أى تقولون انا أثنا أبو بكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محاربون محدودون لا مجدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا (أفرأيتم الماء الذى تشربون) أى الماء العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب الابيض وهو أعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقه (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن المنشؤن) الخالقون لها ابتداء (نحن جعلناها) أى النار (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها وفى البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام من قولهم أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار لحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) أى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرئ فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقها أن

على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (انا لمغرمون) أى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما المعذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لو نشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) أى أفلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (أفرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم أنشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر التى توقد منه النار (أم نحن المنشؤن نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) أى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها (ومتاعا) أى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادى والسفار فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على ما يريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم ﴿قوله عز وجل (فلا أقسم) قال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها

وفي معناها وجهان أحدهما أنها ترجع الى ماتقدم ومعناها النهي وتقديره فلاتكذبوا ولاتجحدوا ماذكرته
من النعم والحجج الوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس
الامر كماتقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لاصحة لقول الكفار وقيل ان لاهنا معناها
النفي فهو كقول القائل لاتسأل عماجرى وهو يريد تعظيم الامر لاالنهي عن السؤال (بمواقع النجوم)
قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل أراد مغارب
النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع
الشياطين عند الرجم (وانه لقسم لوتعلمون عظيم) قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن
والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لوتعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لوتعلمون أي
فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم (انه لقرآن كريم)
أي ان الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أي عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى
ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير وسمي القرآن كريما لانه
يفيد الدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لمايحمد والقرآن كريم لمايحمد فيه من
الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب
يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل أحد يناله ويحفظه من
كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون
ويهون في الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لايهون بكثرة التلاوة ولايخلق بكثرة الترداد ولايمله
السامعون ولايثقل على الالسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك (في كتاب مكنون) أي
مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب
المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول أصح (لايمسه) أي ذلك
الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث
يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم
السفرة الكرام البررة على القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لايمسه الا المطهرون أي
من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لايجد طعمه
ونفعه الامن آمن به وقيل معناه لايقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لايمسه الا المطهرون من الاحداث
والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لايجوز للجنب ولاللحائض ولاللمحدث حمل المصحف ولا
مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل
عليه ماروى مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم وأن لايمس القرآن الاطاهرا أخرجه مالك مرسلا وقد جاء
موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى
أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لايمس القرآن الاطاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كماروي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد
وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح أن المراد من الكتاب
هو اللوح المحفوظ وان المراد من لايمسه الا المطهرون هم الملائكة ولوكان المراد نفي الحدث لقال لايمسه الا
المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لايصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعي

تقرن بها النون المؤكدة
(مواقع النجوم) بمساقطها
ومغاربها بموقع حمزة
وعلى ولعل لله تعالى في
آخر الليل اذا انحطت
النجوم الى المغرب أفعالا
مخصوصة عظيمة أو
للملائكة عبادات موصوفة
أولانه وقت قيام المتهجدين
ونزول الرحمة والرضوان
عليهم فلذلك أقسم
بمواقعها واستعظم ذلك
بقوله (وانه لقسم لوتعلمون
عظيم) وهو اعتراض في
اعتراض لانه اعتراض به
بين القسم والمقسم عليه
وهو قوله (انه لقرآن
كريم) حسن مرضي أو
نفاع جم المنافع أو كريم
على الله واعترض بلو
تعلمون بين الموصوف
وصفته (في كتاب) أي
اللوح المحفوظ (مكنون)
مصون عن أن يأتيه
الباطل أو من غير المقربين
الملائكة لايطلع عليه من
سواهم (لايمسه الا
المطهرون) من جميع
الادناس أدناس الذنوب
وغيرها ان جعلت الجملة
صفة لكتاب مكنون
وهو اللوح وان جعلتها
صفة للقرآن فالمعنى لاينبغي
أن يمسه الامن هو على
الطهارة من الناس والمراد

أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله أعلم ﴿ قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين ﴾ قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم) أى أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجرى فى الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) أى حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أى شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فامامن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيب فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله فى اثر سماء أى أثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد أن ايجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون أنها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما أراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة أنه اذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر أنها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبى هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة

مس المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أى منزل (من رب العالمين) أو وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ (أفبهذا الحديث) أى القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى بعض الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى تجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر أى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم

(فلولا اذا بلغت) النفس أي الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهي الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) أنكم غير مربوبين مقهورين فلولا في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم آيات الله في كل شيء ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في أول السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما (وأما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) أي ادخال فيها وفي هذه الآيات اشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذي أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أي الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته فقال له ما تشتكي فقال ذنوبي فقال ما تشتهي قال رحمة ربي قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضني فقال ألا آمر بعطائك قال لا حاجة لي فيه قال تدفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن

الا أصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم ﴿قوله تعالى (فلولا) أي فهلا (اذا بلغت الحلقوم) أي النفس أو الروح الى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعني يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعني الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ (ونحن أقرب اليه منكم) أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) أي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أي لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فأما ان كان من المقربين) يعني السابقين (فروح) أي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) أي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) أي وله جنة نعيم يفضي اليها في الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) يعني المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أي فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيآتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) أي بالبعث (الضالين) أي عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فنزل من حميم) أي الذي يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) أي وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعني ما ذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أي فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أبو داود وعن حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان

يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن أبى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله أعلم

﴿تفسير سورة الحديد وهى مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات والارض) يعنى كل ذى روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أى قولهم والحق أن التسبيح هو القول الذى لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففى تسبيحه وجهان أحدهما أنها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثانى أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور فى الآية على القول كان المراد بقوله ما فى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوى فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء فى بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله أبدا غير مختص بوقت دون وقت بل هى كانت مسبحة أبدا فى الماضى وستكون مسبحة أبدا فى المستقبل (وهو العزيز) أى الغالب الكامل القدرة الذى لا ينازعه شئ (الحكيم) أى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أى انه الغنى عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيى ويميت) أى يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (وهو على كل شئ قدير) قوله عز وجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر بن الباقلانى معناه أنه تعالى الباقى بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه أنه

الباقى

الواقعة والله أعلم ﴿سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله﴾ جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر وفى الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع المصدر والماضى والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله تسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما فى السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) فى مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع يحيى رفع أى هو يحيى الموتى (ويميت) الاحياء أو نصب أى له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه

الباقى بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعنى أهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقى من بنى فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلانى وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقى بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن أبصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) *(م) عن سهيل بن أبى صالح قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أبى هريرة أيضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا

قوله عز وجل (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم والقدرة وليس ينفك أحد من تعلق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء برا أو بحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره

قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فأهلكهم

(وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) عن الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها فى طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم ما يلج فى الارض) ما يدخل فى الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والامطار (وما يعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب أعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بان ينقص من الليل ويزيد فى النهار (ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى ان الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما موّلكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم

مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي ومالكم كافرين بالله والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلان والمعنى وأي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذي ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) الله تعالى أو محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازي وشامي وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) في أن لا تنفقوا (في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) اى كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامي أي وكل وعده الله الحسنى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر أعمالكم (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء

المال

وأعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعني وأي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه فينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أي يوما ما فالآن أحرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) أي من ظلمات الشرك الى نور الايمان (والله بكم لرؤف رحيم) ۞ قوله تعالى (ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالاولى أن تنفقوها أنتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه سبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي اني على ربي راض اني على ربي راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود

(فيضاعفه له) أي يعطيه أجره على انفاقه أضعافا مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) أي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه فيضعفه مكي فيضعفه شامي فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى) يمضي (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أي دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أي تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة (فيه الرحمة) أي النور أو الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أي الظلمة أو النار (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن

المال وان تتصدق به وأنت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والاذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعني يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (وله أجر كريم) يعني وذلك الاجر كريم في نفسه ۞ قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعني على الصراط (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) أي عن أيمانهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية يسعى نورهم بين أيديهم أي يعطون كتبهم بأيمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا (نقتبس من نوركم) أي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيؤن بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها أعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) أي اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) أي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) أي المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أي لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروي عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكر في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة (ألم نكن

معكم) يريدون مرافقتهم في الظاهر (قالوا) أي المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم في التوحيد (وغرتكم الاماني) طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) أي الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم أو بانه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتاء شامي (منكم) أيها المنافقون (فدية) ما يفتدى به (ولا من الذين كفروا مأواكم النار) مرجعكم (هي مولاكم) هي أولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أي مكان لقول القائل انه لكريم (وبئس المصير) النار (ألم يأن) من أنى الامر يأني اذا جاء أناه أي وقته وقيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن أبي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذي والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقليل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها)

يحيي

معكم) أي في الدنيا نصلي ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) أي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه (وارتبتم) أي شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الاماني) أي الاباطيل وذلك ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعني الموت وقيل هو القاؤهم في النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي عوض وبدل بان تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) أي مصيركم (هي مولاكم) أي وليكم وقيل هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت أمركم وأسلمتم اليها فهي أولى بكم من كل شيء وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) ۞ قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسي ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فاخبرهم ان القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله ألم يأن للذين آمنوا يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعني أما حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أي لمواعظ الله (وما نزل من الحق) يعني القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعني اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) أي الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن أبي موسى الاشعري انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله عز وجل (اعلموا ان الله يحيي الارض) أي بالمطر (بعد موتها) أي يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك

قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكي وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء فى الصاد وقرئ على الاصل (وأقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكي وشامي (ولهم أجر كريم) أى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريدان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (فى الاموال والاولاد) أى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهو العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على انه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) أى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل

يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والافقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) أى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله (يضاعف لهم) أى ذلك القرض (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) أى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم) أى بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين ۞ قوله عز وجل (اعلموا انما الحيوة الدنيا) أى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما أراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) أى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان (ولهو) أى فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب (وزينة) أى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثر فى الاموال والاولاد) أى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الزراع انما سمي الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر (نباته) أى ما نبت بذلك الغيث (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) أى بعد خضرته (ثم يكون حطاما) أى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفى الآخرة عذاب شديد) أى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) أى لاوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) أى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الآخرة فهى له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن

سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله أبسط أو أريد بالعرض البسطة وهذا ينفي قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لا تكون فى عرض السموات والارض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر أى ما أصاب من مصيبة ثابتة فى الارض (ولا فى أنفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال أى الا مكتوبا فى اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الانفس (ان ذلك) أى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على مافاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم من الايتاء أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند لا فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله ليس أحد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لا يحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد ان الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس بالبخل)

لم يشغل فيها طالب الآخرة ۞ قوله عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما أنتم عليه بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار الى مغفرة أى الى ما يوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها أضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وأفكارهم وأكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل ۞ قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض) يعنى عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الا فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) أى تحزنوا (على مافاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لا تبطروا (بما آتاكم) أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فاما الحزن الذى لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت (والله لا يحب كل مختال) أى متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) أى بذلك الذى أوتى على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله

ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم في الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي (فان الله هو الغني) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) في أفعاله فان الله الغني بترك هو مدني وشامي (لقد أرسلنا رسلنا) يعني أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أي الوحي وقيل الرسل الانبياء والاول أولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم

فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو مايعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله في سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوي) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جأش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغي والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بما آلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوي والتعادل وهي الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذي هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذي وصف بالبأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما أبوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا في ذريتهما) أولادهما (النبوة والكتاب) الوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أي فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أي خرج عن الطاعة والغلبة للفساد (ثم قفينا على آثارهم) أي نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال في صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهي الفعلة المنسوبة

لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وانها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الايمان (فان الله هو الغني) أي عن عباده (الحميد) أي الى أوليائه ۞ قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالدلالات والآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) أي المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعني العدل أي وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلنا هنا بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) أي قوة شديدة فمنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهي آلة الضرب (ومنافع للناس) أي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) أي وأرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) أي من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوي) في أمره (عزيز) في ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما (فمنهم) أي من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أي اتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه (رأفة ورحمة) يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فرارا من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في

المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء
رضوان الله) أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعني انهم لم يرعوا تلك
الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين
ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى
(فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين
تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين
فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة
لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في
البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم
من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو اسرائيل
الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان
فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فنونا ولم يبق أحد
يدعو اليه تعالى فتعالوا نتفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية
ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج
والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية
هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة
والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم
هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا
قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة
منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا
نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم
ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل
الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب
فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان
وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها
الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم
يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من
ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال يجعل
لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم

الى الرهبان وهو الخائف
فعلان من رهب كخشيان
من خشي وانتصابها بفعل
مضمر يفسره الظاهر
تقديره وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها أي أخرجوها
من عند أنفسهم ونذروها
(ما كتبناها عليهم) لم
نفرضها نحن عليهم (الا
ابتغاء رضوان الله) استثناء
منقطع أي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله (فما رعوها حق
رعايتها) كما يجب على الناذر
رعاية نذره لانه عهد مع الله
لا يحل نكثه (فآتينا
الذين آمنوا منهم أجرهم)
أي أهل الرأفة والرحمة
والذين اتبعوا عيسى عليه
السلام أو الذين آمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم
(وكثير منهم فاسقون)
الكافرون

أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون الترهب لانه لم يأمر به ﷺ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) أي نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم أجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) أي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (ألا يقدرون) يعني انهم لا يقدرون (على شيء من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله (وأن الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الاجر الواحد أكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وأن الفضل بيد الله أي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) * (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء وفي رواية انما أجلكم في أجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال

(يا أيها الذين آمنوا) الخطاب لاهل الكتاب (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) الله (كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم الآية (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) ان مخففة من الثقيلة أصله انه لا يقدرون يعني ان الشأن لا يقدرون (على شيء من فضل الله) أي لا ينالون شيأ مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وأن الفضل) عطف على أن لا يقدرون (بيد الله) أي في ملكه وتصرفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) والله أعلم

من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلي أصيب به من شئت أي أعطيه من شئت (خ) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شئ يسير فابوا فاستأجر قوما أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنتان وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرسني ظاهر مني وقد ندم فهل من شئ يجمعني واياه وتنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونثرت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم أشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان أول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية وأما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك أي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها أي في أمر زوجها (وتشتكي الى الله) أي شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) أي مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) أي لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) أي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من

تحاورك وقرئ بها وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروى انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي في أمرك شئ وروي أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (وتشتكي الى الله) تظهر ما بها من المكروه (والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام من حار اذا رجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازي وبصري غيرهم يظاهرون وفي (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من ايمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من

نسائهم) يعنى يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أى ما اللواتى يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما أمهاتهم (الا اللائى ولدنهم وانهم) يعنى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لا يعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

﴿فصل فى أحكام الظهار وفيه مسائل﴾ ﴿المسئلة الاولى﴾ فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باعلى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى أى طلقتها وفى قولهم أنت على كظهر أمى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على أى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى على أمى وعلوه عليها حرام ﴿المسئلة الثانية﴾ كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لا فى أحكام الجاهلية وعاداتهم ﴿المسئلة الثالثة﴾ فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشرع وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله أنت على كظهر أمى وأنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى وكذا لو قال أنت على كبطن أمى أو كرأس أمى أو كيد أمى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أمى أو شبه عضوا منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهارا وقال أبو حنيفة ان شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال أنت على كأمى أو كروح أمى وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال أنت على كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح ﴿المسئلة الرابعة﴾ فيمن يصح ظهاره قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج أبو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه يختص بالمؤمنين

﴿قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعنى يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد أولا من بيان أقوال أهل العربية ثم بيان أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق فى اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو على الفارسى كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأوحى الى نوح وبان ربك أوحى لها وأما لفظة ما فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا أو فى الذى قالوا وفيه وجهان أحدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا أى المقول فيه وهو الذى حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أى فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثانى يجوز أن يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيأ ثم أراد أن يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم أراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة أخرى

نسائهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) أمهاتهم مفصل الاول مجازى والثانى تميمى (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فابعد شئ من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) أى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين فى الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثانى وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفى واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أى يعودون لنقض ماقالوا أو لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ماحرموا على حذف المضاف أيضا غير انه أراد بما قالوا ماحرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه مايقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار

(فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذي أدى شيأ (من قبل أن يتماسا) الضمير يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع ولمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذالكم) الحكم (توعظون به) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي واذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت على كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافعه وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رضي الله عنه (فمن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (فاطعام) فعليه اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف ان جامع في خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) أي لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك) أي الاحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم

كفارة

ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك أنه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت على كظهر أمي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا صالح للجماع أو للعزم عليه أو لاستباحته الا أن الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود وأما الباقي فزيادة لا دليل عليه وأما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون أي يفعلون مثل ما فعلوه فعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أي الى الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال أبو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عودا وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه ۞ وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر (ذلكم توعظون به) يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) أي من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) أي الرقبة (فصيام شهرين) أي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) أي الصيام (ف) كفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) أي الفرض الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى (وتلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارة في الظهار (وللكافرين) أي لمن جحد هذا وكذب به (عذاب أليم) أي في نار جهنم يوم القيامة

۞ فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار ۞ وفيه مسائل ۞ المسألة الاولى ۞ اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان أحدهما أنه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة ۞ المسألة الثانية ۞ اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وأبو حنيفة لكل ظهار

كفارة الا أن يكون فى مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة ﴿المسئلة الثالثة﴾ الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء أراد التكفير بالاعتاق أو بالصيام أو بالطعام وعند مالك ان أراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل أن يتماسا ودل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدى ﴿المسئلة الرابعة﴾ كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا أنا أجمعنا على أن الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا ههنا وحمل المطلق على المقيد أولى (المسئلة الخامسة) الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا أو نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبى حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين (المسئلة السادسة) ان عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذى يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك وقال أبو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير ولو أطعم مسكينا واحدا ستين جزأ لا يجزيه عند الشافعى وقال أبو حنيفة يجزيه حجة الشافعى ظاهر الآية وهو أن الله تعالى أوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبى حنيفة أن المقصود دفع الحاجة وهو حاصل وأجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا أولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد (المسئلة السابعة) اذا كانت له رقبة الا أنه محتاج الى الخدمة أو له ثمن الرقبة لكنه يحتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة أو ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال أبو حنيفة ان كان واجد العين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجد الثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله أن يصوم ﴿المسئلة الثامنة﴾ قال أصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال كنت امرأ أصيب من النساء مالا يصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيأ تتابع بى حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة اذ انكشف لى منها شئ فما لبثت أن نزوت عليها فلما أصبحت خرجت الى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذاك ياسلمة قلت أنا بذاك يارسول الله مرتين وأنا صابر لامر الله فاحكم بما أمرك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ما أملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذى أصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبى صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى وقد أمر لى بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بنى زريق أخرجه أبو داود وقوله نزوت عليها أى وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتابع بى التتابع الوقوع فى الشر واللجاج فيه والوسق

(ان الذين يحادون الله و رسوله) يعادون و يشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) عن أعداء الرسل (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين و باضمار اذكر تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شيء (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه شيء (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون) من كان التامة أي ما يقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التناجي وقد أضيفت الى ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) أي الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عددهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان أهل التناجي في العادة طائفة من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه (ان الله بكل شيء عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى)

ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني سأعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله أنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك أخرجه أبو داود وفي رواية قالت ان أوسا ظاهر مني وذكرت أن به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له في منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والتوق والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ان الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كبتوا) أي ذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) أي كما أخزي من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعني فرائض وأحكاما (وللكافرين) أي الذين لم يعملوا بها وجحدوها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) أي حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا (والله على كل شيء شهيد) ۞ قوله تعالى (ألم تر) أي ألم تعلم (أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعني ان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أي من أسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل له يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا (الا هو رابعهم) بالعلم يعني يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت أقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد أشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) يعني ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أينما كانوا) أي بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين و ينظرون الى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم و يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك و يقولون ما نراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم و يحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين

ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة

المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى أى عن المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) أى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين أوشئ يسوءهم وكلا هما اثم وعدوان (ومعصيت الرسول) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بانهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون فى أنفسهم) يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ماقالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخارى أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ماقالوا قال أولم تسمعى ماقلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم أهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه مردودا عليهم بعينه واذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردئ من القول

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) فى المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو مايقبح من القول والعدوان وهو مايؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) أى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود (وليس بضارهم شيأ) يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيأ (الا باذن الله) أى الا ما أراد الله تعالى وقيل الا باذن الله فى الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل

وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبى (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال أى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع (جهنم يا أيها الذين آمنوا) بالسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) باداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أى الشيطان نافع بضم الياء (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى يكلون أمرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان

(يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس) توسعوا فيه في المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال مقاتل في صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق

والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدني وشامي وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفي الدرجات قولان أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم وأي شئ فات من أدرك العلم وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فاشرفها أشرفها معلوما

الآية

على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه ﷺ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا) الآية قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا في مجالسهم فامرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا أي فأوسعوا في المجلس أمروا بان يوسعوا في المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) أي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودي الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم) أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) أي على من سواهم في الجنة قيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع في الناس أخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه

الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في أقواله وفي أفعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال أما قدمت في تجارة قال لا قال ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما أورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (ق) عن معاوية ابن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) يعني اذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيأ وأما الاغنياء وأهل الميسرة فضنوا واستدل ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية قال في خفف الله عن هذه الامة أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها أحد غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة أولى بان

(يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي قبل نجواكم وهي استعارة ممن له يدان كقول عمر رضي الله عنه أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته

(ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ماتتصدقون به (فان الله غفور رحيم) فى ترخيص
المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله
ماعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر مسائل فاجابنى عنها قلت يارسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما
الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو
الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت
وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لمافيه من الانفاق
الذى تكرهونه (فاذ لم تفعلوا) ماأمرتم (٢٦٠) به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك
تقديم الصدقة على المناجاة
كما أزال المؤاخذة بالذنب
عن التائب عنه (فاقيموا
الصلاة وآتوا الزكوة
وأطيعوا الله ورسوله) أى
فلا تفرطوا فى الصلاة
والزكاة وسائر الطاعات
(والله خبير بما تعملون)
وهذا وعد ووعيد (ألم تر
الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم) كان المنافقون
يتولون اليهود وهم الذين
غضب الله عليهم فى قوله
من لعنه الله وغضب عليه
وينقلون اليهم أسرار
المؤمنين (ماهم منكم)
يامسلمون (ولا منهم) ولا
من اليهود كقوله مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء (ويحلفون على
الكذب) أى ويقولون
والله انا لمسلمون لامنافقون
(وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى
أى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أوهى حكاية مايقال لهم فى الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة)
وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين)
وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا
أولادهم من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله فى
الآخرة انهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) فى الدنيا (على شئ) من النفع
أو يحسبون انهم على شئ من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا

تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم ۞ وقوله (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة
لمافيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأطهر) أى لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لا يجدون ما
يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى أنه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفقتم) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى
أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) أى ماأمرتم
به (وتاب الله عليكم) أى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال
الكلبى ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ (فاقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكوة) أى الواجبة
(وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما أمر ونهى (والله خبير بما تعملون) أى انه محيط باعمالكم ونياتكم
۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود
ونصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعنى المنافقين (منكم)
أى من المؤمنين فى الدين والولاء (ولا منهم) يعنى ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)
أى انهم كذبة نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى
اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار
ينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام
تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فانزل الله هذه الآية (أعد الله
لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعنى الكاذبة (جنة) أى يستجنون بها من
القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم
بالقتل وأخذ أموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام (فلهم عذاب
مهين) يعنى فى الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيأ أولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعنى كاذبين أنهم ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) أى
فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا انه ينفع فى الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شئ)

(ألا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فأنساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس و يشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها و يشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان و يشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو باحدهما (ان الله قوى) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم

الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) أى من الممتنع ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) و بقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها و بمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم و يجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه و يظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا طلب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم فى الآخرة أو بما قضى عليهم فى الدنيا (أولئك حزب الله) أنصار حقه ودعاة خلقه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

يعنى من أيمانهم الكاذبة (ألا انهم هم الكاذبون) يعنى فى أقوالهم وأيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لان ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثانى ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) أى على نصر رسله وأوليائه (عزيز) أى غالب على أعدائه قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالى من كفر لان من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه فان قلت قد أجمعت الامة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ فى الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) يعنى ان الميل الى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستأتى قصته فى صورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا أبنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وابا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبت التصديق فى قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) أى قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حيى أمرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الحشر﴾

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الاشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف وقالوا يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم

﴿سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روي ان هذه السورة نزلت بامرها في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبي الذي نعته في التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب ابن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة فحالف أبا سفيان عند الكعبة فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الشأم الى اريحاء واذرعات (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (من ديارهم) بالمدينة واللام في

(لاول الحشر) تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحيوتى وقوله جئته لوقت كذا أى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر ان هذا أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم و آخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثانى وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم أول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه أن فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فأتاهم الله) أى أمر الله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) يخربون أبو عمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه

ما أقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم ما بقى وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعنى بنى النضير من ديارهم يعنى التى كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لاول الحشر) قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فى أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثانى نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ما ظننتم) يعنى أيها المؤمنون (أن يخرجوا) أى من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أى وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) أى أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فاعتبروا ياأولى الابصار) أى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (فى الآخرة عذاب النار) الذى لا أشد منه (ذلك بانهم) أى انما أصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل أى شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما فى قوله تعالى (أو تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ماقبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله (وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم أذن فى قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأ له خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بايجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم لانه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعنى ان ما خول الله رسوله من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى مافى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شئ قدير)

(فاعتبروا) أى فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم (ياأولى الابصار) أى ياذوى العقول والبصائر (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) يعنى الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) أى الذى لحقهم ونزل بهم (بانهم شاقوا الله ورسوله) أى خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) ۞ قوله تعالى (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) الآية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى ۞ حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة وأهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله أن قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود أذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا بأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها ۞ قوله عز وجل (وما أفاء الله على رسوله) أى ما رد الله على رسوله (منهم) أى من يهود بنى النضير (فما أوجفتم عليه) يعنى أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائه (والله على كل شئ قدير) أى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن صمة (ق) عن مالك بن أوس النضرى ان عمر دعاه اذ جاء حاجبه يرفا فقال هل لك ياأمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك فى عباس

وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني و بين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى قال أنشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ وأقبل على على وعباس وقال تذكران ان أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فقبضته سنتين من امارتى أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لى أن أدفعها اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلمان فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا أقضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى أكفيكماه ﴿قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعنى من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى) يعنى بنى هاشم و بنى المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم الفىء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم و يجعل ما بقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفىء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين و يبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفىء فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة أو للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله فى هذا الفىء حق الا ما ملكت أيمانكم (كيلا يكون) الفىء (دولة) والدولة اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى بعده ما يشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أى من مال الفىء والغنيمة (وما نهاكم عنه) أى من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل فى أموال الفىء وهو عام فى كل ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة (كيلا يكون دولة) نكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان أى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) لئلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) أى ما أعطاكم من قسمة غنيمة أو فىء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه (فانتهوا) عنه ولا تطلبوه

(واتقوا الله) ان تخالفوه وتهاونوا باوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود أن يكون عاما في كل ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفيء داخل في عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من الله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يبتغون) حال (فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) أي ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أولئك هم الصادقون) في ايمانهم وجهادهم (والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوي دار الدنيا والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) ولا يعلمون في أنفسهم طلب محتاج اليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعني ان نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من الفيء حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون في صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا فحذف المضافان (ويؤثرون

على

أو نهى عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد * عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك (واتقوا الله) أي في أمر الفيء (ان الله شديد العقاب) أي على ترك ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) يعني ألجأهم كفار مكة الى الخروج (يبتغون فضلا من الله) أي رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) أي خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله) أي بانفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) أي في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة بأربعين خريفا وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود * قوله عز وجل (والذين تبوؤا الدار والايمان) يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها مسكنا (من قبلهم) يعني انهم أسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ (يحبون من هاجر اليهم) وذلك انهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة) أي حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا) أي أعطي المهاجرون من الفيء دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة فطابت أنفس الانصار بذلك (ويؤثرون

على أنفسهم) أي و يؤثر الانصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أي
فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم أرسل
به الى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله
فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك
شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فأريه انا نأكل فاذا أهوى بيده ليأكل
فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان
وفلانة زاد في رواية فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال قالت
الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في
الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار
الى أن يقطع لهم البحرين فقالوا الا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقوني
على الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض
الأثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول أشهر ومعناه الاستئثار
وهو أن يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا
أعطى أراد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الأثرة الشدة
والاول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم
نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع
والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى
(ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أي الفائزون بما أرادوا وروي أن رجلا قال لابن مسعود اني
أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن
الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع
الرجل ماله انما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه
على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيأ أمره الله باعطائه فقد وقاه الله
شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم
القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم *
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود
الهلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته أو يخرج من يده
والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا
أخرجه النسائي * قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم

على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة) فقر وأصلها
خصاص البيت وهي
فروجه والجملة في موضع
الحال أي معروضة خصاصتهم
روي انه نزل برجل منهم
ضيف فنوم الصبية وقرب
الطعام وأطفأ المصباح
ليشبع ضيفه ولا يأكل هو
وعن أنس أهدى لبعضهم
رأس مشوي وهو مجهود
فوجهه الى جاره فتداولته
تسعة أنفس حتى عاد الى
الاول أبو يزيد قال لي
شاب من أهل بلخ ما الزهد
عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا
واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا
عندنا كلاب بلخ بل اذا
فقدنا صبرنا واذا وجدنا
آثرنا (ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم
المفلحون) الظافرون بما
أرادوا والشح اللؤم وأن
تكون نفس الرجل كزة
حريصة على المنع وأما
البخل فهو المنع نفسه وقيل
الشح أكل مال أخيك
ظلما والبخل منع مالك
وعن كسرى الشح أضر
من الفقر لان الفقير
يتسع اذا وجد بخلاف
الشحيح (والذين جاؤا
من بعدهم) عطف
أيضا على المهاجرين وهم
الذين هاجروا من بعد
وقيل التابعون باحسان
وقيل من بعدهم الى يوم
القيامة قال عمر رضي الله

عمده دخل فی هذا الفی ء كل من هو مولود الى يوم القيامة فی الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضی الله عنها أمروا بان يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل فی قلوبنا غلا)
حقدا (للذين آمنوا) يعنی الصحابة (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول فی عثمان وطلحة والزبير قال

أقول ما قوليه الله وتلا
هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله
(ألم تر الى الذين نافقوا)
أی الم تر يا محمد الى عبد الله
ابن أبی وأشياعه (يقولون
لاخوانهم الذين كفروا
من أهل الكتاب) يعنی
بنی النضير والمراد اخوة
الكفر (لئن أخرجتم)
من دياركم (لنخرجن
معكم) روی ان ابن أبی
وأصحابه دسوا الى بنی النضير
حين حاصرهم النبی صلى
الله عليه وسلم لا تخرجوا من
الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم لا نخذلكم ولئن
أخرجتم لنخرجن معكم
(ولا نطيع فيكم) فی قتالكم
(أحدا أبدا) من رسول
الله والمسلمين ان حملنا عليه
أو فی خذلانكم واخلاف
ما وعدناكم من النصرة
(وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم لكاذبون)
فی مواعيدهم لليهود وفيه
دليل على صحة النبوة
لانه اخبار بالغيب (لئن
أخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا
ينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت يعنی
ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون
بعد ذلك أی يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين

الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان (ولا تجعل فی قلوبنا غلا) أی غشا وحسدا او بغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) فكل من كان فی قلبه غل أو بغض لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وليس له فی المسلمين نصيب وقال ابن أبی ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبی سعيد الخدری قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابی فلو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختی أمروا أن يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فی أصحابی لا تتخذوهم غرضا بعدی فمن أحبهم فبحبی أحبهم ومن أبغضهم فببغضی أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانی ومن آذانی فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذی وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان فی قلبه غل عليهم فليس له حق فی فیء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبی يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قالوا حواری عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة * وروی عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الاجر وروی ان ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الاولين أنت قال لا قال فمن الانصار أنت قال لا قال فانا أشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نافقوا) يعنی أظهروا خلاف ما أضمروا وهم عبد الله بن أبی ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنی اليهود من بنی قريظة وبنی النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أی من المدينة (لنخرجن معكم) أی منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعنی ان سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم (وان قوتلتم لننصرنكم) أی لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم) يعنی المنافقين (لكاذبون) أی فيما قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الادبار) يعنی لو قدروا ونصروهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون)

(لأنتم أشد رهبة) أي أشد مرهوبية مصدر رهب المبنى للمفعول وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم يعنى أنهم يظهرون لكم فى العلانية
خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته

يعنى بنى النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم (لأنتم) يعنى يا معشر المسلمين (أشد رهبة فى صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أى الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة) أى لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدار) وقرئ جدر (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق وقيل أراد أن دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى أقصى أرض الهند لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة أيام ولا يفطر الا فى كل عشرة أيام مرة فلما رأى الابيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة الرهبان فلما رأى ذلك فى حاله ندم فى نفسه أى لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لاكون معك فأتأدب بأدبك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الابيض وأقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال ما حاجتك قال له حاجتى أن تأذن لى فارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه فى صومعته فأقام حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى أخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض

(لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) جدار مكى وأبو عمرو (بأسهم بينهم شديد) يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعنى أن بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قريبا) أى استقر من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة
عذاب النار (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر

لرجل خنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهلها ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم انى لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به أجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم أنها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقف عليها فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى أوسطهم فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر وأنا والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتمونى فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى فقال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك ما اتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وانك زعمت انك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ باعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال

ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يابرصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك الى ان كفرت بربك (فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلى فيها فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتى فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال أين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال ياغلام من أبوك قال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذوشارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى وأقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثل هذا ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها أخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه وأخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبغى الزانية أيضا وقوله يتمثل بحسنها أى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذوشارة حسنة أى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس ❁ قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى لينظر أحدكم أى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كأن يوم القيامة يأتى غدا وكل ما هو آت فهو قريب (واتقوا

فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) أى مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برىء منكم (فكان عاقبتهما) عاقبة الانسان الكافر والشيطان (أنهما فى النار خالدين فيها) عاقبتهما خبر كان مقدم وأن مع اسمها وخبرها أى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء الظالمين ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى أوامره فلا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة (ماقدمت لغد) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره أى لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (واتقوا

الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا أو اتقوا الله فى أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فأنساهم أنفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبناعن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل فى الجبل تمييز وانزل عليه القرآن لخشع أى لخضع وتطأطأ وتصدع أى تشقق من خشية الله وجائز أن يكون هذا تمثيلا كما فى قوله انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الامن

الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله فى أداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فأنساهم أنفسهم) أى أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فأنساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوى أصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما ۞ قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب من الاعجب باحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا أن يخلق الله تعالى له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) أى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام أى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به

من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب و بما وعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد فى معناه

ألا ان خير الناس بعد نبيه ❊ مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى أبيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من ❊ خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده ❊ ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم ❊ والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير و يغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق و يقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذابا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس وأما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان أظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر الكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون أى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر أفعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) أى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) أى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وأنشأه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله أعلم

❊سورة الممتحنة مدنية❊

وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

وعن الزجاج الذى أمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا أن همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على

❊سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية❊

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى فاردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدكم أولياء) عدوى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى وأولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال أمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على

والله

(تلقون) حال من الضمير في لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (اليهم بالمودة) أو مستأنف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء في بالمودة زائدة مؤكدة للتعدي كقوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم و بينهم (وقد كفروا) حال من لا تتخذوا أو من تلقون أي لا تتولوهم أو تتوادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول وايا كم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أي يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا أي لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله

هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه (جهادا في سبيلي) مصدر في موضع الحال أي ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي (وابتغاء مرضاتي) ومتبعين مرضاتي (تسرون اليهم بالمودة) أي تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى أي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي وانا مطلع رسولي على ما تسرون (ومن يفعله) أي هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) أي يظفروا بكم و يتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (و يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا مواداة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده أن يقصد أعز شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) و بين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلي والفاعل هو الله عز و جل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل

والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فاردت أن أتخذ لي عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصارا (تلقون اليهم بالمودة) أي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم و بينهم (وقد كفروا) أي وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول وايا كم) يعني من مكة (ان تؤمنوا) أي لان آمنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ۞ وقوله (تسرون اليهم بالمودة) أي بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) أي من المودة للكفار (وما أعلنتم) أي أظهرتم بالسنتكم منها (ومن يفعله منكم) أي الاسرار والقاء المودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يثقفوكم) أي يظفروا بكم و يروكم (يكونوا لكم أعداء و يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) أي تمنوا (لو تكفرون) أي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى أن أعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم أنتم ولا توادوهم (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فانه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) أي يدخل

(والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم (قد كانت لكم أسوة) قدوة في التبري من الاهل (حسنة في ابراهيم) أي في أقواله ولهذا استثنى منها الا قول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع بريء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه أي اقتدوا به في أقواله ولا تتأسوا به في الاستغفار لابيه الكافر (وما أملك لك من الله من شيء) أي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بان

أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) أي من أهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انا برآء منكم) جمع بريء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أي جحدناكم وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان ابراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فأمر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) يعني لكم ان تتأسوا بابراهيم في جميع أموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شيء) هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله ان عصيته وأشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعني في ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) أي اقتداء حسن (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أي يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغني) أي عن خلقه (الحميد) أي الى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أي على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أمه وهي أسماء
بنت

يقولوه (واليك أنبنا) أقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجوا الله أي ثوابه أي يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغني) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات وشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع أقاربهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من أهل مكة من أقاربكم (مودة) بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم (ان الله يحب المقسطين)

بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت على وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركوا مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم

انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أولانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

(الله أعلم بإيمانهم) منكم فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فإن علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علماً يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان

الصلح قد وقع على أن يرد على مكة من جاء مؤمنا منهم فأنزل الله هذه الآية بيان ان ذلك في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن لان المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسّكوا بصري (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسألوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها من المهاجرين (ذلكم حكم الله) أي جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم (والله عليم حكيم وإن فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) وإن انفلت أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أحد (فعاقبتم) فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة

(الله أعلم بإيمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي إذا أقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني أزواجهن (ما أنفقوا) أي عليهن من المهر الذي دفعوه اليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وإن كان لهن أزواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وإن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية ابن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسألوا) أي أيها المؤمنون (ما أنفقتم) يعني إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسألوا) يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل (وإن فاتكم) أيها المؤمنون (شيء من أزواجكم الى الكفار) أي فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم وأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) أي الى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه أعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين

المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري ١ وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول في رد مهر من أسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا أو مندوبا وأصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك منا أحد الارددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليها ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا ۞ قوله تعالى (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على أن لا يشركن بالله شيأ) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند أو تزني الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك في معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شئ فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من أحصى من المبايعات أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لا يشركن بالله شيأ وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملكها وأما تفسير الآية فقوله تعالى ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا

(واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك في معروف) طاعة الله ورسوله

١ قوله فاطمة تقدم ان اسمها قريبة فلعل في اسمها خلافا وذكر الخطيب أولا أن اسمها قريبة وثانيا فاطمة كما هنا والله أعلم اهـ

(فبايعهن واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) بتمحيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما ائتلف وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنع بحمزة فقال عليه السلام أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شئ وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به وقيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) أي كما يئسوا الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير (من أصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أي لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم

﴿سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية﴾

بسم

يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة أسعدتني فأنا أريد أن أجزيها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن أسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي أخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعوا ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود * عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء أسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام أخرجه النسائي (م) عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود *وقوله تعالى (فبايعهن) يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن أميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلت الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا الى القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الصف وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملنا فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وممّ وعمّ والامّ وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام أو غيرها كشئ واحد وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال لاصل قليلا قال * على ما قام يشتمني جرير * والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) قصد في كبر التعجيب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على ان قولهم مالا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فقال أتأمرونني أن أقول مالا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) بجحود الآيات والقذف بما ليس فيّ (وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا (أني رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقيري وتعظيمي لا أن تؤذوني (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي أرسلت اليكم في حال تصديق ما تقدمني

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملنا فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فأنزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى لم تقولون مالا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أي عظم بغضا عند الله (أن تقولوا مالا تفعلون) معناه ان يعدوا من أنفسهم شيأ ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) أي قد رص بعضه ببعض وألزق بعضه الى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ۞ قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل (يا قوم لم تؤذونني) قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه الادرة (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم) يعني تؤذونني وأنتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أي عدلوا ومالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أي أمالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه بانه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان أذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم) أي اني رسول أرسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة (مصدقا لما بين يدي من التوراة) أي اني مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وأنبيائه جميعا ممن قد تقدم (ومبشرا برسول يأتي من بعدي) أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبي موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يأتوا النجاشي

من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدي حجازي وأبو عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلي (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) هذا تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفؤا نور الله بأفواههم أي بكلامهم (والله متم نوره) مكي وحمزة وعلي وحفص متم نوره غيرهم أي متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الأديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) تنجيكم شامي (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم) أي ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم

وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال أبو داود المدني قد بقي في البيت موضع قبر أخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم[٢] يأتي بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما وأحمد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك أنهم علموا أن ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعني متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أي ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) أي الذي آمركم به من الايمان والجهاد في سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله أي اذا فعلتم ذلك

---

٢ قوله قال نعم الخ كذا في نسخة وفي أخرى قال نعم أمة أحمد حكماء اه مصحح

و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن) أى اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفى تحبونها شئ من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أى هى نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يارسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار (٢٨٣) الله) أى أنصار دينه انصار الله حجازى وأبو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى حين قال لهم من أنصارى الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى (وكفرت طائفة) به (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنهم على كفارهم (فأصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم

﴿سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح اما أن يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى كل شئ دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزهه عن الاشياء أو تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه فى كل شئ ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى الى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بان يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذى بعث) أرسل (فى الاميين رسولا منهم) أى بعث رجلا أميا فى أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والامى منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار (يتلو عليهم آياته) القرآن

يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعنى هذا الجزاء الذى ذكره هو الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أى ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أى يا محمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصارى الى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثنى عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين وقيل معناه فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الجمعة﴾

وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين) يعنى العرب وكانت العرب أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو الذى على ما خلق عليه كأنه منسوب الى أمه (رسولا منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أميا مثلهم وانما كان أميا لان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب الى صدقه (يتلو عليهم آياته) أى التى تبين رسالته وقيل آياته التى تميز بها الحلال من الحرام

(ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة أو الفقه في الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم أو هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم أو منصوب معطوف على المنصوب في ويعلمهم

أي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) في تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) أي كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل في محل النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا فيما من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظالما (قل يا أيها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها

والحق من الباطل (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هي السنة (وان كانوا من قبل) أي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لفي ضلال مبين وآخرين منهم) أي من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لانهم اذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) أي الغالب الذي قهر الجبابرة (الحكيم) أي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) يعني اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذ لم ينتفعوا بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) أي بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) أي قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) أي من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) أي ادعوا على أنفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعني

فبما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) أي لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة) أي لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد ابن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر أصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فاقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية فاذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان أحدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعني البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لم يلزمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم

لاولياءه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم (قل ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبر ان ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر (فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي (الى ذكر الله) أي الى الخطبة عند الجمهور وبه استدل أبو حنيفة رضي الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير

البيع والشراء (ذلكم) أى الذى ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) من المبايعة فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم

(فصل فى فضل الجمعة وأحكامها واثم تاركها) وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) فى فضلها (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا أحرم الامام حضرت الملائكة يستمعون فى الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى بالجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه و بين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركنى أبو عيسى وأنا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه اياه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى قال أبو هريرة فقلت أخبرنى بها ولا تكن عنى وفى رواية تضن على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال أبو هريرة فقلت وكيف تقول آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك فى الموطأ والنسائى (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة و يتطهر ما استطاع من الطهور و يدهن من دهنه و يمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه و بين الجمعة الاخرى * عن أوس بن أوس الثقفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائى قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده * (المسئلة الثانية) فى اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبى هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن أبى

(ذلكم) أى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون

الجعد الضمري وكان له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه أخرجه أبو داود والنسائي وللترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت أن آمر رجلا أن يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم ﴿المسئلة الثالثة﴾ في تأكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ماروى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الاعلى أربعة عبد مملوك أوامرأة أوصبي أومريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما أسنده قبيصة عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى أهله أخرجه الترمذي ولا تجب على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن أحمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد واسحق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ماروى البخاري عن ابن عباس قال ان أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثى قرية من قرى البحرين ﴿المسئلة الرابعة﴾ في تركها بالعذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم انكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت أن أخرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد ﴿المسئلة الخامسة﴾ في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من أربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بان يكونوا أحرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وأبو يوسف وقال أحمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع (المسئلة السادسه)

لايجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما اذا سافر قبل الزوال و بعد طلوع الفجر فانه يجوز غير أنه يكره الا أن يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو وذهب بعضهم الى أنه اذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ماروي عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت مافي الارض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي وروي ان عمر رأى رجلا عليه أهبة السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر أخرج فان الجمعة لاتحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم ۞ قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض) أي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعني الرزق وهذا أمر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أي اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) ۞ قوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا اليها حتى مابقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشأم وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا وأجيب عنه بانه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لوتتابعتم حتى لايبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشأم بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الا أتته وكان يقدم بكل مايحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره و ينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا أي تفرقوا وذهبوا اليها والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها أهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على أن

فاذا قضيت الصلوة) أي أديت (فانتشروا في الارض) أمر اباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ في الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ماوفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون) واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت أهم عندهم روي ان أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فما بقي معه الا ثمانية أو اثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغي أن يخطب قائما

هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أ كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب أبو حنيفة الى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافا لابى حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام فى حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلى تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابى حنيفة ومالك

﴿ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام﴾

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفى رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد فى رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن ابن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كنت أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد أبو داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس * عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أخرجه أبو داود والترمذى ولابى داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وفى رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت * عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك فى الموطأ قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فأما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس

(قل ماعند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لايفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم ﴿سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أرادوا بالشهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (والله يعلم انك لرسوله) أى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأة أوانهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أوانهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) وقاية من السبى والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين (فصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بانهم أسوأ الناس أعمالا (بانهم) بسبب أنهم (آمنوا ثم كفروا) أوالى ماوصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أى ذلك كله بسبب انهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان مايقول محمد حقا فنحن حمير ونحو

شروط الوقت وهو وقت الظهر مابين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن يصلى ظهرا ولايجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أوانفض واحد من العدد لايجوز أن يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولوافتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح أقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلونقص واحد قبل أن يسلم الامام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهوانه ان بقى معه اثنان أنها جمعة وقيل ان بقى معه واحد أنها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ماصلى بهم الامام ركعة أنها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الركعة الاولى يتمها أربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق اذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جمعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا (خ) عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن أبى رافع قال استخلف مروان أباهريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا أبوهريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الاولى واذا جاءك المنافقون فى الثانية قال فادركت أباهريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن أبى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال أبوهريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما فى الصلاتين ✱ عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبوداود والنسائى ﴿ وقوله تعالى (قل ماعند الله) أى ماعند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذى جاء بها دحية (والله خير الرازقين) يعنى انه تعالى موجد الارزاق وأصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة المنافقين﴾

وهى مدنية واحدى عشرة آية وما ئة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عزوجل (اذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) أى هو الذى أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لان حقيقة الايمان أن يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شئ واعتقد خلافه أوأضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أى ستر ايستترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بانهم آمنوا) أى فى الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين أقروا بالايمان (ثم كفروا) أى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون

ذلك أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع الله على قلوبهم) فختم عليها حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرون أولا يعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لرسول الله أو لكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجالس النبى صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له (مسندة) فى الحائط شبهوا فى استنادهم وماهم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع أولانهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام خشب أبو عمرو غير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر

لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجر فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت وما بقى لى الا أن أسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما حتى اشتكى ومات

الكاذبون (فطبع الله على قلوبهم) أى بالكفر (فهم لا يفقهون) أى الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن (واذا رأيتهم) يعنى المنافقين مثل عبد الله بن أبي ابن سلول (تعجبك أجسامهم) يعنى ان لهم أجساما ومناظر حسنة (وان يقولوا تسمع لقولهم) أى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أى أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعنى انهم لا يسمعون صوتا فى العسكر بان ينادى مناد أو تنفلت دابة أو تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) أى لا تأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم ولا تأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم أسرارك (قاتلهم الله) أى لعنهم الله (أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الحق ۞ قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أى أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) أى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

(سواء عليهم أستغفرت لهم) أى يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهد القوم الفاسقين)

﴿ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين وأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن أبى لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبى وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبى أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم وتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبى اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعنى أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى فاتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبد الله بن أبى والذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا الكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم فى حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبى صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد فى الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مقتوك وكان زيد يساير النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبى فقال أسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ما كان من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فانا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى وانى أخشى أن تامر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك

(سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) أى ما داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين

حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا أن وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبى الذى كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق و بمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ماأزعم انى أعلم الغيب ولاأعلمه ولكن الله أخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى هى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هى كما قال فجاؤا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات فى ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست فى البيت لما بى من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين فى تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن أبى فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يازيد ان الله قد صدقك وأوفى باذنك (ق) عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبى لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبى فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع فى نفسى مما قالوه شدة حتى أنزل الله بتصديقى اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصارى غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصارى ياللانصار وقال المهاجرى ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فاخبر بكسعة المهاجرى الانصارى فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبى ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر ألا أقتل يانبى الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لايتحدث الناس انه كان يقتل أصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان أومظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصروان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذى فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لاتنقلب حتى تقر انك أنت الذليل و رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال أصحاب السير وكان عبد الله بن أبى بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبى قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله لاتدخلها أبدا الا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبد الله ابن أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله أما اذ جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا أباحباب انه قد نزل فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتمونى ان أومن فآمنت وأمرتمونى ان أعطى زكاة مالى فقد أعطيت فما بقى الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ونزل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) أى يتفرقوا عنه (ولله

هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله

خزائن السموات والارض) أى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ولكن عبدالله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) أى الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن أعزه الله وأيده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم) هو التصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أى عن الصلوات الخمس أو عن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن اصلاح معاده (فاولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فاصدق) فاتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء أجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه حتم لا محالة والله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب ﴿سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على

مانع

خزائن السموات والارض) يعنى بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى أحد أحدا شيئا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته (ولكن المنافقين لا يفقهون) يعنى ان أمر الله اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعنى من غزوة بنى المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) أى ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية فى عبدالله بن أبى ابن سلول لم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فاولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث آثروا الفانى على الباقى (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا أمهلتنى وقيل لو أخرت أجلى (الى أجل قريب فاصدق) أى فازكى مالى (وأكون) وقرئ وأكن (من الصالحين) أى من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أو أطاق الحج ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أى أحج وأزكى (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) يعنى انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعنى انه لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما سأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة التغابن﴾

وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد) يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال ولا محمود فى جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شئ قدير) يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا

مانع ولامدافع (هو الذى خلقكم فنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن أمه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا الا ان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن أبى سعيد الخدرى انه قال فنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن أبى رباح فنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فنكم كافر أى بان الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبائع ومنكم مؤمن أى بان الله خالقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية (والله بما تعملون بصير) أى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم) أى انه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا أن صورة الانسان أحسن صورة وأكملها (واليه المصير) أى المرجع فى القيامة (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه انه لا تخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ۞ قوله تعالى (ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى خبر الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أى جزاء أعمالهم وهو ما لحقها من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ذلك) أى الذى نزل بهم من العذاب (بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) معناه انهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فكفروا) أى جحدوا وأنكروا (وتولوا) أى أعرضوا (واستغنى الله) أى عن ايمانهم وعبادتهم (والله غنى) أى عن خلقه (حميد) أى فى أفعاله ثم

الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ والقائم به وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فنكم كافر ومنكم مؤمن) أى فنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب أن تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فاحسن صوركم) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن أحسن صورته ان خلقه منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فاحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى العقبى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بان الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه

(زعم الذين كفروا) أي أهل مكة والزعم ادعاء العلم و يتعدى تعدي العلم (أن لن يبعثوا) ان مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد ان وهو البعث (وربي لتبعثن) أكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكروه قلت هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا في القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث على الله (يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد في الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر أي عملا صالحا (يكفر عنه سيآته ويدخله) وبالنون فيهما مدني وشامي (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شئ يقتضي هما (الا باذن الله) بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان أعطي شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فانما على رسولنا البلاغ المبين) أي عليه التبليغ وقد فعل (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أي ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن و يخاصمنهم ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم و يعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والاولاد جميعا أي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم

من

أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أي قل لهم يا محمد (بلى وربي لتبعثن) أي يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أي لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أي أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن سماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعني انه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه ۞ قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة والتجارة وذلك انه اذا أخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين أنهم خسروا وغبنوا في شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) أي في ايمانه الى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) أي بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) أي الدالة على البعث (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أي بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) أي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) أي يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله) أي فيما أمر (وأطيعوا الرسول) أي فيما جاء به عن الله وما أمركم به (فان توليتم) أي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو) أي لا معبود ولا مقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا

(وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستروا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أي في الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم باموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كما في العداوة لان الكل لايخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) أي انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائي يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أي البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطفا في الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة الى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطي الجزيل (حليم) يقيل الجليل من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) أي يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أي ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) في الاخبار عن الغيوب والله أعلم ﴿سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية﴾

من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أي ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم اني أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

۞ وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا وأطيعوا) أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وأنفقوا) أي من أموالكم حق الله الذي أمركم به (خيرا لانفسكم) أي ما أنفقتم في طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تقرضوا أي تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) أي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعني يحب المتقربين اليه (حليم) أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

﴿تفسير سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿يا أيها النبي اذا طلقتم النساء﴾ خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يافلان افعلوا كذا اظهار التقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنين ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) نادى النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطابَ الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء أي اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير المدخول بها لاعدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم من حديث أبي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن ٢ في قبل عدتهن

﴿فصل﴾ اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل أن يمس والطلاق السني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض أو الآيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو طلق التي لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لامره أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما أنه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم الى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي قوله تعالى (وأحصوا العدة) أي عدة أقرائها فاحفظوها قيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) أي واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لا تخرجوهن من بيوتهن) يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وان كان عارية

وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة

٢ قوله في قبل عدتهن قال في شرح مسلم هي قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لاتثبت قرآنا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اهـ

فارتجعت

وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لايدخل داره ومعنى الاخراج أن لايخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أولحاجة لهم الى المساكن وان لايأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لاأثر له فى رفع الحظر (ولايخرجن) بانفسهن ان أردن ذلك (الاان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هى الزنا الاأن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه (وتلك حدود الله) أى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى) ايها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها أو من الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) قاربن آخر العدة (فامسكوهن بمعروف أوفارقوهن بمعروف) أى فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لاللمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شان الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص

فان تجمت كان على الزوج أن يكرى لها منزلا غيره ولايجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه (ولايخرجن) يعنى ولايجوز للمرأة أن تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة أثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما أوغرقا جاز لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل أوشراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولايجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوى كل امرأة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم وقوله تعالى (الاأن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة أن تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعنى ماذكر من سنة الطلاق ومابعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) أى فيطلق لغير السنة أوتجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) أى ضر نفسه (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب أن يفرق الطلقات ولايوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماأحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وله فى رواية عنه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرم عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذى

﴿قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أى اذا قربن من انقضاء عدتهن (فامسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف أوفارقوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أى على الرجعة وعلى الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق * عن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولاتعد أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة كما فى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد أن لايقع بينهما التجاحد وان لايتهم فى امساكها وأن لايموت أحد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل أمر بالاشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقضى العدة وتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعنى أيها الشهود (لله) أى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى أشهدوا بالحق وأدوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك أسر ابن له يسمى مالكا

(ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به أي ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك أسر المشركون ابناله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبروا وأكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله أمرني واياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبيناهو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه في الدارين (ان الله بالغ أمره) حفص منفذ أمره غيره بالغ أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذ علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت (ان ارتبتم) أي أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة أو بخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائي لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وأولات الاحمال أجلهن) عدتهن (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الاجلين

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا اليه أيضا فاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبيناهو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب منهم ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي في ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعني ما ساق من الغنم وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى أبيه فانطلق أبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (ان الله بالغ أمره) أي منفذ أمره وممض في خلقه ما قضاه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي جعل لكل شيء من شدة أو رخاء أجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا ۞ قوله عز وجل (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللائي قعدن عن الحيض فلا يرجى أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض (ان ارتبتم) أي شككتم في حكمهن ولم تدروا ما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) يعني الصغائر اللائي لم يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم الى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة أشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (ق) عن سبيعة الاسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل ابن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما أنت

بناكح

بنا كح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من الاحكام (أمر الله أنزله إليكم) أي لتعملوا به (ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا) ۞ قوله تعالى (أسكنوهن) يعني مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعني في مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي فيخرجن من عدتهن

﴿فصل في حكم الآية﴾ اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها الا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى أنه لا نفقة لها الا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة الا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروى عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان أحدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أنزله إليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) في العمل بما أنزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هي من التبعيضية مبعضها محذوف أي أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) أي المطلقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة شرط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم

(فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن خلافا للشافعي رحمه الله (وأتمروا بينكم) أي تشاوروا وعلى التراضي في الاجرة وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن في المروءة فلا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة وقوله له أي

عمرو به قال مالك والثوري وأحمد واسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك ابن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته أن ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع الى أهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة أولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا ۞ قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) يعني أولادكم (فآتوهن أجورهن) يعني على ارضاعهن وفيه دليل على أن اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد (وأتمروا بينكم بمعروف) أي ليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم ان يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا أن لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) أي في حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرة رضاعها وأبت الام أن ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته) أي على قدر غناه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) أي على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) أي في النفقة (الا ما آتاها) يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق وشدة غنى وسعة ۞ قوله تعالى (وكأين من قرية عتت) أي عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربها ورسله) أي وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أي منكرا فظيعا وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) أي شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي خسرانا في الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية (فاتقوا الله يا أولي الالباب) أي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن (رسولا) أي وأرسل اليكم

للاب أي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أي رزقه الله على قدر قوته (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق في المعيشة سعة وهذا وعد لذي العسر باليسر (وكأين من قرية) من أهل قرية (عتت) أي عصت (عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) نكرا مدني وأبو بكر منكرا عظيما (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) أي خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة

رسولا

وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيآت واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (قد أنزل الله اليكم ذكرا) أي القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا أو بدل

من ذكرا كأنه في نفسه ذكر أو على تقدير حذف المضاف أي قد أنزل الله إليكم ذا ذكر رسولا أو أريد بالذكر الشرف كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أي ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يتلوا) أي الرسول أو الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج الذين علم انهم يؤمنون (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر أو الجهل الى نور الايمان أو العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله) وبالنون مدني وشامي (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذي خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) أجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة (يتنزل الامر بينهن) أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخلق (وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الاول أي قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

(سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضات أزواجك) تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك

رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض أي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة (الله الذي خلق سبع سموات) يعني بعضها فوق بعض (ومن الارض مثلهن) أي في العدد (يتنزل الامر بينهن) أي الوحي الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة التحريم ﴾

﴿ وهي مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)

(ذكر سبب نزولها)

(ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت أبادئه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير

قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل
علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا
أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي (ق) عن عائشة رضي
الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا
وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له اني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل
على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا أيها النبي لم
تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا لقوله
بل شربت عسلا وان أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا زاد في رواية يبتغي بذلك مرضاة أزواجه
﴿شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما﴾ قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء
والعسل الحلواء بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلواء تنبيها على شرفه
ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في
الرواية وأصلها فتواطأت أي اتفقت أنا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها
ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء
يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال أهل
اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء والسين المهملتين ومعناه
أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي
الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي
تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج
صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى
وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي
الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه أن الشرب
كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ
محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها
فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا
بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه
يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ووقعت عليها في
يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي فهي علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن
فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا
متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه
وسلم حتى حلف ان لا يقربها ﴿عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة
يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية

فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهي الكفار أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى

وخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية

* وأما التفسير فقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضات أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي بين أوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فأمر الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فاعتق رقبة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم (وهو العليم) أي بخلقه (الحكيم) أي فيما فرض من حكمه

(فصل) اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت علي حرام أو قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شئ عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيأ ففيه قولان للشافعي أحدهما انه يلزمه كفارة اليمين الثاني لا شئ عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شئ من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امرأته ليس بشئ وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لفظ الحميدي ۞ قوله تعالى (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) يعني ما أسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحدا وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أراد أن يراضيها فأسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به) أي أخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء أي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها قيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فأتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) يعني حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر (قال نبأني العليم) أي بما تكنه الضمائر (الخبير) أي بمخفيات الامور ۞ قوله عز وجل (ان تتوبا

لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولي أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لانفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما أحل وحرم (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته الى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أي أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها (فلما نبأها به) نبأ النبي حفصة بما أفشت من السر الى عائشة (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأني العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا

الى الله) يخاطب عائشة وحفصة أى من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له (فقد صغت قلوبكما) أى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت ياأمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهرى كره والله ماسأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى فى بنى أمية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت أتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني مابدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هى أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما ويأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبى الانصارى يوم نوبته ثم أتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدرى هاهو ذا معتزل فى هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم فجلست قليلا ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت أطلقت يارسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتى يوما فاذا هى تراجعنى فأنكرت اذ راجعتنى فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن احداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هى أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله مارأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن

الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب مايحبه وكراهة ما يكرهه

(وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أي كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) يبدله مدني وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا من أمهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب أو راجعات الى الله والى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات أو صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره (ثيبات وأبكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات

شهرا من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله انك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قال يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

(شرح بعض ألفاظه) قوله فعدلت معه بالاداوة أي ملت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة أوسم منك أي أكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الانسان مرة و يفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الا أهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب * قوله تعالى (وان تظاهرا عليه) أي تعاونا على ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أي وليه وناصره (وجبريل) يعني وجبريل وليه وناصره أيضا وانما أفرده وان كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه (عسى ربه) أي واجب من الله (ان طلقكن) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) أي خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) أي تاركات للذنوب اقبحها أو كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات) أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وأبكارا) أي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه ان طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (ناراً وقودها الناس والحجارة) نوعاً من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلي أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) في أجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال (لا يعصون الله) في موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان في معنى واحد إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) صادقة عن الأخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح إذا خلص من الشمع وقيل نصوحاً من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحاً وجاء مرفوعاً أن التوبة النصوح (ويدخلكم أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والإقلاع بالأركان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت

لهن ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهليكم) يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك (ناراً وقودها الناس والحجارة) يعني الكبريت لأنه أشد الأشياء حراً وأسرع إيقاداً (عليها ملائكة) يعني خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) أي فظاظ على أهل النار (شداد) يعني أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أي لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) أي لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) أي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لأنه قد قدم إليهم الإنذار والإعذار فلا ينفعهم الاعتذار لأنه غير مقبول بعد دخول النار (إنما تجزون ما كنتم تعملون) يعني أن أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب ﴿ قوله (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أي ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على أن لا يعود إليه وقال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان

﴿فصل﴾ وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً فإذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحاً وإن فقد شرط منها لم تصح توبته فإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت المعصية مالاً ونحوه رده إلى صاحبه وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة (م) عن الأغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة الحديث (م) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) هذا إطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلاً وتكرماً لا وجوباً عليه

(ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين أيديهم وبايمانهم) فى موضع الخبر (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أى عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة (اذ قالت) وهى تعذب (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكأنها أرادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجنى من فرعون وعمله) أى من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بامرنا (فيه) فى الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أى بصحفه التى أنزلها على ادريس وغيره (وكتبه) بصرى وحفص يعنى الكتب الاربعة (وكانت من القانتين)

(ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى اذا انطفأ نور المنافقين (أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) تقدم تفسيره ۞ قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أى بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأة لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة و والهة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت مرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة من قومها وأما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على أضيافه اذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل أبعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ❊ ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها أوتد يديها ورجليها باربعة أوتاد وألقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فابصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى تأكل وتشرب فيها (ونجنى من فرعون وعمله) يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) يعنى الكافرين (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) أى عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) أى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعنى الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعنى كانت من

لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه واشارة الى أن من حقهما أن يكونا فى الاخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية﴾

القوم القانتين أى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله ✲ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الملك﴾

مكية وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها ✲ عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر انسان وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (تبارك الذى بيده الملك) أى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) أى من الممكنات (الذى خلق الموت والحيوة) قيل أراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الامات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الاحيي وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها فالقاها فى العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم أحد فى الدنيا ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة (ليبلوكم) أى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) أى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات أو من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذى خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذى قبله (والحيوة) أى ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بامره ونهيه وبما

بين الموت الذى يعم الامير والاسير والحياة التى لا تفى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم لله

فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذى هو أثر صفة القهر على الحياة التى هى أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله

(وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) الستور الذي لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذي خلق سبع سموات طباقا) مطبقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في (ماترى في خلق الرحمن) للرسول أو لكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلي ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أي من اختلاف واضطراب وعن السدي من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين أي كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على

مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي كرر نظرك ودققه هل ترى خللا أو عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا أو بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معيي ولم تر فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أي السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأي مصابيح لاتوازيها مصابيحكم اضاءة (وجعلناها رجوما للشياطين) أي لاعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجني أو يخبله لان الكواكب لا تزول عن أماكنها لانها قارة في الفلك على حالها (واعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا ألقوا فيها) طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أي تتميز يعني تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كلما ألقي فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم

لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد في الدنيا (وهو العزيز) أي الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) أي لمن تاب اليه ورجع عن اساءته ۞ قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي ماترى يا ابن آدم في شيء مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) أي كرر النظر (هل ترى من فطور) أي شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) أي ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) أي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى (وهو حسير) أي كليل منقطع لم يدرك ما طلب (ولقد زينا السماء الدنيا) أي القربى من الارض وهي التي يراها الناس (بمصابيح) أي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي أعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها (وأعتدنا لهم) أي وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا (عذاب السعير) أي في الآخرة وهي النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) أي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقبح الاصوات (وهي تفور) أي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) أي تنقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما ألقي فيها فوج) أي جماعة (سألهم

خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ماوقعوا فيه (فكذبنا) أى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شئ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى قال الكفار للمنذرين ما أنتم الا فى خطأ عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (أو نعقل) عقل متأمل (ما كنا فى أصحاب السعير) فى جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا لاصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلى فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أى الجنة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما روى أن مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من فى موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته [illegible] اللطيف أى العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا لنفى خلق الافعال (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشى فيها (فامشوا فى مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها أو طرقها (وكلوا من رزقه) أى من رزق الله فيها (واليه النشور) أى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من فى السماء) أى من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه أو لانهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هى تمور) تضطرب وتتحرك (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل

خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم نذير) أى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (ما نزل الله من شئ) وهذا اعتراف منهم بانه أزاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شئ (ان أنتم الا فى ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الاظهر أنه من جملة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) أى من الرسل ما جاؤا به (أو نعقل) أى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا فى أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ما كنا فى أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو فى معنى الجمع أى بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شئ (فسحقا) أى بعدا (لاصحاب السعير) ۞ قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) أى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى جزاء أعمالهم الصالحة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع اله محمد فاخبره الله أنه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) يعنى ألا يعلم من خلق مخلوقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما فى صدور من خلق (وهو اللطيف) أى باستخراج ما فى الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة ۞ قوله تعالى (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشى فيها بحزونتها وغلظها (فامشوا فى مناكبها) أمر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أى مما خلقه الله لكم فى الارض (واليه النشور) أى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من فى السماء) قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور) أى تتحرك باهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم أى تجىء وتذهب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل

عليكم حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم اذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى أى يصففن ويقبضن أو صافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) أى ما هم الا فى غرور (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أم من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون

ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى معتسفا وخبر من (أهدى) أرشد وأكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب (أمن يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة أهدى عليه وعن الكلبى يعنى بالمكب أبا جهل وبالسوى النبى عليه السلام (قل هو الذى أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فاعلمونا زمانه

عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) أى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير) أى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا ۞ قوله عز وجل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (ما يمسكهن) أى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها (انه بكل شئ بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية (أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار أى لا جند لكم (ينصركم) أى يمنعكم (من دون الرحمن) أى من عذاب الله قال ابن عباس أى من ينصركم منى ان أردت عذابكم (ان الكافرون الا فى غرور) أى من الشيطان يغرهم ان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان أمسكه الله عنكم (بل لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى تبوء وتكبر (ونفور) أى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أى هو أهدى (أمن يمشى سويا) أى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى أنه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال (قليلا ما تشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم (فى الارض واليه تحشرون) أى يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى أنه

(قل انما العلم) أي علم وقت العذاب (عند الله وانما أنا نذير) مخوف (مبين) أبين لكم الشرائع (فلما رأوه) أي الوعد يعني العذاب الموعود
(زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها
القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أي تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا أوهو
من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكني الله) أي أماتني الله
كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من أصحابي (أو رحمنا) أو أخر في آجالنا (فمن يجير) ينجي (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فانتم ما تصنعون من مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه (قل هو الرحمن) أي الذى أدعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب وبالياء على (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن الله
فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

﴿سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) الظاهران المراد بهذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت
الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لا بد له من الاعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم

سؤال عن يوم القيامة فاجاب الله عن ذلك بقوله (قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين) أمره باضافة
العلم الى الله تعالى وتبليغ ما أوحى اليه (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل
يعنى العذاب ببدر (زلفة) أي قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وعلتها الكآبة والمعنى
قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أي وقالت لهم الخزنة (هذا الذى كنتم به تدعون) من الدعاء
أي تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أي تدعون أنه باطل (قل) يا محمد لمشركى مكة الذين
يتمنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكني الله ومن معى) أي من المؤمنين (أو رحمنا) أي فابقانا وأخر فى آجالنا
(فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل أرأيتم ان أهلكنى
الله أي فعذبنى ومن معى أو رحمنا أي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه
نافذ فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) أي قل لهم فى
انكارك عليهم وتوبيخك لهم (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أي نحن آمنا به وعبدناه وأنتم كفرتم به
(فستعلمون) أي عند معاينة العذاب (من هو فى ضلال مبين) أي نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم
بعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل
غيرها من المياه (غورا) أي غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أي ظاهر
تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين
ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن
يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ أصلا
شريكا له فى العبودية وهذا محال والله أعلم

﴿تفسير سورة ن﴾

مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وعنه أن أول ما خلق الله القلم
فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض
فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل
ليوثا وقيل لوثيا وعن على بلهوت قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث
من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع
قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على
سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها
بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخاره
فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق

الله تعالى صخرة كغلاظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وقيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم * ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد * عبس كواسب ما يمن طعامها * أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم

(والقلم) أي ما كتب به اللوح أو قلم الملائكة والذي يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أي ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أي بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعترض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب يا أيها الذي نزل عليك الذكر انك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أي ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

لا دين أحب الى ولا أرضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آدب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأمر به من أوامر الله و ينتهى عنه من مناهى الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ من ذلك ماروى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس * عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود * وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل الناس ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم باهله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم الى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحاسنكم أخلاقا (ق) عن أنس رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ماقال لى أف قط ولا قال لشئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ومامسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد فى رواية و يجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له أخرجه الترمذى (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا أن يجاهد فى سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه أعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يامحمد مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء (ق) عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا أباعمير مافعل النغير النغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا أنه أحمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان يكون فى مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ و يخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى

(فستبصر و يبصرون) أى عن قريب ترى و يرون وهـذا وعدله ووعيد لهم (بايكم المفتون) المجنون لانه فتن أى محن بالجنون والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول أى بايكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا وتقديره فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام أو فريق الكفر (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد أرادوا أن يعبدوا الله مدة وآلهتهم مدة و يكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمنى لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير فى الرأى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة أو كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدى (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالم (زنيم) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روى انه دخل على أمه وقال ان محمدا وصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فى فاما الزنيم فلا علم لى به فان أخبرتنى بحقيقته والا ضربت عنقك فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع أى ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا و يجوز أن يتعلق بما بعده أى لان كان ذا مال (و بنين) كذب باياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال

الله عليه وسلم أخرجه الترمذى ﴿قوله تعالى (فستبصر) أى يا محمد (و يبصرون) يعنى أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى فى معناه فستبصر و يبصرون فى أى الفريقين المجنون فى فريقك أو فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعنى مشركى مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل ادهن الرجل فى دينه وداهن فى أمره خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية انهم تمنوا أن تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك و يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم و يلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو أن تعبد آلهتهم مدة و يعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف بالباطل (مهين) أى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) أى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز باخيه فى المجلس (مشاء بنميم) أى فتان يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أى ظلوم يتعدى الحق (أثيم) أى فاجر يتعاطى الاثم (عتل) أى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا فى النار دفعة واحدة (بعد ذلك زنيم) أى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعى الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة (أن كان ذا مال و بنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال و بنين أى لا تطعه لماله وبنيه وقرئ أأن كان ذا مال و بنين بالاستفهام ومعناه ألان كان ذا مال و بنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال

أساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أأن حمزة وأبو بكر اى لان كان ذا مال كذب ان شامي و يزيد و يعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من عدله أن يجزى المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف

(كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة و يتصدق بالباقي على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذ اقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله لأخرج الا أن يشاء الله

(فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وهم نائمون) أى في حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) أى كالليل المظلم أى احترقت فاسودت أو كالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها فتنادوا مصبحين نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه أو ضمن الغدو معنى الاقبال أى فاقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) أى الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين أى لا تمكنوا من الدخول (وغدوا على حرد) على جد في المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع كذا عن نفطويه أو الحرد القصد والسرعة أى وغدوا قاصدين الى

أساطير الاولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذا مال وبنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه أى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها وقد ألحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوصم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه ۞ وقوله تعالى (انا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر أيضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل فتحالفوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) أى تحالفوا (ليصرمنها) أى ليقطعن ثمرها (مصبحين) أى اذا أصبحوا قبل أن يخرج اليهم المساكين وقبل أن يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) أى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) أى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى (فأصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما أصبحوا (أن اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزرع والاعناب (ان كنتم صارمين) أى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) أى مشوا اليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على جنتهم

اثمارها

جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين أوهو علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فلما رأوها) أى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولى وأقروا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم أفنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) أى ان ما تختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون أن لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه (٧) وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) نعت أيمان ويتعلق

(٧) قوله وانما كسرت اللام لعله لمجيء اللام اه

أثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد (فلما رأوها) أى رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) أى لمخطئون الطريق وأضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) أى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أى أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بأنه لا يقدر أحد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لا يتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) أى بمنعنا المساكين حقوقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا (قالوا ياويلنا) دعوا على أنفسهم بالويل (انا كنا طاغين) أى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ۞ ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا **يعلمون**) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) أى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطى أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أى نزل من عند الله (فيه) أى فى ذلك الكتاب (تدرسون) أى تقرؤن (ان لكم فيه) أى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) أى تختارون وتشتهون (أم لكم أيمان علينا بالغة) معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا

وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لايشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا أنه لايشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون بذلك أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله فى حديث أبى سعيد أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها معنى رأوه فيها أى علموها صفته المعلومة للمؤمنين وهى أنه لايشبهه شئ وقولهم نعوذ بالله منك لانشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمنا وهى من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابى فيحتمل أن يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه أى عن قدرته التى تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ماروى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامى يأتى باحاديث منكرة لايتابع عليها وموالى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففى اسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو مايتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غالب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلايبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا أذن الله له فى السجود ولايبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أى فقارة واحدة كالصفيحة فلايقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد ازال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة أى تزلق فيه الاقدام ولاتثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شئ أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس أى يلقى ويسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح أن معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لايتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أونية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا أى صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط

كازعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده (ويدعون) أى الكفار ثمة (الى السجود) لاتكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (أبصارهم) أى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) أى وهم أصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرنى) يقال ذرنى واياه أى كله الىّ فانى أكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل أمره الىّ وخل بينى وبينه فانى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علىّ فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا

أى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى (من حيث لا يعلمون) من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج وتلا الآية (وأملى لهم) وأمهلهم (ان كيدى متين) قوى شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان أمهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) أى لولا أن الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء

هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة قوله قد عادوا حمما أى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة جمع فوهة وهى أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى رقابهم أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم ۞ قوله تعالى (ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصى البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعنى انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة ۞ قوله عز وجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الىّ فانى أكفيك اياهم (سنستدرجهم) أى سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنبا أن يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملى لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا أعاجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) أى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب (أم تسألهم أجرا) أى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى أتطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) أى اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذ نادى) ربه أى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) أى

اطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا تداركه نعمة من ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أي بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالثة لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب أي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه (فجعله من الصالحين) أي النبيين * قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى ان كانت الناقة أو البقرة لتمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أراد أنهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني أو يكاد يهلكني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم (وما هو) يعني القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفاسترقي لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى أن الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شئ الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله أعلم

(تفسير سورة الحاقة)

مكية وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفا

(وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وبفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بابصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني أنهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أي ذكره عليه السلام وما هو أي محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم

(سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية)

(بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لاريب فيها من حق يحق بالكسر أي وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ماهي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أي حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) يعني انك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية المخلوقين ومارفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانها مفعول ثان لادري (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت

بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعاقبة أي بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح) أي بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عاتية) شديدة العصف أوعتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أي متتابعة لاتنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) في مهابها أو في الليالي والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصري وعلي أي ومن عنده من أتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهي ائتفكت أي انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو بالافعال ذات الخطأ العظيم (فعصوا) أي قوم لوط

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحاقة) يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لاريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أي شيء هي الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أي انك لاتعلمها اذلم تعاينها ولم تر مافيها من الاهوال على انه من العظم والشدة أمر لاتبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عاتية) أي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ماخرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أي أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لاباتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هي الايام التي سماها العرب العجوز لانها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتي في عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوم لانها تحسم الخير عن أهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والايام (صرعى) أي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أي من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم أحد قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا

رسول ربهم) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الاثنين جميعا (فأخذهم أخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (حملناكم في الجارية) يعني حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية أي السفينة التي تجري في الماء (لنجعلها) أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) أي عبرة وموعظة (وتعيها) أي تحفظها (أذن واعية) أي حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل (فاذا نفخ في الصور نفخة) واحدة يعني النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) أي رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) أي كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) أي ضعيفة لتشققها (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤسهم يعني الحملة (يومئذ) أي يوم القيامة (ثمانية) يعني ثمانية أملاك وجاء في الحديث انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه انسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شئ من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث برصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود باسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة و بعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانيه أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شئ * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض

(يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا و بالياء كوفي غير عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فأما) تفصيل للعرض (من أوتي كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل أي خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابي اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها في المصحف (اني ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (أني ملاق حسابيه) معاين حسابي (فهو في عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (في جنة عالية) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من يدها يناولها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا أذى أو هنئتم هنيئا على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصائمين أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أي ياليتني لم أعلم ما حسابي (ياليتها) ياليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لامري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى

مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال حملة العرش قرون ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (فأما من أوتي) أي أعطي (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أي تعالوا (اقرؤا كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله وأقربائه (اني ظننت) أي علمت وأيقنت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام (أني ملاق حسابيه) أي في الآخرة والمعنى اني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة (فهو في عيشة راضية) أي في حالة من العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب (في جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) أي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا (كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أي بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) أي الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول ياليتني لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) أي لم أدر أي شيء حسابي لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له (ياليتها كانت القاضية) تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيا

(ماأغنى عنى ماليه) أى لم ينفعنى ماجمعته فى الدنيا فانى والمفعول محذوف أى شيأ (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس و بقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) أى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه يعنى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم أى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين و يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فانخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين و وصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت أنى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال و وصفهم بالكفر بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز ان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا الخاطؤن) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب (فلا أقسم بما تبصرون) من الاجسام والارض والسماء (وما لا تبصرون) من الملائكة والارواح فالحاصل انه أقسم بجميع الاشياء فيه

بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده أكره منه اليه أى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت (ماأغنى عنى ماليه) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيأ (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس و بقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه) أى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) أى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعها) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها (سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك و بين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رضاضة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاض الحصباء الصغار وقوله مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو أشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ❁ وقوله تعالى (فاسلكوه) أى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) أى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية أدركت أقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يامر أهله بتكثير المرقة لاجل المساكين و يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثانى بالاطعام (فليس له اليوم ههنا حميم) أى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه و يشفع له (ولا طعام الا من غسلين) يعنى صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله أهل النار (لا يأكله الا الخاطؤن) أى الكافرون ❁ قوله عز وجل (فلا أقسم) قيل ان لا صلة والمعنى أقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم ❁ وقوله (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعنى بما ترون وتشاهدون و بما لا ترون وما لا تشاهدون أقسم بالاشياء كلها فيدخل

(انه) أي ان القرآن (لقول رسول كريم) أي محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام أي يقوله و يتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما

فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون أي ما في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ۞ ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول أصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بها محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم أهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت أما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به وأما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما أراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به من ان يقول عن الله تعالى ۞ وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعني أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم ايمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) أي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعني لا تتذكرون البتة (تنزيل) أي هو تنزيل يعني القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال ۞ قوله تعالى (ولو تقول علينا) أي اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعني أتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لأخذنا منه باليمين) أي لأخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أي بالحق قال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين أي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد أن يهينه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد منه أنه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى أنه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه و يظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما أن نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى أن محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه أنه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وانه) يعني القرآن وذلك أنه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى (لتذكرة) أي عظة (للمتقين) أي لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم أن منكم

مكي وشامي ويعقوب وسهل و بتخفيف الذال كوفي غير أبي بكر والقلة في معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أي لا تنبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) ولو ادعى علينا شيأ لم نقله (لاخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة

(عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصفا لأحد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم أن منكم

مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) بالمكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله ﴿سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿(سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أو هو النبي

صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همزة مدني وشامي وهو من السؤال أيضا الا أنه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب أي بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذي المعارج) أي مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء علي (الملائكة والروح) أي جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا أو أرواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (في يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار أو لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر

مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعني القرآن (لحسرة على الكافرين) يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه أنه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة سأل سائل﴾

وتسمى المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول أنه لغة في السؤال والثاني أنه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أي عن عذاب (واقع) أي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أي هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة لان العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) أي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذي المعارج) قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وانما أفرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضي أن الروح أعظم الملائكة (اليه) أي الى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا والمعنى أنه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة أو أقل من ذلك وذكر أن مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون

(فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النصر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) أي العذاب أو يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان و بالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا أي يمكن في ذلك اليوم أو هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردي الزيت أو كالفضة المذابة في تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزي والبرجمي بضم الياء أي لا يسئل قريب عن قريب أي لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة أي حميما مبصرين معرفين اياهم أو مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهو ضمير الحميم الثاني أي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدي من عذاب يومئذ) و بالفتح مدني وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين (التي تؤويه) تضمه انتماء اليها وبغير همز يزيد (ومن في الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدي (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه عن أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة

غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وقال عطاء و يفرغ الله تعالى منها في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) أي يا محمد على تكذيبهم اياك (صبرا جميلا) أي لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (أنهم يرونه) أي العذاب (بعيدا) أي غير كائن (ونراه قريبا) أي كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون السماء كالمهل) أي كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات ألوان أحمر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) أي لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة أو لا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أي يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن أو انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم و يبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أي يعرفونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) أي يتمنى المشرك (لو يفتدي من عذاب يومئذ) أي عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) أي زوجته (وأخيه وفصيلته) أي عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقربائه الاقربين (التي تؤويه) أي تضمه و يأوي اليها (ومن في الارض جميعا) يعني انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدي بهم جميعا (ثم ينجيه) أي ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال تعالى (انها

(لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة او على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان أو على هي نزاعة (للشوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت (تدعو) باسمائهم يا كافر يا منافق الى الى أو تهلك من قولهم دعاك

الله أي أهلكك أو لما كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد ابن عبدالله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلواتهم) أي صلواتهم الخمس (دائمون) أي يحافظون عليها في مواقيتها عن ابن مسعود رضي الله عنه

لظى) يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى أي تلتهب (نزاعة للشوى) يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه (تدعو) يعني النار الى نفسها (من أدبر) أي عن الايمان (وتولى) أي عن الحق فتقول له الي الي يا مشرك الي يا منافق الي الي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أي تعذب قال اعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله (وجمع فأوعى) يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعني اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل أراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء بالجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلاتهم دائمون) يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل وأما الامور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها وأما الامور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة وخوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى أحوالها وهيآتها وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة (للسائل) يعني الذي يسأل الناس (والمحروم) يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات

(والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي بيوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبي عمرو أي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء

كما

(والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي اماءهم (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) أي غير الزوجات والمملوكات (فاولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لاماناتهم مكي وهي تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وعهدهم) أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) حفص وبالالف سهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوي على الضعيف اظهارا للصلابة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلواتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم أو لان احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها أداؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أولئك) أصحاب هذه الصفات (في جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضي الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) أي من النطفة المذرة ولذلك أبهم اشعارا بانه منصب يستحي من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم أو معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل أحد الجنة الا بالايمان فلم يطمع أن يدخلها من لا ايمان له (فلا أقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (انا القادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين

كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي أن يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره في سورة المؤمنين ۞ قوله تعالى (والذين بشهاداتهم قائمون) أي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا أنه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له وهذا عطف عليها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفته (في جنات مكرمون) ۞ قوله تعالى (فمال الذين كفروا) أي فما بالهم (قبلك مهطعين) أي مسرعين مقبلين اليك مادي أعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات في تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا النبي (كلا) أي لا يدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) أي من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وشيء واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وأخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الآية انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعني وأقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه (انا القادرون على أن نبدل خيرا منهم) معناه انا القادرون على اهلاكهم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أي بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن

أطوارا) فى موضع الحال أى مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا أى تارات وكرات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر فى أنفسهم لانهم أقرب ثم على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة (والله أنبتكم من الارض) أنشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (اخراجا) أكده بالمصدر أى أى اخراج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة (قال نوح رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) أى الرؤساء وأصحاب الاموال والاولاد وولده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كاسد وأسد (الاخسارا) فى الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح ماتوا وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وقالوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لاتذرن آلهتكم) على العموم أى عبادتها (ولاتذرن ودا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على صورة رجل (ولاسواعا) هو على صورة امرأة (ولايغوث) هو على صورة أسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لاينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا أعجميين (ونسرا) هو على صورة نسر أى هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون

أطوارا) يعنى تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لايشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بنى تميم وانما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعنى مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وأقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الارض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر أى انباتا وقيل تقديره أنبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهى انه لو قال أنبتكم انباتا كان المعنى أنبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثانى أولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) أى فى الارض بعد الموت (ويخرجكم) أى منها يوم البعث (اخراجا) يعنى اخراجا حقا لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) أى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة ۞ قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصونى) أى لم يجيبوا دعوتى (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعنى كبيرا وعظيما يقال كبير وكبار بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء القادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على أذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لاتذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعنى القادة للاتباع (لاتذرن آلهتكم) أى لاتتركن عبادتها (ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم وانما أفردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله لاتذرن آلهتكم لانهم كانت لهم أصنام هذه الخمسة المذكورة هى أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما

ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا) أى الاصنام كقوله انهن أضللن (كثيرا) من الناس أو الرؤساء (ولاتزد الظالمين) عطف على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال و بعد الواو

ماتوا كان أتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لوصورتم صورهم كان ذلك انشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد أما ود فكانت لكلب دومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد وأساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) أى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولاتزد الظالمين الاضلالا) يعنى ولاتزد المشركين بعبادتهم الاصنام الاضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان أعلمه الله انهم لايؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن وقيل انما أراد بالضلال فى أمر الدنيا ومايتعلق بها لافى أمر الآخرة (مماخطاياهم أغرقوا) أى بالطوفان (فادخلوا نارا) أى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) يعنى أحدا يدور فى الارض فيذهب ويجىء من الدوران وقيل أصله من الدار أى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الافاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم واعقم بعد ذلك أرحام النساء وأيبس أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة وأخبر الله نوحا انهم لايؤمنون ولايلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى أعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لى) وذلك أنه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لى يعنى ماصدر منى من ترك الافضل وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تاذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أولانه

النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال لاتزد الظالمين أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال (الاضلالا) هلاكا كقوله ولاتزد الظالمين الاتبارا (مماخطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو أى ذنوبهم (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مماخطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الامن أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ماوكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) أى أحدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام (انك ان تذرهم) ولاتهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولايلدوا الافاجرا كفارا) الامن اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك الامن قد آمن (رب اغفر لى

ولوالدى) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء وقيل هما آدم وحواء وقرئ لولدى يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مؤمنا) لانه علم أنه من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولا تزد الظالمين) أى الكافرين (الا تبارا) هلاكا فاهلكوا

ترك الاحتمال (ولوالدى) وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه شمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتى مؤمنا) أى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصفين به لانهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ فى الدعاء (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعا والله أعلم

﴿ تفسير سورة الجن ﴾

(وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا أنهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم الا الله تعالى وقيل انهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهى كونهم ٨ حاصلون فى الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولا يمتنع فى بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر أنواع الاجسام فى الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرط الحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور اتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿فصل﴾ اختلف الرواة هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وقد تقدم حديثه فى تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر

قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال أن لا تستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله أعلم ﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل) يا محمد (أوحى الى أنه) ان الامر والشأن أجمعوا على فتح أنه لانه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد للعطف على أنه استمع فان مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا لتعدى يعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدأ محكى بعد القول واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر عطفا على انه استمع أو على محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشرة (من الجن) جن نصيبين

فلما

(فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر
الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب (يهدي الى

الرشد) يدعو الى الصواب أو الى التوحيد والايمان (فآمنا به) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) من خلقه وجاز أن يكون الضمير في به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وأنه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان في عيني اذا عظم ومنه قول عمر أو أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يقول كفار الجن والانس (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا أو ابليس اذ ابليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت أو قولا يجور فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا أو مكذوبا فيه أو نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا ان أحدا لن يكذب على
الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما أضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من
الارض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا
انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما أوحي اليه قول الجن أخرجاه في الصحيحين قال
القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر
الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه وعلى
هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عز وجل بما أوحى اليه من قوله قل
أوحي الي أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب
والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق
بخلقتهم وبحالهم وان النبي صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين
ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا
الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان
لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم عكاظ
سوق معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الاسلام وتهامة كل
ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من أودية مكة
قريب منها وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل أوحي الي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لاصحابه
واقعة الجن وكما أنه مبعوث الى الانس فهو أيضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا
القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة
من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أي لما رجعوا الى قومهم (انا
سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدي الى
الرشد) أي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان (فآمنا به) أي بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا)
أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا
وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وأنه تعالى جد ربنا) أي جلال ربنا وعظمته ومنه قول
أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع
ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله
وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي انه تعالى جلال ربنا
وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن
كل نقص (وانه كان يقول سفيهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) أي كذبا وعدوانا وهو
وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط مجاوزة الحد في كل شيء (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على
الله كذبا) أي كنا نظن ان الانس والجن صادقون في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله
في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله ﴿ قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فأمسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد
هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوارهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن
كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى

فزادوهم) أي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس أو فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحظور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يا أهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وأنا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب أي كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أي يجد شهابا راصدا له ولاجله أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وانا لا ندري ان أشر) عذاب (أريد بمن في الارض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وانا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والقدد جمع قدة وهي القطعة من قددت السير أي قطعته (وانا ظننا) أيقنا (أن لن نعجز الله) أي لن نفوته (في الارض) حال أي لن نعجزه كائنين في الارض أينما كنا فيها

الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه ياسرحان أرسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة و يقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يعني الجن (كما ظننتم) أي يا معشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) يعني بعد الموت (وأنا) يعني تقول الجن وانا (لمسنا السماء) أي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعني من الملائكة (شديدا وشهبا) أي من النجوم (وانا كنا نقعد منها) أي من السماء (مقاعد للسمع) يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث في الارض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) أي برمي الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد باهل الارض أم أريد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) أي المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) أي الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا أي سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) أي لن نفوته

(ولن نعجزه هربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وماهم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أي ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على ان العمل ليس من الايمان (وأنا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحرى طلب الاحرى أي الاولى (وأما القاسطون فكانوا) في علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على ان الجنى الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم (وأن) مخففة من الثقيلة يعني وانه وهي من جملة الموحى أي أوحى الى أن الشأن (لو استقاموا) أي القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ماخولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) بالياء عراقي غير أبي بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد العذاب أي يعلوه و يغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ماتصعدني شئ ماتصعدتني خطبة النكاح أي ماشق على (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي أوحى الى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا أي (فلا تدعوا مع الله أحدا) في المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان

ان أرادبنا أمرا (ولن نعجزه هربا) أي ان طلبنا فلن نعجزه أينما كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) أي لما سمعنا القرآن آمنا به و بمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أي نقصا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا (فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) يعني الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعني وقود النار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار ۞ قوله عزوجل (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لاسقيناهم ماء غدقا) أي لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وأن لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد مارفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا به وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول أصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الآية في الانس أولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) أي ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة ۞ قوله تعالى (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم و بيعهم أشركوا بالله فيها فامر الله عزوجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وأن المساجد لله وروى عنه أيضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي

(وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره وأوحى الى انه لما قام عبد الله (يدعوه) يعبده و يقرأ القرآن ولم يقل نبي الله أو رسول الله لانه من أحب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع أو لان عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله (قل انما أدعو ربى) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا أشرك به أحدا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قل انى لا أملك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا أو أراد بالضر الغي بدليل قراءة أبى غيا ولا رشدا يعنى لا أستطيع أن أضركم

وان أنفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) لن يدفع عنى عذابه أحد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته (وان أجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من لا أملك أى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى اعتراض لتأكيد الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به يعنى لا ينجينى الا أن بلغ عن الله ما أرسلت به فان ذلك ينجينى وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا أبلغ بلاغا أى ان أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا الى كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كانه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات أى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا القول اليه وان أبلغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هى بمنزلة من فى براءة من الله أى بلاغا كائنا من الله (ومن يعص الله ورسوله) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لانه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وحد فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى (اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون أى الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قل ان أدرى) ما أدرى (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربى) و بفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أمدا) غاية بعيدة يعنى انكم تعذبون قطعا ولكن لا أدرى أهو حال أم مؤجل

يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه و ركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعضاء وأن لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء على الجبهة وأشار بيده الى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كف شعره عقصه وغرز طرفه فى أعلى الضفيرة وقد نهى عن ذلك ﴿قوله عز وجل (وانه لما قام عبد الله) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعنى يعبد الله و يقرأ القرآن وذلك حين كان يصلى الفجر ببطن نخلة (كادوا) يعنى الجن (يكونون عليه لبدا) يعنى يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه أيضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به فى الصلاة وقيل فى معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذى جاءهم به و يطفؤا نور الله فأبى الله الا أن يتم نوره و يظهر هذا الامر و ينصره على من ناواه وعاداه وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض (قال) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر (انما أدعو ربى) وذلك ان كفار مكة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انما أدعو ربى (ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أى لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوى هو الله تعالى (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) أى لن يمنعنى منه أحد ان عصيته (وان أجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ ألجأ اليه وقيل حرزا أحترز به وقيل مدخلا فى الارض مثل السرب أدخل فيه (الا بلاغا من الله ورسالاته) أى ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذى يجيرنى من عذاب الله يعنى التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذى أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما أنا مرسل لا أملك الا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعنى ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون) يعنى العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) أى عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل ان أدرى) أى ما أدرى (أقريب ما توعدون) يعنى العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربى أمدا) أى أجلا

وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عالم الغيب) أى هو عالم ما غاب عن العباد (فلا يظهر) أى فلا يطلع (على غيبه) أى الغيب الذى يعلمه وانفرد به (أحدا) أى من الناس ثم استثنى فقال تعالى (الا من ارتضى من رسول) يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا ابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فاما الزمخشرى فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغى أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لا دلالة فيها على شئ من ذلك الذى تدل عليه أن قوله فلا يظهر على غيبه أحدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه أن لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى فى الآية دلالة على انه لا يظهر شيأ من الغيب لاحد ثم انه يجوز أن يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب أهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز أن يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وان يكن فى أمتى أحد فانه عمر بن الخطاب أخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى أن يدعى خرق العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا أيضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه وأما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى أعلم ۞ وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) أى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات (رصدا) أى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا أتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) أى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (أن) أى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم وأن الله قد

(عالم الغيب) هو خبر مبتدا أى هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة على ان كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق (فانه يسلك) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى (ليعلم) الله (أن

قد أبلغوا) أي الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم أي ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير في من بين يديه للفظ من وجمع في أبلغوا للمعناه (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (وأحصى كل شيء عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أي

حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله أن الرسل (قد أبلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب (وأحاط بما لديهم) أي علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شيء من أمورهم (وأحصى كل شيء عددا) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة المزمل﴾

﴿هي مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير آية وهي ان ربك يعلم أنك تقوم الآية وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها المزمل) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني زملوني حتى أنس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا أيها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة أي حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه أمر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في أول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا أيها المزمل (قم الليل) أي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام (الا قليلا) أي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) أي قم نصف الليل (أو انقص منه قليلا) أي الى الثلث (أو زد عليه) أي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل أو متى نصفه أو متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ما تيسر منه قيل ليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها ونزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم المؤمنين قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ۞ وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بينه بيانا وعنه أيضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعا وخمسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا أثره في أثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد في الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر في حقائق الآيات ومعانيها فعند

وعلم كل شيء معدودا محصورا أو مصدر في معنى احصاء والله أعلم

﴿سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية﴾ وهي تسع عشرة آية بصري وثمان عشرة شامي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أي المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها بادغام التاء في الزاي وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل الا قليلا نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل (أو انقص منه) من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة (قليلا) الى الثلث (أو زد عليه) على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والا فاطلاق لفظ قليل ينطلق على مادون النصف ولهذا قلنا اذا أقر أن لفلان عليه ألف درهم الا قليلا انه يلزمه أكثر من نصف الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل أي المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أي مرتل وثغر رتل أيضا اذا كان مستوى البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد في ايجاب الامر به وانه لابد منه للقارئ

الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

﴿فصل﴾ (خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن أم سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائى * وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية أبى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال انى لاقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذ الشعر ان أقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان أفضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذى وللنسائى عن أبى ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل قراءته ولا يتأجله أخرجه أبو داود وزاد غيره فى رواية لا يجاوز تراقيهم * عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا فكل حسن وسيجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود * عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ﴿ قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شئ له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا أى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه أنه قول مبين فى صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت أنه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحى يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى

(انا سنلقى عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو ثقيلا على المنافقين أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

(ان ناشئة الليل) بالهمزة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل (٣٤٦) لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هى أشد وطاء) وفاقا شامى وأبو عمرو أى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تبتيلا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد أى بتلك الله فتبتل تبتيلا أو جئ به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع أى هو رب أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كقولك والله لا أحد فى الدار الا زيد (فاتخذه وكيلا) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر أو اذا علمت انه اليه

مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه وفى رواية كان اذا نزل عليه الوحى عرفنا ذلك فى فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه وقوله فيفصم أى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ماقال أى حفظت وقولها ليتفصد عرقا أى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد وقوله تربد وجهه الربدة فى الالوان غبرة مع سواد ﴿ وقوله تعالى (ان ناشئة الليل) أى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن أبى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الامور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين بن على بن الحسين أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه (هى أشد وطأ) قرئ بكسر الواو مع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أى أشد على المصلى وأثقل من صلاة النهار ولان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هى أشد وطأ يقول هى أجدر أن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك أن الانسان اذا نام لايدرى متى يستيقظ وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هى أوطأ للقيام وأسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قيلا) أى أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه أبين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل أشد نشاطا وأتم اخلاصا وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ فى الثواب وأدخل فى القبول (ان لك فى النهار سبحا طويلا) أى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك أفضل من الليل (واذكر اسم ربك) أى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل اليه تبتيلا) قال ابن عباس أخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا ومافيها والتماس ماعند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شئ وأقبل على العبادة قد تبتل أى انقطع عن كل شئ الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل فى تبتل أن يقال بتلت تبتيلا وتبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا أنه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه (رب المشرق والمغرب) يعنى ان التبتل والانقطاع لا يليق الا لله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب (لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) أى فوض أمرك

ملك المشرق والمغرب وأن لا اله الا هو فاتخذه كافيا لامورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد ان عرفت في تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار (واصبر على ما يقولون) على ما يقولون في من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا جميلا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرني) أي كلهم الي فانا كافيهم (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرني أي دعني واياهم (أولي النعمة) التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم بدر أو الى يوم القيامة (ان لدينا) للكافرين في الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) أي الذي ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه الى القلب وروي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما في لدينا من معنى الفعل أي استقر للكفار لدينا كذا وكذا (ترجف الارض والجبال) أي تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا أرسلنا اليكم رسولا) يعني محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أي ذلك الرسول اذ النكرة اذا أعيدت معرفة كان الثاني عين الاول (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون أي كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم أو ظرف أي فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أي كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف أي فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال

اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء (واصبر على ما يقولون) أي من التكذيب لك والاذى (واهجرهم هجرا جميلا) أي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال (وذرني والمكذبين) أي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني أكفيكه (أولي النعمة) أي أصحاب النعم أو الترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل أراد بالقليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (ان لدينا) أي عندنا في الآخرة (أنكالا) يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) أي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أي وجيعا (يوم ترجف الارض والجبال) أي تزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) يعني رملا سائلا وهو الذي اذا أخذت منه شيأ تبعك ما بعده (انا أرسلنا اليكم) يعني يا أهل مكة (رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فأخذناه) أي فرعون (أخذا وبيلا) أي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم أي في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شئ تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم في الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحد ثم قال أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور

(السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا أي السماء على عظمها واحكامها تنفطر به أي تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر وقوله به أي بيوم القيامة يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم أو الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائنا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل فاستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثي الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكي وكوفي ومن جرهما عطف على ثلثي (وطائفة) عطف على الضمير في تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أي ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفي ذلك حرج (فتاب عليكم) فخفف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) في الصلاة والامر للوجوب وذلك أو في غيرها والامر للندب (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرأ مائتي آية في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لانه بعض أركانها أي فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين

الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهي الاثرة في باطن عضد الحمار وقوله اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة وشطر أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع أهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهي ان ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان أسرع فيه الشيب قال المتنبي والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم * فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة أيضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى أي بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) أي كائنا لا محالة فيه ولا خلف (ان هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) أي مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة ۞ قوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أي أقل من ثلثي الليل (ونصفه وثلثه) أي تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعني ان العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه (علم أن لن تحصوه) يعني أن لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم أن لن تحصوه أي ان تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة

(علم أن سيكون منكم) أن مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون في الارض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة أوطلب العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رجل أضرب في الارض أبتغي من فضل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم (وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه) أي ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز ان لم يقع بين معرفتين لان افعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) وأجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيآت والتقصير في الحسنات (ان الله غفور) يستر على أهل التقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على مايشاء قدير والله أعلم

وذلك لان القراءة أحد أجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ماتيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفي بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقرؤا ماتيسر من القرآن دراسة وتحصيل حفظه وان لايعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي باسناده عن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أوليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر ذكره الشيخ محيي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يارسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت يانبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يانبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون في الارض) يعني المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة فلولم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) أي من القرآن وانما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة (وآتوا الزكوة) أي الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن أكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) أي ثوابه وأجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يارسول الله مامنا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا مانعلم الا ذلك يارسول الله قال مامنكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا كيف يارسول الله قال انما مال أحدكم ماقدم ومال وارثه ما أخر (واستغفروا الله) أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل (ان الله غفور رحيم) أي لجميع الذنوب والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة المدثر ﴾

﴿ وهي مكية قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (يا أيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وأيضا قوله ثم حمي الوحي بعد وتتابع فالصواب ان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وان أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاء بن مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله حمي الوحي بعد وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله وصبوا علي ماء فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم ﴿وأما التفسير فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل معناه يا أيها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا (قم فانذر) أي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك

عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أر شيأ فنظرت فوقي فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة وقلت دثروني دثروني فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يا أيها المدثر) أي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر فادغم (قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا أو فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عندما يعروك من غير الله أكبر وروي أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك

فطهر) فيه أربعة أوجه أحدها أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني أن ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز * أما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين * الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك أن الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره * وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال (ولا تمنن تستكثر) يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من أعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد أن يتواضع لذلك الذي أعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما رباآن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه أكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيأ لمجازاة الدنيا أعط لله وأرد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك في عينك فانه فيما أنعم الله به عليك وأعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك أجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أي على طاعته وأوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما أوذيت فيه وقيل معناه انك حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا نقر في الناقور) أي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أي شديد (على الكافرين) يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم (غير يسير) أي هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة

فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى في غير الصلاة أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدي اليه (فاهجر) أي اثبت على هجره لانه كان بريئا منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا أكثر مما أعطيت فانك مأمور باجل الاخلاق وأشرف الآداب وهو من منّ عليه اذا أنعم عليه وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهي (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا نقر في الناقور) نفخ في الصور وهي النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء في فاذا للتسبيب وفي فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أمرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في فاذا ما دل عليه الجزاء أي فاذا نقر في الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا

(ذرني ومن خلقت) أي كله الى يعني الوليد بن المغيرة وكان يلقب في قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيدا) حال من الياء في ذرني أي ذرني وحدي معه فاني أكفيك أمره أو من التاء في خلقت أي خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أي خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء وكان له

التكرار للتأكيد كقوله أنا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين ﴿ قوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا) أي خلقته في بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد والمعنى ذرني واياه فانا أكفيكه نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا أغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) أي يرجو (أن أزيد) أي أزيده مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أي لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) أي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة ومنكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأخشه (سأرهقه صعودا) يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها ﴿ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا ﴿ قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس الى

الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثم يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر وقال الحسن أن أزيد أي أدخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لأوتين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه أي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر

لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفي الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعني انه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقول وهيأه

جنب

(فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بان الدعاء الثاني أبلغ من الاول (ثم نظر) في رجوه الناس أو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (و بسر) زاد في التقبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفي مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم في المعطوفات لبيان أن بين الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ما هذا (الاسحر يؤثر) يروى عن السحرة روى ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (ان هذا الاقول البشر) لم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى (سأصليه) سأدخله بدل من سارهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ماسقر) تهويل لشأنها (لاتبقى) أي هي لاتبقى لحما (ولا تذر) عظما أو لاتبقى شيأ يبقى فيها الا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدا محذوف أي هي لواحة (للبشر) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد أي مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) أي يلي أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا

جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يا ابن أخي فقال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك و يزعمون أنك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا و ولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجالس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة اصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام (ثم نظر) أي في طلب مايدفع به القرآن و يرده (ثم عبس وبسر) أي كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شئ يدبره (ثم أدبر) أي عن الايمان (واستكبر) أي حين دعي اليه (فقال ان هذا) أي الذي يقوله محمد و يقرؤه (الاسحر يؤثر) يروى و يحكى عن السحرة (ان هذا الاقول البشر) يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) أي سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ماسقر) أي وما أعلمك أي شئ هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لاتبقى ولاتذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعني وأعرض عني وقيل لابد من الفرق والالزم التكرار فقيل معناه لاتبقى أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لاتذر من لحوم أولئك شيأ الا أكلته وأهلكته وقيل لايموت فيها ولايحيا أي لاتبقى من فيها حيا ولاتذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لاتبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لاتبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أي مغيرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم اسمع من ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم يعني الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن تبطش بواحد منهم يعني خزنة

(وماجعلنا أصحاب النار) أى خزنتها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وماجعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة أى وماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب فى الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الاان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا انه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم **بذلك** كما صدقوا سائر ما أنزل **أو** يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب **أولئك** (ولا يرتاب الذين **أوتوا** الكتاب والمؤمنون) **هذا** عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

استعارة

جهنم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى أنتم اثنين ويروى عنه أنه قال أنا أمشى بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة) يعنى لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وماجعلنا عدتهم) أى عددهم فى القلة (الافتنة للذين كفروا) أى ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هى قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل هذه الحكمة وماسوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شئ قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعنى أن هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعنى من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا فى كتابهم وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أى ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعنى فى عددهم وانما قال لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك أبلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والكافرون) أى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين فى قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعنى أى شئ أراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه

(كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ماقالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله أمالرب محمد أعوان الا تسعة عشر نزل (ومايعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الاهو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لاتعلمونها (وماهى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وماسقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى أى لاحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لانظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى أى انها لاحدى الدواهى انذارا كقولك هى احدى النساء عفافا وأبدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) لى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى (كل نفس بما كسبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لوقصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) أى أطفال المسلمين لانهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما تخلص الراهن رهنه باداء الحق (فى جنات) أى هم فى جنات لا يكتنه وصفها

استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكاره هذا من أصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسموه مثلا (كذلك) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (ومايعلم جنود ربك الاهو) هذا جواب لابى جهل حين قال أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزانة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) أى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذ أدبر) أى ولى ذاهبا وقيل أدبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرنى فلان أى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر بشئ أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر ۞ قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) أى هم

(وما جعلنا أصحاب النار) أي خزنتها (الا ملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الا فتنة) أي ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا انه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم **بذلك** كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب **أولئك** (ولا يرتاب الذين **أوتوا** الكتاب والمؤمنون) **هذا** عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دال على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

استعارة

جهنم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين ويروى عنه أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) يعني لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) أي عددهم في القلة (الا فتنة للذين كفروا) أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل هذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شيء قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعني أن هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا في كتابهم وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أي ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعني في عددهم وانما قال لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون) أي مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه

(كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ماقالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله أمالرب محمد أعوان الاتسعة عشر نزل (ومايعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الاهو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لاتعلمونها (وماهى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وماسقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لايتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى أى لاحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لانظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى أى انها لاحدى الدواهى انذارا كقولك هى احدى النساء عفافا وأبدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) الى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ماأمر وعما نهى (كل نفس بما كسبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لوقصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عندالله غير مفكوك (الاأصحاب اليمين) أى أطفال المسلمين لانهم لاأعمال لهم يرهنون بها أو الاالمسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق (فى جنات) أى هم فى جنات لايكتنه وصفها

استعارة من المثل المضروب لانه مماغرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من أصله وانه ليس من عندالله فلهذا سموه مثلا (كذلك) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (ومايعلم جنود ربك الاهو) هذا جواب لابى جهل حين قال أمالمحمد أعوان الاتسعة عشر والمعنى ان الخزانة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لايعلم عددهم الاالله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهى) يعنى النار (الاذكرى للبشر) أى الاتذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الاتذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أى لايتعظون ولايتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذ أدبر) أى ولى ذاهبا وقيل أدبر بمعنى أقبل تقول العرب دبر فى فلان أى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ماأنذر بشئ أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه ياأيها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر ۞ قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الاأصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولاأبالى وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) أى هم

آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دليله (أيحسب الانسان) أي الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب (بلى) أوجبت ما بعد النفي أي بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت (على أن نسوي بنانه) أصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فإذا برق البصر) تحير فزعا وبفتح الراء مدني شخص (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه أو غاب من قوله فخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أي جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو جمعا في ذهاب الضوء أو يجمعان فيقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر أي الفرار من النار أو المؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ

وقيل إنه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكأنه قال أقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا أقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها فإن قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه إشكال قلت إن المحققين قالوا القسم بهذه الأشياء قسم بربها في الحقيقة فكأنه قال أقسم برب القيامة وقيل لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وقيل جواب القسم قوله (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) ومعنى أيحسب الانسان أيظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في أباعد الأرض أن لن نجمع عظامه أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الأخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والأخنس وذلك أن عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل أيحسب الانسان يعني هذا الكافر أن لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لأن العظام قالب النفوس ولا يستوي الخلق إلا باستوائها وقيل إنما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتأليفها وإعادتها إلى التركيب الأول والحالة والهيئة الأولى وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار فلا يقدر أن يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه أظن الكافر أن لن نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها إلى أماكنها ونؤلف بينها حتى تستوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب إلى الصواب وقيل إنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم به الخلق ۞ قوله تعالى (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال المتعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فإذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أي أظلم وذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول الانسان) يعني الكافر المكذب (يومئذ) أي يوم القيامة (أين المفر) أي المهرب وهو موضع الفرار (كلا) أي لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله (لا وزر) أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤا إلى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا ❊ الا السيوف وأطراف لقنا وزر

ومعنى الآية انه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيء وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الانسان على نفسه بصيرة) أي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو ألقى معاذيره) يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا ❁ قوله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم ان علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأ وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا أن نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا أن نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه أي نجمعه في صدرك وقرآنه أي تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحالة عليه لتعجل به أي بأخذه (ان علينا جمعه) أي جمعه في صدرك وحفظك اياه (وقرآنه) أي وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ أنت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي أصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا

(الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد أو موضع قرارهم من جنة أو نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (ينبأ الانسان يومئذ) يخبر (بما قدم) من عمل عمله (وأخر) مالم يعمله (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة أو أنثه لانه أراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه أو هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (ولو ألقى معاذيره) ولو أرخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) وثبات قراءته في لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) أي قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) أي قراءته عليك (ثم ان علينا

بيانه) أي أن نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل وقيل اذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان مافيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك ﴿قوله تعالى (كلا) أي حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهي الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق أن تنضر هي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى شيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة ❊ للورد طال بها حوزى وتنساسي

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل أن يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية وأما قوله أنظر الى الله ثم اليك على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا أسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

❊ فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة ❊ قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وأجوبتها مشهورة مستفاضة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك وأما الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ماروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون

بيانه) اذا أشكل عليك شيء من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكار لها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أنتم يابني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدني وكوفي (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها أو لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه أي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار في دار القرار

وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئى بالمرئى * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى مثل هذا الحديث عن أبى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم قوله عز وجل (ووجوه يومئذ باسرة) أى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (تظن) أى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (أن يفعل بها فاقرة) أن يفعل بها أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أى حقا (اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) أى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب (وظن) أى أيقن الذى بلغت روحه التراقى (أنه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) أى اجتمعت (الساق بالساق) أى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو أشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآخرة فكان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى (الى ربك يومئذ المساق) أى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم ۞ قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن

(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين (اذا بلغت) أى الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقيفة أى قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقى من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (أنه الفراق) ان هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه أى مساق العباد الى حيث أمر الله اما الى الجنة واما الى النار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه

(ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلا صدق ماله يعني فلا زكاه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء

ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) أي أعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتبختر ويختال في مشيته وقيل أصله يتمطط أي يتمدد من المطو وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه (أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى (ثم أولى لك فأولى) قال فقال أبو جهل أتتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيأ واني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله أشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) أي صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) أي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه (فجعل منه) أي من الانسان (الزوجين) أي الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) أي خلق من مائه أولادا ذكورا واناثا (أليس ذلك) أي الذي فعل هذا وأنشأ الاشياء أول مرة (بقادر على أن يحيي الموتى) أي بقادر على اعادته بعد الموت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود ✽ وله عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

✽ تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا ✽

وهي مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من أولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

✽ بسم الله الرحمن الرحيم ✽

قوله عز وجل (هل أتى) أي قد أتى (على الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه أجوف عرف انه خلق لا يتمالك قوله يطيف به أي يدور حوله فلما رآه أجوف أي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروي في تفسير الآية ان آدم بقي أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيأ مذكورا) أي لا يذكر ولا

عليه بان يليه ما يكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كانه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث وويل لك في النار (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر أن يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من مني يمنى) بالياء ابن عامر وحفص أي يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) أي صار المني قطعة دم جامد بعد أربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) أي من المني الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم

✽ سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية ✽

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيأ مذكورا) لم يعرف يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان أي أتى عليه حين من الدهر غير مذكور

(انا خلقنا الانسان) أي ولد آدم وقيل الاول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه في بطن أمه الى أن صار شيأ مذكورا بين الناس
(من نطفة أمشاج) نعت أو بدل منها أي من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجت ومزجت بمعنى ونطفة أمشاج كبرمة
أعشار فهو مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد (نبتليه) حال أي خلقناه مبتلين أي مريدين ابتلاءه بالامر والنهي له (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الهدى بادلة العقل والسمع (اما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حال من الهاء في هديناه أي ان شكر أو كفر فقد هديناه السبيل في الحالين أو من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكي وأبو عمرو وحمزة وبه لينا سب أغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب وغيرهم (وأغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (ان الابرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وهم الصادقون في الايمان أو الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون
من كأس) خمر فنفس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته و برده

يعرف ولا يدري ما اسمه ولا يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر وروى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه و يروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان) فالانسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام لم يذكروا بشيء انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم (من نطفة) أي من مني الرجل ومني المرأة (أمشاج) أي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت أي خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج (نبتليه) أي لنختبره بالامر والنهي (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها (انا هديناه السبيل) أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل و بعثة الرسل وانزال الكتب (اما شاكرا واما كفورا) يعني اما موحدا طائعا لله واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أي بينا له الطريق ان شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى (انا أعتدنا) أي هيأنا في جهنم (للكافرين سلاسل) أي يشدون بها (وأغلالا) أي في أيديهم تغل بها الى أعناقهم (وسعيرا) يعني وقودا لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (ان الابرار) يعني المؤمنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار و بر وأصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة (يشربون من كأس) يعني فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه و برده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون و يشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس

لهم أو السقاة جعلوها على قدر رى شار بها فهى ألذ لهم وأخف عليهم وعن مجاهد لاتفيض ولاتغيض (ويسقون) أى الابرار (فيها) فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة (مخلدون) لايموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لانه أزين فى النظر من المنظوم

تزيد ولاتنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) أى فى الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل فى شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيل * باتا بفيها وأريا مشورا

الارى العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس

فكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل ان شراب أهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ماذكر الله تعالى فى القرآن مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لايشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى أى توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى فى الخدمة وقيل مخلدون مسورون ومقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) يعنى فى بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم فى الخدمة ۞ قوله عز وجل (واذا رأيت) قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعنى الى الجنة (رأيت نعيما) أى لايوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو أن أدناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لايدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لازوال له ولا انتقال (عاليهم) أى فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل فى اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يعنى طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لايستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى أبدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) أى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم

(واذا رأيت ثم) ظرف أى فى الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولامقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره واذا اكتسبت الرؤية فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا يروى ان أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل ملك لايعقبه هلك أولهم فيها مايشاؤن أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم (عاليهم) بالنصب على انه حال من الضمير فى أنه يطوف عليهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب وبالسكون مدنى وحمزة على انه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع أخضر (واستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثانى أو عكسه غيرهم (وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفى سورة الملائكة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا أحد من أهل الجنة الا وفى يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) أضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فاذاهم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم أو لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لاعمالكم

(وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتاخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه على مساعدتهم على فعل ما هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا فى الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر أى لا تطع أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما لا عن طاعة أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى وقيل أو بمعنى ولا أى ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) و بعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) أى تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعبؤن به وهو يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) أحكمنا (أسرهم) أى خلقهم عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى اذا شئنا اهلاكهم أهلكناهم و بدلنا أمثالهم فى الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله

دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعده لهم فى الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أى شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات ۞ قوله عز وجل (انا نحن نزلنا عليك) أى يا محمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذى أنزله اليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التى حصلت له من قول الكفار انه سحر أو كهانة (فاصبر لحكم ربك) أى لعباداته فهى من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك فى تاخير الاذن فى القتال وقيل هو عام فى جميع التكاليف أى فاصبر لحكم ربك فى كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) يعنى وكفورا قيل أراد به أبا جهل وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة و بالكفور الوليد بن المغيرة وذلك أنهما قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة أنا أزوجك ابنتى وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصى أى معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع فى حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعنى صلاة الصبح وأصيلا يعنى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعنى صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعنى صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى فى جميع الاوقات فى الليل والنهار بقلبه و بلسانه ۞ قوله عز وجل (ان هؤلاء) يعنى كفار مكة (يحبون العاجلة) يعنى الدار العاجلة وهى الدنيا (و يذرون وراءهم) يعنى أمامهم (يوما ثقيلا) يعنى شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أى قوينا وأحكمنا (أسرهم) أى خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى اذا شئنا أهلكناهم وأتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) أى السورة (تذكرة) أى تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ) أى لنفسه فى الدنيا (الى ربه سبيلا) أى وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما تمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة

(وماتشاؤ ن) اتخاذ السبيل الى الله و بالياء مكي وشامي وأبو عمرو ومحل (الاأن يشاء الله) النصب على الظرف أي الاوقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا في الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (في رحمته) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا في رحمته لانه شاء ايمان الكل والله تعالى أن يدخل من

عن ا تقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال أهل السنة و يرد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية (وماتشاؤن الاأن يشاء الله) أي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد لجميع مايصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (ان الله كان عليما) أي باحوال خلقه ومايكون منهم (حكيما) أي حيث خلقهم مع علمه بهم (يدخل من يشاء في رحمته) أي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لابسبب الاستحقاق (والظالمين) يعني المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أي مؤلما والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة المرسلات﴾

مكية وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أونذرا) اعلم أن المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها * الاول أن المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي أرسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني أن الرياح اذا أرسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد في القلوب فيلجؤن الى الله تعالى و يذكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والمعرفة في القلوب عند هبوبها * الوجه الثاني ان المراد باسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا الملائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني أنهم اذا نزلوا الى الارض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز أن يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث أن المراد باسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعني أن آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة في قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعني آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني آيات القرآن وهي الذكر الحكيم الذي يلقي الايمان والنور في قلوب المؤمنين * الوجه الرابع أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه

يشاء في رحمته وهو الذي علم منه أنه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذابا أليما) نحو وعد وكافا

﴿سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أونذرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن باوامره فعصفن في مضيهن و بطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أونشرن الشرائع أونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين أونذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن و برياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله و يجعله كسفا فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله في الغيث و يشكرونها واما انذارا للذين لايشكرون و ينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات بالذكر باعتبار السببية عرفا حال أي متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا أومفعول له أي أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران أوعذرا أونذرا أبو عمرو وكوفي غير أبي بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من

ذ كرا أوعلى المفعول له (ان ماتوعدون) ان الذى توعدونه من مجيء يوم القيامة (لواقع) لـكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت أو ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) أى وقتت كقراءة أبى عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لاى يوم أجلت) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك مايوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى أصله مصدر منصوب سادمسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه نحو سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الاولين) الامم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة أى ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) من ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) أى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (الى قدر معلوم) الحال أى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو مافوقها أو مادونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (ألم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كانه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم أى تكفت أحياء لايعدون وأمواتا لايحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة

بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا أو نذرا أى للاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (ان ماتوعدون) أى من أمر الساعة ومجيئها (لواقع) أى لـكائن نازل لامحالة وقيل معناه ان ماتوعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) أى محى نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) أى شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) أى قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد أى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم أجلت) أى أخرت وضرب الاجل لجمعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما أدراك مايوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب ۞ قوله تعالى (ألم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش أى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) أى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لايعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير أى قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) يعنى وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعنى تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) أى فى الارض (رواسى شامخات) يعنى جبالا عاليات (واسقيناكم ماء فراتا) يعنى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى ان هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه

(والجبال أوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيأ وقادا أى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) أى السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض أو الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلأ (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع أو لفيف كشريف وأشراف أو لا واحد له كاوزاع أو هى جمع الجمع فهى جمع لف واللف جمع لفاء وهى شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل الى ألفافا والوقف الضرورى على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فى الصور) فى القرن (فتأتون أفواجا) حال أى جماعات مختلفة أو أمما كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفى أى شقت انظروا لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) أى هباء تخيل الشمس أنه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد أى هى حد الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أو هى مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها

و بساطا تستقر عليها الاقدام (والجبال أوتادا) يعنى للارض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة وأصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) أى غطاء وغشاء يستر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا أراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى أن يأتى أمر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أى وأنزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التى حان لها أن تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) أى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) أى ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أى ما ينبت فى الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات ألفافا) أى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) أى الحساب (كان ميقاتا) أى لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى النفخة الاخيرة (فتأتون أفواجا) يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعنى فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أى عن وجه الارض (فكانت سرابا) أى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) أى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال

(للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير في للطاغين حمزة لبثين واللبث أقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام في المكان (فيها) في جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا أريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التي عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب أخر فيها عذاب آخر وهي أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم أي لابثين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله (الا حميما وغساقا) استثناء منقطع أي لا يذوقون في جهنم أو في الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم حر النار أو نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما يأتي عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفي غير أبي بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقا) موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله اياهم أو لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال في معنى فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوبا في اللوح بالحساب أو حال أو مصدر في موضع احصاء أو أحصينا في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) في الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز يصلح مصدرا أي نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا)

انظروا فان كان له تطوع أكملت به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا أي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم (للطاغين) أي الكافرين (مآبا) أي مرجعا يرجعون اليها (لابثين فيها) أي في جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقابا قلت ذكروا فيه وجوها * أحدها ما روي عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروي عن عبد الله بن مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون فيها أي في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لا يذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أي روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أي يغنيهم عن عطش (الا حميما وغساقا) أي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي التي جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أي تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقد سألني اعرابي منهم يستفتيني الحلق أحب اليك أم القصار يريد التقصير (وكل شئ) أي من الاعمال (أحصيناه) أي بيناه وأثبتناه (كتابا) أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنا عالمون بجميع ما فعلوه من خير وشر وأنا أجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع العذاب أغيثوا بأشد منه

﴿ قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) أي فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على

كروماعطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستو يات فى السن (وكأساده اقا) مملوأة (لايسمعون فيها) فى الجنة حال من ضمير خـبران (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الـكسائى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضا أو لا يكاذبه (جزاء) مصدر أى جزاهم جزاء (من ر بك عطاء) مصدرأو بدل من جزاء (حسابا) صفة يعنى كافيا أو على حسب أعمالهم (رب السموات والارض ومابينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ر بك ومن رفعهما فرب خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن اوالرحمن صفته ولايملكون خبرأوهما خبر ان والضمير فى (لايملكون) لاهل السموات والارض وفى (منه خطابا) لله تعالى أى لايملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه أو لايقـدر أحد أن يخاطبـه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته ظرفا للا يملكون لاتقف على خطابا وان جعلتـه ظـرفا للا يتكلمون تقف (الروح) جبر يل عند الجهور وقيل هو ملك عظيم ماخلق الله تعالى بعـد العـرش خلقا أعظم منه (والملائكة صفا) حال أى مصـطفين (لا يتكلمون) أى الخلائق ثم خـوفا (الامن أذن له الرحـمن) فى الـكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لااله الا الله فى الدنيا أو لايؤذن الا لمن يتـكلم بالصـواب فى أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخـذ الى ر به ما ٓبا) مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرنا كم) أيها الـكفار (عذابا قر يبا) فى الآخرة لان ماهوآت قر يب (يوم ينظر المرء) الـكافر لقوله انا أنذرنا كم عذابا قر يبا (ماقدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحر يق ذلك بماقـدمت أيديكم وتخصيص الايدى لان أكثر الاعمـال تقع بها وان احتمل أن لايكون للايدى مدخل فيما ارتـكب من الآثام (و يقول الـكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لز يادة الذم أو المرء عام وخص منه الـكافر وماقدمت يداه ماعمل من خير وشر أو هو المؤمن لذكر الـكافر بعده وماقدم من خير وما استفهامية منصو بة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه أو موصولة منصو بة بينظر يقال نظرته يعنى نظرت اليه والراجع فى الصلة محذوف أى ماقدمته (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أ كلف أو ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيـل يحشر الله الحيوان غير المـكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الـكافر حاله وقيل الـكافر ابليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعـلم

تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تـكعبت ثديهن (أترابا) يعنى مستو يات فى السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوأة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لايسمعون) أى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لان أهـل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شر بهـم (لغوا) أى باطلا من الـكلام (ولا كذابا) أى تـكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ر بك عطاء حسابا) أى جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أى كافيا وافيا وقيل حسابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقـدر أعمالهم (رب السموات والارض ومابينهما الرحمن لايملـكون منه خطابا) أى لايقدر الخلق أن يكلموا الرب الا باذنه وقيل لايملكون منه خطابا أى لايملـكون شفاعة الا باذنه فى ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبر يل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائـكة ماخلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيام قام وحده صفا وقامت الملائـكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو فى السماء الرابعـة يسبح الله كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملـكا يجىء يوم القيامة صفا وحده وقيـل الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائـكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بنى آدم وماينزل من السماء ملك الا ومعـه واحـد منهم وعنه أنهم بنو آدم يقومون صفا والملائـكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائـكة (لايتكلمون) يعنى الخلق كلهم اجـلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الامن أذن له الرحمن) أى فى الـكلام (وقال صوابا) أى حقا فى الدنيا وعمل به وقيل قال لااله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائـكة ومعنى الآية لايشفعون الا فى شخص أذن الرحمن فى الشفاعـة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا فى الدنيا وهو لااله الا الله (ذلك اليوم الحق) أى الـكائن الواقع لامحالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ر به مآبا) أى سبيلا يرجع اليه هو طاعة الله ومايتقرب به اليه (انا أنذرنا كم) أى خوفنا كم فى الدنيا (عذابا قر يبا) أى فى الآخرة وكل ماهوآت قر يب (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يعنى من خير أو شر مثبتا فى صحيفته ينظر اليه يوم القيامة (و يقول الـكافر ياليتنى كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامـة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعـل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الـكافر ياليتنى كنت ترابا وقيـل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقنا كم وسخرنا كم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتـكم فارجعوا الى ما كنتم عليـه كونوا ترابا فاذا رأى الـكافر ذلك تمنى وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض هـذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وقيـل

لسائر الامم سوى الناس والجن عود واترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقيل معناه أن الكافر اذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتني كنت ترابا يعني متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك أنه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم و بنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا قال أبو هريرة رضى الله عنه يقول التراب لاولا كرامة لك من جعلك مثلى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النازعات مكية﴾

هى ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشئ واحد أم لاشياء مختلفة على أوجه واتفقوا على أن المراد بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف لشئ واحد وهم الملائكة * الوجه الاول قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصى أجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق أى والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن أى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا أسرع فى جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة الوجه الثانى فى قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده فى الجنة قبل ان يموت وقال على ابن أبى طالب هى أرواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني أرواح المؤمنين حين تسبح فى الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة المقدسة الوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق الى أفق أى تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير الوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع فى أعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية الوجه الخامس فى قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا أى السهام فى الرمى والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين يخرجها أصحابها الى الغزو الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * أما قوله فالمدبرات أمرا

﴿سورة النازعات ست وأربعون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) لا وقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا أى اغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الاجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم أو بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد التى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر

أمر العبد وظفروا ... تدبيرالبهالانهامن أسبابه أو بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى المغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى بينهما أربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكري البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب واتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أبصارها) أي أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يقولون) أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وانكار البعث (أئنا لمردودون في الحافرة) استفهام بمعنى الانكار أي أنرد بعد موتنا الى أول الامر فنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أي الى حالته الاولى ويقال النقد عند الحافرة أي عند الحالة الاولى وهي الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقال (أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفي غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى أنرد الى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) أي منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الارض بعدما كانوا أمواتا في جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشأم الى جنب بيت المقدس أو أرض مكة أو جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمحدث به يا محمد

فاجمعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة التي تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه ۞ قوله عز وجل (قلوب يومئذ واجفة) أي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن أماكنها (أبصارها خاشعة) أي أبصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أئنا لمردودون في الحافرة) يعني أنرد الى أول الحال وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء وأول الشيء ويقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه الذي جاء منه بحفره بمشيته فحصل بأثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها مستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) أي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا أهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أي صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطء عليها كأنها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي أرض الشأم وقيل أرض القيامة وقيل هي أرض جهنم قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يعني أتاك حديث موسى

(اذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان و بتشديد الزاى حجازى (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف فى القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فاراه الآية الكبرى) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما فى حكم آية واحدة (فكذب) فرعون موسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايدته أو لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم الاعلى) لارب فوقى وكانت لهم أصنام يعبدونها (فاخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان أخذ بمعنى نكل كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة أى الاحراق

(والاولى) أى الاغراق أو نكال كلمتيه الآخرة وهى أنا ربكم الاعلى والاولى وهى ماعلمت لكم من اله غيرى و بينهما أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون (ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يامنكرى البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا وانشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر أى أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أى الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) اظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفى عام ثم [illegible]

يا محمد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) هو اسم واد بالشأم عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) أى علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى أن تزكى) أى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تُسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا اله الا الله (وأهديك الى ربك) أى أدعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أى أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعنى اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعنى فرعون بانها من الله (وعصى) أى تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أى أعرض عن الايمان (يسعى) يعمل الفساد فى الارض (فحشر) أى لجمع قومه وجنوده (فنادى) أى لما اجتمعوا (فقال) يعنى فرعون لقومه (أنا ربكم الاعلى) أى لا رب فوقى وقيل أراد أن الاصنام أرباب وهو ربها وربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان أغرقه فى الدنيا ويدخله فى النار فى الآخرة وقيل أراد بالآخرة والاولى كلمتى فرعون وهما قوله ماعلمت لكم من اله غيرى وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (ان فى ذلك) أى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أى عظة (لمن يخشى) أى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا أضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالى أن خلق السماء أعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أى أتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أى أظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أى وأظهر وأبرز (ضحاها) أى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزاء النهار فى النور والضوء وانما أضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومدها قال أمية بن أبى الصلت

دحوت البلاد فسويتها ✽ وأنت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى أن الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قلت خلق الله الارض أولا مجتمعة ثم

(أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلأها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال باضمار قد (والجبال أرساها) أثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت أي اذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ماسعى) مصدر بة أي سعيه أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء اظهورها ظهورا بينا (فاما) جواب فاذا أي اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هي المأوى) المرجع أي مأواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هي المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أي علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذي أي زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هي المأوى) أي المرجع (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أي اقامتها يعني متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكراها) في أي شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أي ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شئ كقولك ليس فلان من العلم في شئ أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أي انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم انكار لسؤالهم عنها أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها أي ارسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم انت من ذكراها متصل بالسؤال أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها (انما أنت منذر من يخشاها) أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها منذر منوّن يزيد وعباس (كأنهم يوم يرونها) أي الساعة (لم يلبثوا) في الدنيا (الا عشية أو ضحاها) أي ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاها والله أعلم

سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم أي مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي فجر من الارض عيونها ومرعاها أي رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز (والجبال أرساها) أي أثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) أي الذي أخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم ۞ قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ماسعى) أي ما عمل في الدنيا من خير أو شر (وبرّزت الجحيم لمن يرى) يعني انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فامامن طغى) أي كفر (وآثر الحيوة الدنيا) أي على الآخرة (فان الجحيم هي المأوى) أي لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي المحارم التي يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هي المأوى) أي لمن هذه صفته ۞ قوله عز وجل (يسئلونك) أي يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أي متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكراها) أي لست في شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معنى فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكراها أي من علاماتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعني الكفار (يوم يرونها) أي يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أي في الدنيا وقيل في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله أو ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية أو ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قيل الا عشية أو ضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (عبس) كلح أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه ومحله نصب لأنه مفعول له والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش الى الاسلام فقال يارسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين (ومايدريك) وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يتزكى وأدغمت التاء في الزاي وكذا (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك أي موعظتك أي انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت مافرط ذلك منك (أما من استغنى) أي من كان غنيا بالمال (فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء في الصاد حجازي (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله أو الكفار أي أذاهم في اتيانك أو الكبوة كعادة العميان (فانت عنه تلهى) تتشاغل وأصله تتلهى وروي انه ماعبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وروي ان الفقراء في مجلس الثوري كانوا أمراء (كلا) ردع أي لا تعد الى مثله (انها) ان السورة أو الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى اياه (في صحف) صفة التذكرة أي انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أي هي في صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله (بايدي سفرة) كتبة جمع سافر أي الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح

﴿تفسير سورة عبس مكية﴾

وهي احدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (عبس وتولى) أي كلح وقطب وجهه وتولى أي أعرض بوجهه (أن جاءه الاعمى) يعني ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لؤي واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة ابن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففي هذا أنزلت أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ومايدريك) أي أي شيء يجعلك داريا (لعله يزكى) أي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) أي الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فانت له تصدى) أي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه (وما عليك ألا يزكى) أي لا يؤمن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعني يمشي يعني ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أي الله عز وجل (فانت عنه تلهى) أي تتشاغل وتعرض عنه (كلا) أي لا تفعل بعدها مثلها (انها) يعني الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) أي موعظة للخلق (فمن شاء) أي من عباد الله (ذكره) أي اتعظ به يعني القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل (في صحف مكرمة) يعني القرآن في اللوح المحفوظ (مرفوعة) أي رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة (مطهرة) يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بايدي سفرة) قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة الكرام

(كرام) على الله أو عن المعاصي (بررة) أتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر أو هو أمية أو عتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ أي أي شيء حمله على الكفر أو هو تعجب أي ما أشد كفره (من أي شيء خلقه) من أي حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر أي ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فاقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبر الميت أمره بان يقبره ومكنه منه (ثم اذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الايمان ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه الى آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفي على انه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صبا) يعني المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فانبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم أي الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة سمى بمصدر قضبه أي قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) والسبب مصدر أي منفعة (لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لانها تصخ الآذان أي تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات بينه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح

الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله (كرام) أي هم كرام على الله (بررة) أي مطيعين له جمع بار ۞ قوله عز وجل (قتل الانسان) أي لعن الكافر وطرد (ما أكفره) أي ما أشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أي اعجبوا من كفره وقيل معناه أي شيء حمله على الكفر نزلت هذه الآية في عتبة ابن أبي لهب وقيل في أمية بن خلف وقيل في الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى (من أي شيء خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعني خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعني خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده (ثم السبيل يسره) أي سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه (ثم أماته فاقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور وأقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعل له ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوانات ۞ ثم قال تعالى (ثم اذا شاء أنشره) أي أحياه بعد موته للبعث والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شاء أنشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم (كلا) ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قدرة ربه فيه أي كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (انا صببنا الماء صبا) يعني المطر (ثم شققنا الارض شقا) أي بالنبات (فانبتنا فيها) أي بذلك الماء (حبا) يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان (وعنبا) يعني انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا أتبعه الحب (وقضبا) يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب أي يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي تعلف به الدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يعني جميع ألوان الفاكهة (وأبا) يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمي ان أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس ان عمر قرأ وفاكهة وأبا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولانعامكم) ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ أسماع الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد

والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه وابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من أبيه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم في الدنيا و يتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لانهما أقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما أشد من تعلقه بالابوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مشرقة مضيئة من أسفر الصبح اذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) أي عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم (ترهقها قترة) أي تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان أسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أي الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة التكوير مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كانه رأي العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الاوقع (واذا الجبال سيرت) أي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار عطلت) يعني النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع أهملها أهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني من دواب البر (حشرت) أي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها

(لكل امرئ منهم يومئذ شأن) في نفسه (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (وجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلوها الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) في حقوق الله (الفجرة) في حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة (عطلت) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم و يعطلون ما دونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدي (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة

(واذا البحار سجرت) سجرت مكي وبصري من سجر التنور اذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا للتعذيب أهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار أو قرنت الارواح بالاجساد أو بكتبها أو أعمالها و

نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتدل على قاتلها وهو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت للناس الآية (بأي ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب (واذا الصحف نشرت) فتحت وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها في الدنيا والباقية في الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل النصب في اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) أي كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس

وتخنس

قال وحشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أي يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال أبي بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينماهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينماهم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس أعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروي عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف أو شعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموؤدة في النار أخرجه أبو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال

ومنا الذي منع الوائدات ❊ وأحيا الوئيد فلم توأد

(بأي ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤدة فيقال لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) أي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وأزيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) أوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة أزلفت) أي قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا ۞ قوله عز وجل (فلا أقسم) لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك في قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر

والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) اقبل بظلامه أو أدبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس)

امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه

وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روي عن علي بن أبي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها أي ترجع وراءها في الفلك وتكنس أي تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس أي تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو أن تأوي الى كناسها وهو الموضع الذي يأوي اليه الوحش (والليل اذا عسعس) أي أقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرف الليل (والصبح اذا تنفس) أي أقبل وبدا أوله وقيل أسفر وفي تنفسه قولان أحدهما أن في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذي قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (عند ذي العرش مكين) أي في المنزلة والجاه (مطاع ثم) أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعني على وحي الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك أنهم قالوا انه مجنون وأن ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي خلق فيها (بالافق المبين) يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام اني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال فبمنى قال لا يسعني ذلك ٣ قال فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال بحراء قال ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته (وما هو) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو أجرة الكاهن وقراءة الظاء أولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله

الروح والنسيم جعل ذلك نفساله مجازا وجواب القسم (انه) أي القرآن (لقول رسول) أي جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذي نزل به (كريم) عند ربه (ذي قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذي العرش) عند الله (مكين) ذي جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أي في السموات يطيعه من فيها أو عند ذي العرش أو عند الله يطيعه ملائكته والمقربون يصدرون عن أمره و يرجعون الى رأيه (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس (وما هو على الغيب) وما محمد على الوحي (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخل لا يبخل بالوحي كما يبخل الكهان رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيأ مما علم بظنين مكي وأبو عمرو وعلي أي بمتهم فينقص شيأ مما أوحي اليه أو يزيد فيه من الظنة وهي التهمة

٣ قوله فبعرفات الخ كذا بالنسخ بايدينا وفي الخطيب قال فبعرفات قال ذلك بالحرى ان يسعني اهـ مصحح

(وماهو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين أى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع و بوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فاين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون أعناوان من شئ الا عندنا (٣٨٤) (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

﴿سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت وأخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (يا أيها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ما غرك بربك الكريم الذى خلقك) أى شئ خدعك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق الصورة والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرتنى ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ أقول غرنى برك بى سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء

عنه تلك التهمة ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب (وماهو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى أن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فأين تذهبون) فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم (ان هو) يعنى ما فى القرآن (الا ذكر للعالمين) أى موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين أن مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله أن المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانفطار مكية﴾

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) أى انشقت (واذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (واذا البحار فجرت) أى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) أى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء (علمت نفس ما قدمت وأخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح أو سيئ وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أحوال يوم القيامة ۞ قوله عز وجل (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أى ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى أبى الشريق واسمه أسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ما لذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى أول مرة بربك الكريم أى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه وقال ما غرك بى أقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ما غرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض أهل الاشارة وانما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم (الذى خلقك) أى أوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) أى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن

أبيض وبعضها أسود وجعلك معتدل الخلق تمشي قائماً لا كالبهائم وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (في أي صورة ما شاء ركبك) ما مزيدة للتوكيد أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل

الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (في أي صورة ما شاء ركبك) أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم وجاء في الحديث إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ في أي صورة ما شاء ركبك وقيل معناه إن شاء ركبك في صورة إنسان وإن شاء في صورة دابة أو حيوان وقيل في أي صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والأنوثة وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك أنه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وإن المدبر المختار هو الله تعالى * قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) أي بيوم الحساب والجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) أي على الله (كاتبين) أي يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ما تفعلون) يعني من خير وشر * قوله عز وجل (إن الأبرار) يعني الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفي نعيم) يعني نعيم الجنة (وإن الفجار لفي جحيم) روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم المزني ليت شعري ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله قال أين أجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعني يوم القيامة لأنه يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أي عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أي شيء أعلمك به لولم نعرفك أحواله (ثم ما أدراك ما يوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا تملك نفس كافرة لنفس كافرة شيئا من المنفعة (والأمر يومئذ لله) يعني أنه لم يملك الله في ذلك أحدا شيئا كما ملكهم في الدنيا والله أعلم

(تفسير سورة المطففين مدنية)

في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله إن الذين أجرموا إلى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله تعالى إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين وقيل إنها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (ويل) أي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم (للمطففين) يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لأنه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن إلا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون)

تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وإن عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (إن الأبرار لفي نعيم) إن المؤمنين لفي نعيم الجنة (وإن الفجار لفي جحيم) وإن الكفار لفي النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أي لا يخرجون منها كقوله وما هم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما

أدراك ما يوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا تملك الشفاعة إلا بالإذن يوم بالرفع مكي وبصري أي هو أو بدل من يوم الدين ومن نصب فبإضمار اذكر أو بإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه (والأمر يومئذ لله) أي لا أمر إلا لله وحده فهو القاضي فيه دون غيره * سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية * بسم الله الرحمن الرحيم * (ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم

من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة وقال القراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك والضمير المنصوب فى (واذا كالوهم أو وزنوهم) راجع الى الناس أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل وانما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهما كتفاء ويحتمل ان المطففين كانوا لايأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعون ويحتالون فى الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون ما نقصوا فى الكيل والوزن وعن عبد الملك بن مروان أن اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولاوزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هذا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبيه أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف أعمالهم (لفى سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم

يعنى أنهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس أى اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم) يعنى واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) أى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (ألا يظن) أى ألا يعلم ويستيقن (أولئك) أى الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (لرب العالمين) أى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما ادرى ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه ﴿ قوله عز وجل (كلا) قيل انه ردع وتنبيه أى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) أى الذى كتبت فيه أعمالهم (لفى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب

مرقوم) فان قلت قد أخبرالله عن كتاب الفجار بانه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أولانه مطروح تحت الارض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (ومايكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) أى أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير أباطيل واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن هذا القول (بل) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم على ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والالا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن نور توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازة والاول أصح لان الرؤية أقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها

مرقوم) ليس هذا تفسيرا لسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم أى مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لاينسى ولايمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم أى مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (ومايكذب به) أى بيوم القيامة (الا كل معتد) أى متجاوز عن نهج الحق (أثيم) هو مبالغة فى الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى أكاذيب الاولين ۞ قوله عزوجل (كلا) أى لايؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لايصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لاينظر اليهم ولايزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف أما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لاينظر اليه نظر رحمة ولايزكيه والذى ذهب اليه أكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لايجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب أن لايحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لايرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن نور توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان أولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون

(ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى أعلى الدرجات فى الجنة أولانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكريما له (وما أدراك) ما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على (وفى ذلك) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت (ان

(ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب فى الجنة أولانها تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) أى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين

النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) أى لداخلوا النار (ثم يقال) أى تقول لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) أى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيها له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما أعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون أى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة اكراما للمؤمن ۞ قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) أى الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى أعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدى الى أن يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية فى أوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) أى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) أى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه أعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) أى منها وقيل يشرب بها (المقربون) أى صرفا ۞ وقوله عز وجل

(ان الذين أجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الاصلع فنزلت قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم) أى اذا رجع الكفار الى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (واذا رأوهم) واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا باصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر والله أعلم

﴿سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لامر الله اذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه

(ان الذين أجرموا) أى أشركوا يعنى كفار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفى أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) أى من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى منهم ويستهزؤن بهم (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) أى معجبين بما هم فيه وقيل يتلذذون بذكرهم كأنهم يتفكهون بحديثهم (واذا رأوهم) يعنى رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون أنهم على شئ قال الله عز وجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أى لاعمالهم والمعنى أنهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم ۞ قوله عز وجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين أبواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير ويتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وأرائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب وأثيب بمعنى قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب * وحسبك أن يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الانشقاق وهى مكية﴾

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (اذا السماء انشقت) يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) أى حق لها أن تطيع أمر ربها (واذا الارض مدت) يعنى مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) أى أخرجت ما فى بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا فى جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه

(وأذنت لربها) فى القاءمافى بطنهاوتخليها (وحقت) وهى حقيقـةبان تنقادولاتمتنع وحذف جواب اذاليذهب المقدركل مذهب أو اكتفاءبما علم بمثلهامن سورة التكوير والانفطاروجوابه مادل عليـه فلاقيـه أى اذا السماءانشـقت لاقى الانسان كدحه (ياأيها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهدالى لقاءربك وهوالموت ومابعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهوجهدالنفس فى العمل والكدح فيه حتى يؤثرفيها والمرادجزاءالكدح ان خيرفخيروان شرفشر وقيل لقاءالكدح لقاءكتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله

(فامامن أوتى كتابه بيمينه) أى كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابايسيرا) سهلاهينا وهوأن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيآت وفى الحديث من يحاسب يعذب فقيل فاين قوله فسوف يحاسب حسابايسيراقال ذلكم العرض ومن نوقش فى الحساب عذب (وينقلب الى اهله) الى عشيرته ان كانوامؤمنين أوالى فريق المؤمنين أوالى أهله فى الجنـة من الحورالعين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتى كتابه وراءظهره) قيـل تغـل يمناه الى عنقه وتجعـل شماله وراءظهـره فيؤتى كتابه بشـماله من وراء ظهـره (فسوف يدعوثبورا) يقول ياثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقى غيرعلى (سعيرا) أى ويدخـل جهنم (انه كان) فى الدنيا (فى أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعاوفى مراتع هواه راتعا (انه ظن أن ان يحور) ان يرجع الى ربه تكذيبابالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتهاحورى أى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعدالنفى فى ان يحورأى بلى ليحورن (ان ربه كان به) وباعماله (بصيرا) لايخفى عليه فلابدأن يرجعه ويجازيه عليها (فلاأقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعدالحمرةأوالحمرة (والليل وماوسق) جمع وضم والمراد ماجمعه من الظلمة والنجم أوماعمل فيه من التهجدوغيره (والقمراذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) أيها الناس على ارادة الجنس

الاشـياءيرى الانسان الثواب أوالعـقاب وقيـل جوابه ياأيها الانسان انك كادح والمعنى اذاانشقت السماء لقى كل كادح ماعمله وقيل جوابه وأذنت وحينئـذتكون الواوزائدة (ياأيهاالانسان انك كادح الى ربك كدحا) أى ساع اليه فى عملك سعياوالكدح عمل الانسان وجهده فى الامرين الخيروالشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح فى لقاءربك وهوالموت والمعنى ان هـذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح فى دنياك كدحاتصير به الى ربك (فملاقيه) أى فملاق جزاءعملك خيرا كان أوشراوقيل فملاق ربك (فامامن أوتى كتابه بيمينه) يعنى ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابايسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسيرهوأن تعرض عليـه أعماله فيعرف بالطاعـة والمعصيـة ثم يثاب على الطاعة ويتجاوزله عن المعصية فهذاهوالحساب اليسيرلانه لاشـدةفيه على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولايطالب بالعذرفيه ولاالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجدعذراولاحجة فيفتضح (ق) عن ابن أبى مليكة ان عائشة كانت لاتسمع شيألاتعرفه الاراجعت فيـه حتى تعرفه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أوليس يقول الله عزوجل فسوف يحاسب حسابايسـيراقالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عـذب (وينقلب الى أهله) يعنى فى الجنـة من الحورالعـين والآدميات (مسرورا) أى بما أوتى من الخير والكرامة (وأمامن أوتى كتابه وراءظهره) يعنى أنه تغل يده اليمنى الى عنقـه وتجعـل يده اليسرى وراءظهره فيعطى كتابه بشماله من وراءظهره وقيـل تخلع يده الشمال فتخرج من وراءظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعوثبورا) يعنى عنداعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النارفيدعو بالويل والهلاك فيقول ياويلاه ياثبوراه (ويصلى سعيرا) أى ويقاسى التهاب الناروحرها (انه كان فى أهله) يعنى فى الدنيا (مسرورا) يعنى باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن ان يحور) أى ان يرجع الينا ولن يبعث والحورالرجوع (بلى) أى ليس الامركماظن بل يحورالينا ويبعث ويحاسب (ان ربه كان به بصيرا) أى من يوم خلقه الى أن يبعثه ۞ قوله عزوجـل (فلاأقسم بالشفق) تقدم الكلام فى تفسـيرلاأقسم فى سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهدهوالنهاركله ووجهه فى ذلك أنه عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكورأولاهوالنهارفعلى هذاالوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهمامعاش العالم وسكونه وقيـل هوماتى من النهاوقال ابن عباس وأكثرالمفسرين هوالحمرة التى تبقى فى الافق بعدغروب الشمس وهومـذهب عامة العلماء وقيـل هوالبياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبى حنيفة (والليل وماوسـق) أى جمع وضم ما كان منتشرابالنهارمن الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شئ الى مأواه وقيـل وماعمل فيـه ويحتمـل أن يكون ذلك تهجدالعباد فيجوزأن يقسم به (والقمراذا اتسق) أى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولماذكرالمقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهوخطاب الواحد والمعنى

اتركبن

(طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات أي لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا الطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين الطبق وقال مكحول في كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكي وعلي وحمزة والخطاب له عليه السلام أي طبقا من طباق السماء بعد طبق أي في المعراج (فما لهم لا يؤمنون) فما لهم في ان لا يؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وبما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم

﴿سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) هي البروج الاثنا عشر وقيل النجوم أو عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما للابهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أو أمة محمد وسائر الامم أو الحجر الاسود والحجيج أو الايام والليالي وبنو آدم للحديث ما من يوم الا ينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاغتنمني ولو غابت شمسي لم تدركني

لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسرى به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الآية أنه أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فما لهم لا يؤمنون) يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة البروج﴾

﴿وهي مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر الا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من

الى يوم القيامة أو الحفظة و بنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيداً والانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الاخدود) أى لعن كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الاخدود وهو جمع خد أى شق عظيم فى الارض روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل لك ما كنت تحذره فخد أخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فالقى الصبى وأمه فيها قال

قيل حفظة وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أى عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أى عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أى لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل فى الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى أنت أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتنى قال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى فقال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك أى بنى انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم

قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود فى أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبرى ولا تقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذى خلق أعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والاخدود الشق العظيم فى الارض وأقحموه أى ارموه فيها وتقاعست أى تأخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب رياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله ابن تامر واضعا يده على ضربة برأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن أبزى لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب أى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال على بن أبى طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه أنك تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا أو نقر به ما جاءنا به من نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فبسط فيهم الصوت فابوا أن يقروا فجرد فيهم السيف فابوا أن يقروا به فخد لهم الاخدود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب أطلقه وروى عن على قال كان أصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم الكفار فقتل أصحابه وأخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا له اخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبى رمى فى النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى ياأماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التى بالشام فهو انطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التى باليمن فذو نواس يوسف فاما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين ﴿ وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع ابن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض أرواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى

(النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بانها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس

(اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) أى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * وقوله * ما نقموا من بنى أمية الا * أنهم يحلمون ان غضبوا وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والارض) فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) أى الذين صبروا على عند تعذيب الاخدود أو هو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذ الظلمة والجبابر بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بانه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لاوليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) أى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد

من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذ هم عليها قعود) أى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خد الاخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم (شهود) أى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لا يغالب ولا يدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق أن يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) أى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) أى من أفعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين ۞ قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) أى عذبوا وأحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) أى بالنار (ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله أحرقهم بالنار التى أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) ۞ قوله عز وجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان أخذه بالعذاب اذا أخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل هو المتودد الى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش أى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش أحسن الاجسام ثم قال الله تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يعجزه شئ ولا يمتنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أتاك) أى قد أتاك (حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم

بفرعون اباه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه أساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة القرآن أى من التغيير والتبديل واللوح

عند الحسن شئ يلوح للملائكة يقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم

﴿سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فاقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أى المضئ كانه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أو لانه يطرق الجنى أى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية أى ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة أى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى اول أمره ليعلم ان من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته ومم خلق استفهام أى من أى شئ خلق جوابه

عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم (والله من ورائهم محيط) أى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو نسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الطارق﴾

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والسماء والطارق) قيل نزلت فى أبى طالب وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز وابن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أى شئ هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق ❊ نمشى على النمارق

تريد أن أباهم نجم فى علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أى المضئ المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه أى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله عز وجل (فلينظر الانسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أى

(خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه أى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظام والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذى

خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله انى لفقير أى لبين الفقر ونصب (يوم تبلى) أى تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أى يبعثه يوم تبلى (السرائر) ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الاعمال (فماله) فما للانسان (من قوة) فى نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) أى المطر وسمى به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعنى أنه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكايد فى ابطال أمر الله واطفاء نور الحق (وأكيد كيدا) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم) انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهى من

﴿سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية﴾

(بسم

من أى شئ خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعنى من منى (دافق) أى مدفوق مصبوب فى الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعنى ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وعنه أنها بين ثديى المرأة قيل ان المنى يخرج من جميع أعضاء الانسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل و ينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعنى ان الله تعالى قادر على أن يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد و بين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدئ الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر (فماله) أى لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) أى يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) أى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر سمى به لانه يجىء ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) أى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول فصل) أى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أى باللعب والباطل (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا) يعنى أجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) أى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بامهالهم بين أن ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أمهلهم رويدا) يعنى قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الاعلى﴾

وهى مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) أي قل سبحان ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي باسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح أي صل بامر ربك الاعلى * عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم أجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال أجعلوها في سجودكم أخرجه أبو داود (الذي خلق فسوى) أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذي قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى أي فعرف كيف يأتي الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أي أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي انبت العشب وما ترعاه الانعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (فجعله) يعني المرعى بعد الخضرة (غثاء) أي هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي تراه فوق السيل (أحوى) أي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود ۞ قوله عز وجل (سنقرئك) أي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعني ما يقرأ عليك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحي لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك (الا ما شاء الله) يعني أن تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت أسقطتهن من سورة كذا أخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيأ (انه يعلم الجهر) يعني من القول والفعل (وما يخفى) يعني منهما والمعنى أنه تعالى يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أي نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى أنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤن في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أي عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) أي مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عظ أنت وذكر ان نفعت الذكرى أو لم تنفع انما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان وقيل قل سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم (الذي خلق فسوى) أي خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذي قدر فهدى) أي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به أو فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء قدر على (والذي أخرج المرعى) انبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (أحوى) أسود فاحوى صفة لغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الا ما شاء الله) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شئ الا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوي جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا أي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) أي انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وفي نفسك مما يدعوك الى الجهر أو ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر انما أنت مذكر غير مشروط بالنفع (سيذكر) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها

الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) أى فى علم الله تعالى (الذى يصلى النار الكبرى) أى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أى فى النار فيستريح (ولا يحيى) أى حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل (قد أفلح من تزكى) أى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدرى أى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان فى علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد * قوله عز وجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى) يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وأنتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أى الذى ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو أربع آيات (لفى الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن أبى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أباذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيأ * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فى ركعة ركعة أخرجه الترمذى والنسائى وعن عبد العزيز بن جريج قال

(الاشقى) الكافر أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك وتطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبى عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل فى نفسها وأدوم (ان هذا لفى الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى أى ان معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف أو الى ما فى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لانه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفى الاثر وفى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه قال

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿هل﴾ بمعنى قد (أتاك حديث الغاشية) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه) أي وجوه الكفار وإنما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرا في الوجه (يومئذ) يوم إذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى أبو عمرو وأبو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث في هذه الصفات والأفعال راجع إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وهو نبت يقال له الشبرق فإذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام إلا من غسلين (لا يسمن) مجرور المحل لأنه وصف ضريع (ولا يغني من جوع) أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة السمن في البدن

قال سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم

﴿تفسير سورة الغاشية﴾

﴿وهي مكية وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (هل أتاك) أي قد أتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الأولى فإنها تختص بمن أحدث في دين الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه وأما الرواية الثانية فإنها تشتمل على كل عامل في دين الإسلام أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لأنها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون إليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فإذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فإن الإبل إنما ترعاه رطبا فإذا يبس لا تأكله فأنزل الله تعالى (لا يسمن ولا يغني من جوع) يعني أن هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الإنسان على أكله فهو إذا لا يسمن

(وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لين العيش (لسعيها راضية)
رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه
(فيها لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم
لا يسمع فيها لاغية مكي وأبو عمرو ولا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم ليتلذذ بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بان ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق
وكذا وعرض الزرابي كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الخالق
الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الابل

ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع آخر
انه لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم
من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى
(وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا
راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من
العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لا تسمع فيها
لاغية) أي ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث
أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد
والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع
الى مواضعها (وأكواب) يعني الكيزان التي لا عرا لها (موضوعة) يعني عندهم بين أيديهم وقيل
موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوأة (ونمارق مصفوفة) يعني
وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى
الاخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية
(مبثوثة) أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس ۞ قوله عز وجل (أفلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر
وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من أنفس
أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع
وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم
يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا النادر منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة
وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الآية
وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو
لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى
والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى
ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات باشياء وذلك أن
جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه
الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل
من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف
سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر
يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى
الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ
بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو

(والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك الا كواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابي ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما كثر مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهي أعز اموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والحمل والركوب والا كل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا برأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب و يسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت في البراري مما لا يرعاه سائر البهائم (فذكر) هم بالادلة ليتفكروا فيها (انما أنت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار بمسيطر مدني و بصري وعلي وعاصم (الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع أي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ

﴿سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر أو بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذي الحجة أو العشر الاول من المحرم أو الآخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها

الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا و يصاحبونها ظعنا واسفارا اذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا ابدأ بها ولانها من أعجب الحيوانات عندهم (والى السماء كيف رفعت) يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شئ (والى الجبال كيف نصبت) أي على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) أي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شئ قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) أي فعظ انما أنت واعظ (لست عليهم بمسيطر) أي بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار أكبر من هذا كله (ان الينا ايابهم) أي رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي انها دلائل باهرة و براهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا انه صلاة الفجر والمعنى انه أقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها أيام الاشتغال باعمال الحج وأخرج

(والشفع والوتر) شفع كل الاشياء و وترها أو شفع هذه الليالى و وترها أو شفع الصلاة و وترها أو يوم النحر لانه اليوم العاشر و يوم عرفة لانه اليوم التاسع أو الخلق والخالق والوتر حمزة وعلى و بفتح الواو وغيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى و بعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل أريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضى و ياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسرى انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل و ينهى يريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها أو هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) أى ألم تعلم بإخبار علما يوازى العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة ابن فارم عطف بيان لعاد وايذان أنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها و يدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين

الترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث و روى عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشد مئزره وأيقظ أهله يعنى للعبادة وقيل هى العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر ❊ عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هى الصلاة بعضها شفع و بعضها وتر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) أى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل فى ذلك) أى فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذى حجر) أى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده و ربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك أى ألم تعلم وانما أطلق لفظ الرؤية على العلم لان أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم ۞ وقوله (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص

ابن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عاد اسما للقبيلة لقوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وارم هو جد
عاد على ما ذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم
قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن
شيم بن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكان
يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وأبقى أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات
العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد
الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود يبس
رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى وهى التى قال الله تعالى (التى لم يخلق
مثلها فى البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن
عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعنى طولهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان طول أحدهم
اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين
قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان
شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها
وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا
روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ
وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها أحدا يسأله
عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين
عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد
مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ
والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ
و بنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة اشجار
مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار مطردة يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل
معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ
ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما
أتاه قال له يا أبا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال
فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان
وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا
أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى أمر
الملك ان نبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة
سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر
ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى
أرم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب
وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل
له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿قوله عز وجل (وثمود) أى وفعل بثمود مثل
ما فعل بعاد (الذين جابوا) أى قطعوا (الصخر) أى الحجر (بالواد) يعنى بوادى القرى وكانت ثمود أول من

وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادى القرى

قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا (وفرعون ذي الاوتاد) سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل

* في ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير أبي فقالت الهي واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وأقري اني الهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فأتي بابنتها فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في المهد صغارا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام أن ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملأ فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيأ فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهها والهك والهي واله السموات والارض واحد لا شريك له فبصق عليها وضربها وأرسل الى أبيها وأمها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك اني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها أبوها آسية ألست من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأدخلها الجنة ۞ قوله عز وجل (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فأكثروا فيها الفساد) يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام

(وفرعون ذي الاوتاد) أي ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الذين) في محل النصب على الذم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا في البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم

(فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أى عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدر شامى ويزيد (فيقول ربى أهانن) أى الواجب ان ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربى أكرمنى أى فضلنى بما أعطانى فيرى الاكرام فى كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربى أهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا

لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أى ليس الاكرام والاهانة فى كثرة المال وقلته بل الاكرام فى توفيق الطاعة والاهانة فى الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدا تقديره وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى

ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما أنكر قوله ربى أكرمنى مع أنه أثبته بقوله فأكرمه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده ان الله أعطاه ما أعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) أى بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربى حجازى وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال

الاثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان أصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد أعمال بنى آدم والمعنى أنه لا يفوته شئ من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم ﴿قوله عز وجل (فاما الانسان اذا ما ابتلاه) أى امتحنه (ربه) أى بالنعمة (فأكرمه) أى بالمال (ونعمه) أى بما وسع عليه (فيقول ربى أكرمن) أى بما أعطانى من المال والنعمة (وأما اذا ما ابتلاه) يعنى بالفقر (فقدر عليه) أى فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) أى وقد أعطاه ما يكفيه (فيقول ربى أهانن) أى أزرانى بالفقر قيل نزلت فى أمية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) أى ليس الامر كذلك أى لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فأخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من أصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يضجر ويقلق (بل لا يكرمون اليتيم) أى لا يعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية ابن خلف فكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) أى لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون باطعامه وقرئ ولا يحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (ويأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) أى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الآكل اللم الذى يأكل كل شئ يجده لا يسأل أحلال ام حرام فيأكل الذى له ولغيره (ويحبون المال حبا جما) أى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا) أى لا ينبغى أن يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من اكرام اليتيم وغيره من

(اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (والملك صفا صفا) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجيء يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون

ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أى يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى (يقول ياليتني قدمت لحياتي) هذه وهى حياة الآخرة أى ياليتني قدمت الاعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشاف لا يعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو فى آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى

للمؤمن (ياأيتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجعى الى) موعد (ربك) أو ثواب ربك

المسلمين ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) أى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شيء (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الآية فقيل فى تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجيء يومئذ) يعنى يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود فى هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) أى يتعظ الكافر ويتوب (وأنى له الذكرى) يعنى أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لا موت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى لا يعذب أحد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعنى لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه ﴿ قوله عز وجل (ياأيتها النفس المطمئنة) أى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد أيقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة ابن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل فى خبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى أبى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعى الى ربك) أى الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أى من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن ويقال أيتها النفس

الخبيثة

(راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين فانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقال أبو عبيدة أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي كما قال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي كقراءة عبد الله بن مسعود في جسد عبدي ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل في نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب الذي صلبه أهل مكة وقيل هي عامة في المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابد المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أي ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أي وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريده من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ونظير قوله وأنت حل في الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده أو كل والد وولده أو ابراهيم وولده وما بمعنى من أو بمعنى الذي (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (في كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذي النون لم يزل

الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك أي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح أن ترجع الى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته (راضية) أي عن الله بما أعد لك (مرضية) أي رضي الله عنها وقيل لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلي في عبادي) أي في جملة عبادي الصالحين المصطفين (وادخلي جنتي) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض أهل الاشارة في تفسير هذه الآية يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

﴿ تفسير سورة البلد ﴾

وهي مكية وعشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (لا أقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لا أقسم في أول سورة القيامة والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أي مقيم به نازل فيه فكأنه عظم حرمة مكة من أجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أي حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن أخطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل في معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أي انهم يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتالك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال في شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد

منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيدا والحجرة عمرا وأجيب بان واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية في (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) أي وبنائها وطحوها أي بسطها وتسويتها خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وانما نكرت النفس لانه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أي أفهمها ان أحدهما حسن والآخر قبيح (قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح فكلام تابع أنت
لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء (من زكاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة

حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبنائها (والارض وما طحاها) أي بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) أي عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا ان أريد بالنفس الجسد وان أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل ألزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الاسود الديلي قال قال عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لي يرحمك الله اني لم أرد بما سألتك الا لاختبر عقلك ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العامل بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس ورب ما بعدها وأورد على هذا القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز وأجيب عنه بأن ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشيء اذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها

(كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام بعقر الناقة (أشقاها) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيرا واذ منصوب بكذبت أو بالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على التحذير أى احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) أى الناقة أسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

﴿سورة الليل احدى وعشرون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها أو النهار من قوله يغشى الليل النهار أو كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فاما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو المثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لا اله الا الله (فسنيسره

أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ﴿قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى أهله مثل أبى زمعة لفظ البخارى قوله عارم أى شديد ممتنع ﴿قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما أضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) أى وشربها أى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) أى فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم أى أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم أحد (بذنبهم) أى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أى لا يخاف الله تبعة من أحد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب ذلك والله أعلم

﴿تفسير سورة والليل﴾

وهى مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) أى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق (وما خلق الذكر والانثى) أى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان أريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء ولهذا أقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) أى ان أعمالكم لمختلفة فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها روى أبو مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أى مهلكها ﴿قوله تعالى (فأما من أعطى) أى أنفق ماله فى سبيل الله عز وجل (واتقى) أى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغى (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف أى أيقن ان الله سيخلف عليه ما أنفقه فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذى وعده أنه يثيبه (فسنيسره)

اليسرى) فسنهيئه للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة أعسر شيء
عليه وأشد وسمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة والنار (وما يغني عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك أو تردى في القبر أو في قعر جهنم أي سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى أو أنهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذي كذب وتولى) الا الكافر الذي كذب الرسل وأعرض عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذي يؤتي ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاة أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة ويتزكى ان

فسنهيئه في الدنيا (لليسرى) أي للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله ﴿ قوله عز وجل (وأما من بخل) أي بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أي بلا اله الا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) أي فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة [٣] زاد مسلم والا وقد كتبت شقية أو سعيدة فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت الثمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم وان وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل ان لي نخلا ومافيه أعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك فاتى أبو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف لان سياق الآيات يقتضي ذلك ﴿ قوله عز وجل (وما يغني عنه ماله) أي الذي بخل به (اذا تردى) أي اذا مات وقيل هوى في جهنم (ان علينا للهدى) أي ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائي الى العمل بطاعتي وأصرف أعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) أي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) أي يا أهل مكة (نارا تلظى) أي تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعني الشقي (الذي كذب) يعني الرسل (وتولى) أي عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعني التقي (الذي يؤتي) أي يعطي (ماله يتزكى) أي يطلب عند الله أن يكون زاكيا

جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي لا

[٣] قوله زاد مسلم الخ حديث مسلم ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية أو سعيدة الخ

لايطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لوكنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى أريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية ألا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر افعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فاعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فاعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول والله لا أعتقهما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق أبى بكر اياهم وكان اسم أبى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل

عشية هما فى بلال بسوأة * ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل

فان تقتلونى فاقتلونى فلم أكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل

فيارب ابراهيم والعبد يونس * وموسى وعيسى نجنى ثم لاتملى

لمن ظل يهوى الغى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى أن أمية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لابى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فابى فابغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون مافعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل (وما لاحد عنده) أى عند أبى بكر (من نعمة تجزى) أى من يد يكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) أى بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

﴿تفسير سورة الضحى﴾

وهى مكية احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى

فحله النصب قال أبو عبيدة الاشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والاتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لانه لايختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد أن يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل وأبو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر (وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه) أى وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان فذا آية الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

﴿سورة والضحى مكية وهى احدى عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * (والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار

حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله (والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ماودعك ربك وماقلى) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى أن الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته

ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الاولى) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك فى الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لا أرضى قط وواحد من أمتى فى النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن قرأ كذلك لان المعنى لانا أقسم وهذا لانها اذا كانت لام قسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فتعين أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على المبتدأ او الخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وان كان كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر أن الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لا محالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه فلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال

والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى وأخرجه الترمذى عن جندب قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت أصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ماودعك ربك وماقلى وقيل ان المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى أم جميل امرأة أبى لهب القول الثانى قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحى وجبريل عنه أن جروا كان فى بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل أربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك أشد شوقا ولكنى عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بأمر ربك وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله فى قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الصيف والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ماودعك ربك وماقلى) أى ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآى وقيل معناه وما قلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) أى الذى أعطاك ربك فى الآخرة خير لك وأعظم من الذى أعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هى الشفاعة فى أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد واسأله ما يبكيك وهو أعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ٣ وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ * عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله

تعالى

تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ أخرجه الترمذى قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن على يقول انكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معاً أولى وذلك ان الله تعالى أعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة وأعلى دينه وأن أمته خير الامم وأعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه فى الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحى وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل (ألم يجدك يتيما) أى صغيرا (فآوى) ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك أبى طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب الى أن قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) أى عما أنت عليه اليوم (فهدى) أى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى [illegible] لأنه كان صلى الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما أنزل الله اليك فهداك [illegible] هذا ما قيل فى هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشؤا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشا عابوا النبى صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ما روى فى قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبى طالب الى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبى فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيأ بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشرى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد أنه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ووجدك عائلا فأغنى) يعنى فقيرا فأغناك

(ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فآوى) أى فآواك الى عمك أبى طالب وضمك اليه حتى كفلك وربّاك (ووجدك ضالا) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه السلام من أول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (ووجدك عائلا) فقيرا (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم

بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسئلة وددت أني لم أكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب زاد في رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك أن يقوي قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال مالك تقطع رجاءك عني ألست الذي ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير أتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان أتم نعمتي عليك وقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فاما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تنهر) يعني السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا [illegible] وقيل ولا تكهر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي [illegible] يريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول هل توجهون الى أهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب [illegible] ... [illegible] يعطى مطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقيه بمكروه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره لما ذكر نعمه عليه في هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر أمره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخرجه الترمذي ✽ وله عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى

(فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فابذل قليلا أورد جميلا وعن السدي المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أي حدث بالنبوة التي [illegible] أجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ألم نشرح﴾

وهي مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره (ووضعنا عنك وزرك) أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطايا والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم أن الكلام في عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل أو الرجل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيآت المقربين ﴿وقوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم ✽ من الله مشهور يلوح ويشهد ✽ وضم الاله اسم النبي مع اسمه
اذا قال في الخمس المؤذن ✽ وشق له من اسمه ليجله ✽ فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك أنه كان في شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وانما كرره تأكيدا للوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أي فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهي ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه أن غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد في غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين وفائدة ذلك ما عرف في طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله ألم نشرح لك أن ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك ذكرك وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) أي ان مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء

أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر أهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا أي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم أنجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أي ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل أي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان أي لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما في البادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

أرى الموت لمن أصبح مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهواء

ألا يا أيها المرء الذي الهم به برح ✽ وقد أنشد بيتا لم ✽ يزل في فكره يسنح

اذا اشتد بك العسر ✽ ففكر في ألم نشرح ✽ فعسر بين يسرين ✽ اذا أبصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحق بن بهلول القاضي

فلا تيأس اذا أعسرت يوما ✽ فقد أيسرت في دهر طويل ✽ ولا تظنن بربك ظن سوء

فان الله أولى بالجميل ✽ فان العسر يتبعه يسار ✽ وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان في المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا ✽ ترى العسر عنك بيسر تسرى

فما الله يخلف ميعاده ✽ وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت ✽ يكون وراءها فرج قريب

قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها باخرى

الى وعده انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيد نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع أمير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع أمير غلاما وان مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا في شرح التاويلات (فاذا فرغت فانصب) أي فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء واختلف انه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله والنصب

قوله وقال أحمد بن سليمان الخ كذا في بعض النسخ وفي بعض آخر وقال سليمان بن أحمد الرقي الخ اه مصحح

انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿سورة والتين مكية وهى ثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والتين والزيتون) أقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشأم منبتاهما (وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ٢ ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو أمين وأمانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين أو الاولان قسم مهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله

والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لاكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته السبهلل الذى لا شئ معه وقيل السبهلل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله أعلم

﴿تفسير سورة والتين﴾

وهى مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لا جرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه أو لكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) يعنى فى أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فان خلقه مديد القامة حسن الصورة و يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى الى

---

٢ قول الامام النسفى ونحو سينون بيرون تبع فيه صاحب الكشاف وعبارة أبى السعود وسينون كيبرون اه مصححه

الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه و ينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لانه لايستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا اضعف بدنه وسمعه و بصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لايردون الى النار أو الى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم وأخبرهم ان لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة مايضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل و روى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعنى يا أيها الانسان خطاب على طريق الالتفات (بعد) أى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) أى بالحساب والجزاء والمعنى فما الذى يلجئك أيها الانسان الى هذا الكذب ألا تتفكر فى صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى و يحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله باحكم الحاكمين) أى باقضى القاضين يحكم بينكم و بين أهل التكذيب يوم القيامة ✱عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والطور والزيتون فقرأ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرأ فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا وقراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة العلق﴾

مكية وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله و يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى وفى رواية حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أى خديجة مالى وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن

وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه و بصره وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات أى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى أن يكمل و يستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله أى فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما معنى من (أليس الله باحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم

﴿سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية﴾

أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

﴿فصل﴾ في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر أول ما نزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في أول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحي وأما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان أصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به الاثم وقولها فجاءه الحق أي جاءه الحق بالوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة أي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع أي الفزع قولها كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أي لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أي الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم أي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وجميل الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء وقولها وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله تعالى أن يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية ان أراد أو العربية ان أراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله يا ليتني فيها أي في أيام النبوة واظهار الرسالة جذعا أي شابا قويا حتى أبالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا أي قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفي أي فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله كي يتردى التردي الوقوع من علو ذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أي ظهر له قوله فيسكن لذلك جأشه أي قلبه وقيل الجأش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجأش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم (اقرأ باسم ربك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل باسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية في أول القراءة وقيل معناه اقرأ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (انا أنزلناه) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (في ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا و بين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه أنه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير أي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

﴿فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية الى يوم القيامة * روي عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري وأحمد واسحق وأبو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها أبدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو رزين العقيلي في أول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون أنها في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر الاحاديث الواردة في ذلك﴾

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي الى أنها ليلة احدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة ان أبا سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (انا أنزلناه في ليلة القدر) عظم القرآن حيث أسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه روي أنه أنزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زر أن أبي بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعي الى اخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة في الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي وفي الحديث من أدركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني

صلى الله عليه وسلم العشر الاواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وأنا أريت هذه الليلة ورأيتني أسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا أنه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر و ورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن ٢ عبد الله بن أنيس قال كنت في مجلس لبني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أرسلني اليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه أبو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي أنه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيأ قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في أول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال قلت يارسول الله ان لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الالحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته أخرجه أبو داود ولمسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان أثر الماء والطين على جبهته وأنفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس واليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال أبي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ولا يستثني فوالله اني لاعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود وقال وروى موقوفا عليه

﴿ذكر ليال مشتركة﴾ عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه أبو داود وعن ٣ عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أو آخر الشهر قال وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة

٢ قوله عبد الله بن أنيس الى آخر الحديث كذا بالنسخ وبمراجعة أبي داود يعلم ما فيه اهـ مصححه

٣ قوله عتبة كذا في نسخة وفي أخرى عتيبة وفي الترمذي الطبع عيينة اهـ مصححه

والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع مضين أو في سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال أبو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أنها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كأن هذا عندي والله أعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي وأقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وبالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في القرآن في أسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره (ق) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه ﴿ قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أي أي شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وأنواع الخير والبركة ﴿ الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أي في ليلة القدر (باذن ربهم) أي بأمر ربهم (من كل أمر) أي بكل أمر

(وما أدراك ما ليلة القدر) أي لم نبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن النبي عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا أو الى الارض (والروح) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة أو الرحمة (فيها باذن ربهم من كل أمر) أي تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف

من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) أي سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام (هي) يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أي ان ذلك السلام أو السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة﴾

﴿وهي مدنية قاله الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) أي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه في دينهم أما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون أهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) أي حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضي (البينة) أي الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عماذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه أولها وأحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب أي أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله

(سلام هي) ما هي الا سلامة خبر ومبتدأ أي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) أي الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام حمزة وعلي وخلف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم

﴿سورة البينة مختلف فيها وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض

تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذى وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا أن تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى شئ وذكروا وجوها أخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى (رسول من الله) أى تلك البينة رسول من الله (يتلوا) أى يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم (صحفا) أى كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أى من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أى لا ينبغى أن يمسها الا المطهرون (فيها) أى فى الصحف (كتب) أى الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام (قيمة) أى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) يعنى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم البينة) يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم أنه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به فى كتبهم فقال تعالى (وما أمروا) يعنى هؤلاء الكفار (الا ليعبدوا الله) أى وما أمروا الا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا فى التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على أن كل مامور به فلا بد وأن يكون منويا فلا بد من اعتبار النية فى جميع المأمورات قال أصحاب الشافعى الوضوء مامور به ودلت هذه الآية على أن كل مامور به يجب أن يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا بالربوبية لله عز وجل وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (حنفاء) أى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء أى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء أى مختونين محرمين انكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلاة) أى المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكوة) أى المفروضة عند محلها (وذلك) أى الذى أمروا به (دين القيمة) أى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما أضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا وأتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما

(رسول من الله) أى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يتلوا) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها) فى الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) فمنهم من أنكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وانما أفرد أهل الكتاب بعدما جمع أولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة

وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مآل الفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لان جناياتهم أعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جناياتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لان المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله في الدنيا وأدخلهم أسفل سافلين في الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب (في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البريه) أي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعني انهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به أن يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضي ويدبر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضي الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أي هذا الجزاء والرضا (لمن خشي ربه) أي لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه ﴿شرح غريب الحديث﴾ اما بكاء أبي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكره هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار وأما الحكمة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فهي ان يتعلم أبي القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على أبي ليتعلم أبي منه لا ليتعلم هو من أبي وقيل انما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبي والحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما في القراءة وغيرها وكان أحد علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزلزلة﴾

وهي مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبي والبرية ءاستقر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) أي الرضا (لمن خشي ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرا وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان آيات﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا زلزلت الارض زلزالها) أى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاى فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وأخرجت الارض أثقالها) أى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان) الكافر (ما لها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما بهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) أى تحدث الخلق (أخبارها) حذف أول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بان ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها أى عليها وأمره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريق طريق الجنة والنار (ليروا أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيرا) تمييز (يره) أى ير جزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار ويرون فى الدنيا المؤمنين ويروى ان اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال خذا بطن هرشى أو قفاها فانه ﴿ كلا جانبى هرشى لهن طريق وروى ان جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبى حسبى وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) أى تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين أنها فى الدنيا وهى من أشراط الساعة والثانى أنها زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الارض أثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون فى الدنيا قال أثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها مثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا اقتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ أخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا (وقال الانسان ما لها) أى ما لها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها وفى الانسان وجهان أحدهما أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة والمعنى أنها حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى أنه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له ﴿ عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (بان ربك أوحى لها) أى أمرها بالكلام وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة ﴿ قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) أى عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) أى متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) أى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا الا أراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيآته فيغفر الله له سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيآته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا

الدنيا فى نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك أنه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول انما أوعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فانزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود أحكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل الله فيها شيأ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة العاديات﴾

وهى مكية فى قول ابن مسعود وغيره مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان أحدهما انها الابل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت أول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا مد أعناقها فى السير وأصله من حركة النار فى العود (فالموريات قدحا) يعنى ان أخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع (فالمغيرات صبحا) يعنى الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) أى هيجن بمكان سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) أى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك * القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت أجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى انها تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى أصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فأثرن به أى بالمكان نقعا أى غبارا فوسطن به جمعا أى دخلن به أى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار أيضا

﴿سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحا) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها اذا عدون عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح وانتصاب ضبحا على يضبحن (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة أو للعدو الذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فأثرن وجواب القسم

(ان الانسان لربه لكنود) لكفور أي انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه أو ان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك أو انه لحب المال لقوي وهو لحب عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (ما في

القبور) من الموتى وما بمعنى من (وحصل ما في الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم

(سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان حقه ماهي وانما كرر تفخيما لشأنها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شيء أعلمك ماهي ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنفوش قيل منه لتفرق أجزائها (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها

وانما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكنود) أي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب و ينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعني الانسان (لحب الخير) أي المال (لشديد) أي لبخيل والمعنى انه من أجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد (أفلا يعلم) يعني هذا الانسان (اذا بعثر) أي أثير وأخرج (ما في القبور) يعني من الموتى (وحصل ما في الصدور) أي ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ لخبير) أي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص أعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان أعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التي في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم

﴿تفسير سورة القارعة وهي مكية﴾

وثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض و يركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق أجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كأنه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه) يعني رجحت موازين حسناته

قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر في أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته وأما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن أبي بكر الصديق أنه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا ﴿قوله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيآته على حسناته (فامه هاوية) أي مسكنه النار سمى المسكن اما لان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أي هلكت حزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعني الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) أي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة التكاثر مكية﴾

وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (ألهاكم التكاثر) أي أشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ماروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من أنفسهم ويقول مجيبا هب انكم أكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر

(فهو في عيشة راضية) ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فامه هاوية) فمسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما أدراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حاميه) بلغت النهاية في الحرارة والله أعلم

(سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ألهاكم التكاثر) شغلكم التباري في الكثرة والتباهي بها في الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه

وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين أن يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى أنكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعني مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني ان كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه وأطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسئل العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي أخرجكما فقوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذي باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم

﴿ تفسير سورة العصر وهي مكية ﴾

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

(سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) في القبور (كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف أي لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامي وعلي (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل أو الاول بالقلب والثاني بالعين (عين اليقين) أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضي الله عنه وقيل عن التنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه وأثواب تواريه وكسرة تقويه وقد روي مرفوعا والله أعلم

﴿سورة العصر مختلف فيها وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبه بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفي خسر) أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) أي أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) أي على أداء الفرائض واقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهل مثل قوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الهمزة) وهي مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) أي قبح وقيل هو اسم واد في جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب (١) وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك من كره تكاشرني * (٢) وان تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي

العصر في مصحف حفصة ولان التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب وجواب القسم (ان الانسان لفي خسر) أي جنس الانسان لفي خسران من تجاراتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا في الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم

(سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) أي الذي يعيب الناس من خلفهم (لمزة) أي من يعيبهم

١ قوله وقيل معناهما واحد ظاهره ان ما قبله ليس كذلك وليس كذلك اهـ مصححه ٢ قوله وان تغيبت الخ كذا في بعض النسخ وفي الكشاف وان أغيب فانت الهامز اللمزة اهـ مصححه

ولا لنا به يدا انا سنخلى بينه و بين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه و بين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشية ولكن سأبعث الى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير يعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتى الى الملك أن يرد على مائتى بعير أصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فأنت وذاك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجبش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك *

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة و يقال كان معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشأم ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل قوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون

الى الطريق الذى جاؤامنه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل

فانك مارأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب مارأينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم يسائل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق و يهلكون فى كل منهل و بعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من أصحابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجع فحصبوا أى رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير حلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى قال أمية بن أبى الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * مايمارى فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جر أصحاب الفيل أن فتية من قريش أججوا نارا حين خرجوا تجارا الى أرض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لايستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ماأعرفها ماهى بنجدية ولا تهامية ولاعربية ولا شامية قال ماقدرها قال أشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم أهالت الطير مافى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذاهم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤسهم فحفر حتى أعمق فى الارض فملأه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود

فاخترلي على نفسك فقال عبد المطلب انى أرى أجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى أهليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم ﴿وأما التفسير فقوله عز وجل ألم تر أى ألم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا أن العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل أن طيرا تأتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيه دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الداعى الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل أن المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال أنا الذى فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتبشيرا بقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة (فى تضليل) أى تضييع وخسار وابطال ما أرادوا أضل كيدهم فلم يصلوا الى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم خربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل أقاطيع كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل أبيل وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيأ الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف أجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن بما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعنى كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

(ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) حزائق الواحدة ابلة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم أى الله أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور أى الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود

﴿تفسير سورة قريش﴾

وهي مكية وقيل مدنية والاول أصح وأكثر وهي أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لايلاف قريش) اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أي أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف فقيل هي لام التعجب أي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب أعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من ألفت الشئ ألفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وآلفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ * ـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا

متعلق بقوله فليعبدوا وأمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أي ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة أو بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعني ان ذلك الاتلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لالاف قريش شامي أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته ألفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن لانها أدفأ ورحلة فى الصيف الى الشام وكان الحرم واديا مجدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم فى البحر على السفن الى مكة وأهل البر حملوا على الابل والحمير فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة وألقوا بالابطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبى كان أول من حمل السمراء يعنى القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف * هلا مررت بهم تريد قراهم
منعوك من ضر ومن اكفاف * الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى * والقائمين بكل وعد صادق
والراحلين برحلة الايلاف * عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله عزوجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعنى الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ما ذكر فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ما ذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذى أطعمهم من جوع أى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله أعلم

(تفسير سورة الماعون)

وهى مكية وقيل نزل نصفها بمكة فى العاص بن وائل والنصف الثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة

فى البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به وأراد رحلتى الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

(سورة الماعون مختلف فيها وهى سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذى يكذب بالدين) أى هل رأيت

الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد

لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين قدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين أي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية لغرض فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يرائي الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله والاخفاء في التطوع أولى فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت يا أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف أي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع وقال

محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

﴿تفسير سورة الكوثر﴾

وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة الكوثر وهي ثلاث ايات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكوثر وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير

﴿ قوله عز وجل (انا أعطيناك الكوثر) الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان أناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه أو طينته مسك أذفر شك الراوي * عن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبدا زاد في رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمامكم

حوضي

حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفى رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا (ق) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفى رواية لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفى رواية قال ان قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان الى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لبعقر حوضي أذود الناس لاهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فاقول أى ربى أصحابى فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن أى ربى أصحابى أصحابى فليقالن لى انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك وفى رواية ليردن على ناس من أمتى الحديث وفى آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى أو قال من أمتى فيجلون عن الحوض فاقول رب أصحابى فيقول انه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يانبى الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون الى فأقول يارب هؤلاء من أصحابى فيجيبنى ملك فيقول وهل تدرى ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذى نفسى بيده لاذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يارسول الله وتعرفنا قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم * عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم الاجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

(فصل فى شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض) قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبى سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبى ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبى بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبى أمامة وعبد الله بن زيد وأبى برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحى والبراء بن عازب وأسماء بنت أبى الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيى الدين ورواه البخارى ومسلم أيضا من رواية أبى هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن

عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من أن العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم الا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لا كثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا أهويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول أي رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه وفي المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك أي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من أسلموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن أبي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام وأصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال أبو عمر بن عبد البر كل من أحدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وغمط الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا من عني بهذا الخبر وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث أن جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما

يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله (شرح غريب ألفاظ الاحاديث) قوله فيختلج العبد منهم أى ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح اما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر أولى وهى قرية من الشام وأما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى مدينة فى طرف الشام قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهى آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهى قاعدة اليمن وأكبر مدنه وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين أى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس أى أضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى أنا سابقكم الى الحوض كالمهيء له قوله سحقا أى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم أهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث أنس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر أى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد أعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك الذى أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه (ان شانئك) يعنى عدوك ومبغضك (هو الابتر) يعنى هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال أنتم خير منه فنزلت فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت فى الذين قالوا انه أبتر ان شانئك هو الابتر أى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور أرادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة

(فصل لربك) فاعبد ربك الذى أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان لله فى النحر لها (ان شانئك) أى من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل خير لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة قيل نزلت فى العاص بن وائل سماه الابتر والابتر الذى لا عقب له وهو خبر ان وهو فصل

المنفردة يدق أسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في أصل أخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار مكة أن محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم أشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الاعز الاشرف الاعظم والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة قل يا أيها الكافرون﴾

وهي مكية وست آيات وست وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفا عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فانزل الله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الرسالة بجميع ما أوحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل الله علي وكان فيما نزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد أنزل الله علي قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون (لا أعبد ما تعبدون) في معنى الآية قولان أحدهما أنه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي ولست في الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل أن يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون

﴿سورة الكافرون ست آيات مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فايسوا (لا أعبد ما تعبدون) أي لست في حالي هذه عابدا ما تعبدون (ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعني الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ما عبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة أي لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح في الاول من وصح في الثاني ما بمعنى الذي

المعنى لا أعبد ما تعبدون فى الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الاستقبال وما بمعنى من أى من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذى أى الذى أعبد القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد أشد كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار اجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك أن ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولى دين) أى لكم كفركم ولى اخلاصى وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

﴿ تفسير سورة النصر ﴾

وهى مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله والفتح) يعنى فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بنى بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم أسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى بنى الدئل من بنى بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الحرم فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
قد كنتمو ولدا وكنا والدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا ان لست أدعوا أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان

(لكم دينكم ولى دين) لكم شركم ولى توحيدى و بفتح الياء نافع وحفص وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فقال له نابذيا ابن مسعود فقرأ قل يا أيها الكافرون ثم قال له فى الركعة الثانية أخلص فقرأ قل هو الله أحد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم

﴿سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة وروى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) لنصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أوعلى قريش وفتح مكة أو جنس نصر الله المؤمنين فتح بلاد الشرك عليهم

من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وهل أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال أي بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أأنا أشفع لك الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلاما يدب بين يديها فقال يا علي انك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد أرى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ ابني أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا أعلم شيأ يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيأ قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيأ ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشئ صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيأ أم لا قالوا وماذاك قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ما زاد على ان نلعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه قالت نعم قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب ابن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من

رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار و ينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي أجد حطابا أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذا سمعت كلام أبي سفيان و بديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حشتها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت و يحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفني ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الي و يقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الي فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيك الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم وما ذاك الا اني أعلم ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال و يحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عني شيأ بعد قال و يحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيأ فقال العباس و يحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب

لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا سألني عنها فاذا أخبرته عنها فيقول مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منها الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخلوا من أسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة وأن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه بهذه الراية فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش بأسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثني عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم أمر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وانما أمر بقتله لانه كان قد أسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان

بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما أمر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الاسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانئ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من أحمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي بن أبي طالب أخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا تقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهي تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها خلفة في بطونها أولادها يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقد كان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فيما يعونه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله ان صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فأمنه يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول أعطني شيأ يعرف به أمانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك أعزب عني لا تكلمني قال فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم

أنك أمنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن هشام وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ افتتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن أبي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد من بعدي الا وانما أحلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الا المنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما أن يفتدي واما أن يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها وتأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام وأضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله ۞ قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) يعني فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما رأيت انه كان دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر

(ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على ان رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على انه بمعنى علمت (في دين الله أفواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح أي اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة و يروى ان عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله أعلم

القول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيتها أكثرت من قول الله سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا للمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان أحدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لان الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة أبي لهب﴾

﴿وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (تبت يدا أبي لهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من أهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها (وتب) قيل الاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد

﴿سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا أبي لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد اهلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روي انه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان أخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكراهة

اسمه فاسمه عبد العزى أولان مآله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته أبي لهب مكي (ما أغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية أي ومكسوبه أو وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فانا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته والتقدير أعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامرأته أو هي حمالة (في جيدها حبل من مسد) حال أو خبر آخر والمسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا وسنته لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة والله أعلم

﴿سورة الاخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة﴾

يعنون به المال وتب يعني نفسه أي قد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه الى الله تعالى قال أبو لهب ان كان ما تقول يا ابن أخي حقا فانا أفتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أي أي شيء يغني عنه ماله أي ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش أي ما جمع من المال أو ما كسب من المال أي ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي نارا تلتهب عليه (وامرأته) يعني أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب في مصيرها الى النار (في جيدها) أي عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الاخلاص﴾

﴿وهي مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا﴾

﴿فصل في فضلها﴾ (خ) عن أبي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزأ من القرآن (م) عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو صفاته أو أسمائه أو معرفة أفعاله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو ان الله وحد لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلابد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أي هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا

والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا أو لا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود أعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان أحدهما اما ان يقدر على ان يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا أوجده أحدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا أوجد مقدوره نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا أوجد مقدوره نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا واما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا

وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه أن يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشئ وتقللته وتقاللته أي عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته أو لان قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلا قال يا رسول الله اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك اياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شئ أخرجه الترمذي وقال وقد روي عن أبي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا

ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله أربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل نعته في التوراة فاخبرنا من أي شئ هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت أحدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشئ المصمد الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال السداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف شيآن أحدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني أشرف من الانسان وأعلى منه وهو الباري جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ۞ قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا أحد أي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين أو غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكافئه أحد أي لم يماثله سألوه أن يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا وفي ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهي نقص

وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غني لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والأولية وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفي أن يماثله شيء ومن زعم أن نفي الكفء وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة إذ الحادث لا يكون كفؤا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف إذا كان مستقرا أي خبرا لأنه لما كان محتاجا إليه قدم ليعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة وتأخيره إذا كان لغوا أي فضلة لأن التأخير مستحق للفضلات وإنما قدم في الكلام الأفصح لأن الكلام سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء وإذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة ﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ أي الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنم أو جب فيها

قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفلق وهي مدنية﴾

وقيل مكية والأول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا (م) عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب إلى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان أن لفظة قل من القرآن أيضا وأنه من أول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الأمة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال سألت أبي ابن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود وعن عبد الله بن حبيب قال أصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شيء وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فأصابت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى تختمها ثم قال ما تعوذ الناس بأفضل منهما أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبي الدرداء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية أنه يخيل إليه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة

من قال فی بئر بنی زریق فذهب النبی صلی الله علیه وسلم فی أناس من أصحابه الی البئر فنظر الیها وعلیها نخل ثم رجع الی عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله فاخرجه قال اما أنا فقد عافانی الله وشفانی وخفت ان أثیر علی الناس منه شرا وفی روایة للبخاری انه كان یری انه یأتی النساء ولا یأتیهن قال سفیان وهذا أشد ما یكون من السحر اذا كان كذلك عن زید بن أرقم قال سحر رجل من الیهود النبی صلی الله علیه وسلم فاشتكی ذلك أیاما فاتاه جبریل فقال ان رجلا من الیهود سحرك وعقد لك عقدا فی بئر كذا فارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم علیا فاستخرجها فجاء بها فحللها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلی الله علیه وسلم كأنما انشط من عقال فما ذكر ذلك للیهودی ولا رآه فی وجهه قط أخرجه النسائی وروی انه كان تحت صخرة فی البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فیه مشاطة من رأسه صلی الله علیه وسلم وأسنان من مشطه وقیل كان فی وتر عقد علیه احدی عشرة عقدة وقیل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتین السورتین وهما احدی عشرة آیة سورة الفلق خمس آیات وسورة الناس ست آیات فكان كلما قرأ آیة انحلت عقدة حتی انحلت العقد كلها فقام النبی صلی الله علیه وسلم كأنما انشط من عقال وروی انه لبث ستة أشهر واشتد علیه ذلك ثلاث لیال فنزلت المعوذتان (م) عن أبی سعید الخدری أن جبریل أتی النبی صلی الله علیه وسلم فقال یا محمد اشتكیت فقال نعم قال بسم الله أرقیك من كل شیء یؤذیك ومن شر كل نفس أو عین حاسد الله یشفیك بسم الله أرقیك

﴿فصل وقبل الشروع فی التفسیر نذكر معنی الحدیث وما قیل فیه وما قیل فی السحر وما قیل فی الرقی﴾ قولها فی الحدیث ان النبی صلی الله علیه وسلم سحر حتی كان یخیل الیه انه یصنع الشیء ولم یصنعه قال الامام المازری مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة علی اثبات السحر وان له حقیقة كحقیقة غیره من الاشیاء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفی حقیقته وأضاف ما یقع منه الی خیالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله فی كتابه وذكر انه مما یتعلم وذكر فیه اشارة الی انه مما یكفر به وانه یفرق بین المرء وزوجه وهذا كله لا یمكن أن یكون مما لا حقیقة له وهذا الحدیث الصحیح مصرح باثباته ولا یستنكر فی العقل ان الله تعالی یخرق العادة عند النطق بكلام معلق أو تركیب أجسام أو المزوج بین قوی لا یعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالی وما یقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالی علی ید من یشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكیف یأمر بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد واقع وان لم یكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح فی القدرة قلت كل ما وقع فی الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقی من قضاء الله وقدره یدل علی صحة ذلك ما روی الترمذی عن ابن أبی خزامة عن أبیه قال سألت رسول الله صلی الله علیه وسلم فقلت یارسول الله أرأیت رقی نسترقی بها ودواء نتداوی به وتقاة نتقیها هل ترد من قدر الله شیأ قال هی من قدر الله تعالی قال الترمذی هذا حدیث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الی قدر الله تعالی

﴿فصل﴾ وقد أنكر بعض المبتدعة حدیث عائشة المتفق علیه وزعم انه یحط منصب النبوة ویشكك فیها وان تجویزه یمنع الثقة بالشرع ورد علی هذا المبتدع بان الذی ادعاه باطل لان الدلائل القطعیة والنقلیة قد قامت علی صدقه صلی الله علیه وسلم وعصمته فیما یتعلق بالتبلیغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجویز ما قام الدلیل بخلافه باطل وأما ما یتعلق ببعض أمور الدنیا وهو ما یعرض للبشر فغیر بعید أن یخیل الیه من أمور الدنیا ما لا حقیقة له وقد قیل انه كان یخیل انه وطیء زوجاته ولیس بواطیء وهذا مثل ما یتخیله الانسان فی المنام فلا یبعد أن یتخیله فی الیقظة ولا حقیقة له وقیل انه یخیل الیه انه فعله وما فعله ولكن لا یعتقد صحة ما تخیله فتكون اعتقاداته علی السداد قال القاضی عیاض وقد جاءت فی بعض

روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن أو اذا كانت وردت في الحديث ويدل على صحته الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استعاذ أهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروي عن ابن عباس أيضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة التفل والنفث في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان

(من شر ما خلق) أي النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أي شر خلقه أي من خلق شر أو زائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شئ وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور أثره

(ومن شر حاسد اذا حسد) أي اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بان شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرف النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات والله أعلم ﴿سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس) أي مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما اله الناس فخاص لاشركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه

مظنة للاظهار دون الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي (الخناس) الذي عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذي يوسوس في صدور الناس) في محل الجر على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذي أروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان

النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم أو لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الناس﴾

وهي مدنية وقيل مكية والاول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه أولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعني الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي (الخناس) يعني الرجاع الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعني الجن (والناس) وفي معنى الآية وجهان أحدهما أن الناس لفظ

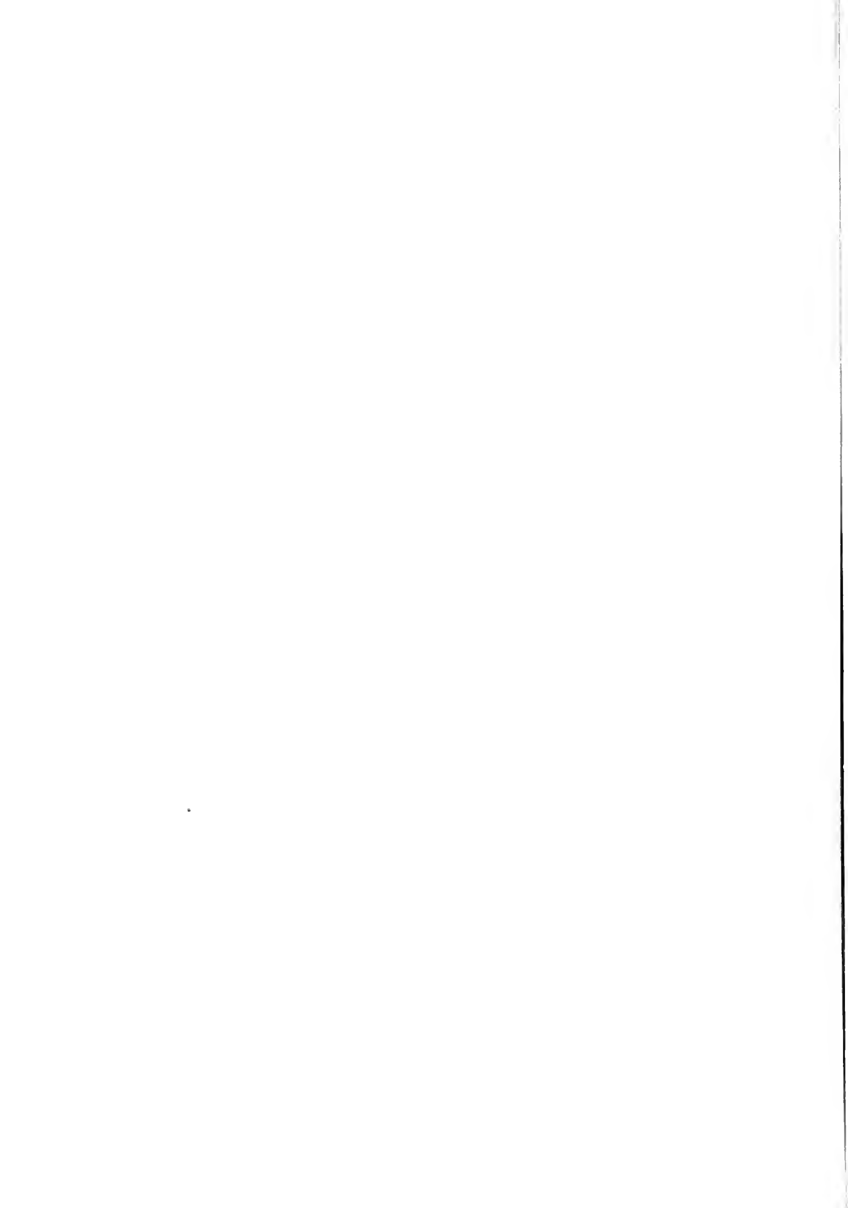
مشترك

مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذ يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة و يخنس أخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات و ينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عنه بيديه رجاء بركتهما أخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يارسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جوز الاسترقاه بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا الاعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الانام وأصحابه مفاتيح دار السلام

﴿ يقول راجى غفران المساوى رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى محمد الزهرى الغمراوى ﴾

الحمد لله الذى أنزل القرآن تبيانا لكل هدايه ووقاية يعتصم به من كل غوايه كتاب أحكمت آياته وبهرت بلاغاته فهو المعجزة الباقيه والآية النيرة الساميه ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين والمحيي موات القلوب بنوره المستبين وعلى آله المرتشفين من بحر فضائله وأصحابه الفائزين باجتلاء محاسن شمائله ﴿أما بعد﴾ فان أجل مايدأب الانسان فى تحصيله ويسعى فى استطراق سبيله تفهم كلام الله المعجز للبلغاء والعلم بما انطوى فى أساليبه من حكمة الحكماء وفقه الفقهاء وذلك لا يكون بغير الاطلاع على التفاسير الكاشفة لمقاصده والمتعرضة لبيان فوائده اذ التفسير وان كان منه ما توقف عليه القواعد العربية لكن لا يمكن التعويل على ذلك بغير الوقوف على الناسخ والمنسوخ والفوائد التى هى بغير المنقول منه أبيه وكان من أعظم من تعرض لبيان أسباب النزول المبين للفروع والاصول بعبارة شائقه وأساليب رائقه مع التعرض لجلب التواريخ وما ينبغى الاعتماد عليه فيها وسوق الاحاديث المبينة لاسباب النزول ومعانى بعض الآيات مع تفسير الغامض من معانيها تفسير علامة زمانه ونادرة وقته وفهامة أوانه الامام علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم الخازن أسكنه الله من دار رحمته أعلى المواطن فلذلك استعيد طبعه محلى الهوامش بتفسير خاتمة المحققين وواسطة عقد الأئمة المدققين العلامة الامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى رحمه الله وأقاه رضاه وكان الفراغ من طبعه مع بذل الجهد فى تصحيحه وحسن وضعه بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك فى شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٨ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية آمين



﴿ فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للامام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

﴿ تمت ﴾